

صِرَاعُ
اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
مِنْ أَجْلِ
الْبَقَاءِ

كَاطِمٌ مُحَمَّدٌ النَّقِيبُ

صِرَاحُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ

كَاطِمُ مُحَمَّدٍ النَّقِيبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِسَانُ الَّذِي يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ أُعْجَبِي

وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ

الإهداء

إلى كُلِّ عَرَبِيٍّ يَعْتَزُّ بِلُغَتِهِ وَرِسَالَتِهَا
وَكُلِّ مُسْلِمٍ يُحِبُّ الْعَرَبِيَّةَ وَقُرْآنَهَا
وَكُلِّ إِنْسَانٍ لَا يَكِيدُ لِلْعُرُوبَةِ وَدِينِهَا

التَّكْوِينُ

تعتبر اللغة العربية اليوم من أقدم اللغات الحية الموجودة بل هي أقدمها على الإطلاق، كما إن التطور الذي أصابها يعتبر ضئيلاً، إذ لا نزال الآن نقرأ ما كتب بها قبل أكثر من أربعة عشر قرناً ولا يصعب علينا فهمه. ذلك إن هذه اللغة شرفها الله سبحانه حيث أنزل بها كتابه الكريم وقرآنه العظيم ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(١)، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢٩١) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (٣٩١) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (٤٩١) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٢)، وقد كتب الله سبحانه وتعالى البقاء والخلود لهذه اللغة بقاء القرآن وخلوده، والقرآن كتاب تكفل الله له الحفظ بقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣).

فما دام هذا القرآن محفوظاً من الأندثار والاضحلال والفناء، ومصانناً من التغير والتحريف والتبديل، فاللغة العربية كذلك لأنها تستمد خلودها من خلوده، وتستند في بقائها إلى بقاءه.

(١) الزمر (٢٨).

(٢) الشعراء (١٩٢-١٩٥).

(٣) الحجر (٩).



كما كتب لها البقاء والخلود ببقاء هذا الدين وخلوده، إذ يقول سبحانه وتعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾^(١)، فهو سبحانه على هذه القاعدة أرسل رسوله محمد ﷺ بلسان قومه العرب ليبين لهم، ولما كانت رسالة النبي محمد ﷺ ليست خاصة بأمة دون أمة^(٢)، وهي خاتمة الرسالات السماوية، وقد كتب لها البقاء والخلود، فكذلك شأن هذه اللغة من حيث الخلود والبقاء.

ولقد انصاعت هذه اللغة للتطور، شأنها في ذلك شأن سائر اللغات البشرية فتعددت بذلك لهجاتها، وتشعبت أساليب نطقها. ولكن اللغة الأم لا تزال حية باقية مستمرة تتدارسها أمم كثيرة، وشعوب متعددة، وأجيال متعاقبة، يكتبون بها علومهم وآدابهم، وينقلون بواسطتها أفكارهم ومعارفهم وخبراتهم.

كما وقد خاضت هذه اللغة، وماتزال تخوض معارك عنيفة، وصراعاً شديداً، فقد تعرضت لمحاربة المستعمرين وقاست منهم حركات إبادة منظمة، دبرت لاضمحلالها والقضاء عليها، فقد صمدت أمام جميع المحاولات التي بذلها الأوروبيون وغيرهم، ولا تزال تصمد اليوم، وهي في ميادين الكفاح والتحدي، وكما اثبتت في الماضي جدارتها على الصمود والأنتصار والبقاء، فهي تستطيع ان تثبت ذلك في العصر الحاضر، وفي المستقبل، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وعليه فأن صراع اللغة العربية من أجل البقاء يتمثل في جانبين:

الجانب الأول: الصراع الطبيعي، وقد عقدنا له باباً ذا أربعة فصول، يتضمن الفصل الأول: صراع اللغة العربية مع غيرها من اللغات في العصور السابقة لعصرنا الحاضر. ونعرض في الفصل الثاني: صراع اللغة العربية مع غيرها من اللغات

(١) إبراهيم (٤).

(٢) انظر كتاب الدعوة والعقبات ص (٢٩) للمؤلف.



في العصور الحاضرة. ويشمل الفصل الثالث: صراع اللغة العربية مع اللهجات التي انشعبت منها قبل الإسلام. ونذكر في الفصل الرابع: صراع اللغة العربية مع اللهجات التي انشعبت منها بعد الإسلام.

الباب الثاني: الصراع غير الطبيعي، وقد عقدنا له باباً ذا ثمانية فصول:

الفصل الأول: وفيه عرض لسياسة التتريك.

الفصل الثاني: وفيه استعراض لمحاولة الفرنسية.

الفصل الثالث: وفيه ذكر الدعوة إلى العامية.

الفصل الرابع: وفيه عرض لمحاولة تبديل الأحرف العربية بالأحرف اللاتينية.

الفصل الخامس: وفيه مناقشة الدعوة إلى تيسير النحو العربي.

الفصل السادس: وفيه مناقشة الدعوة إلى حرية الشعر.

الفصل السابع: وفيه مناقشة الدعوة إلى تطوير الأدب العربي.

الفصل الثامن: وفيه عرض للدعوة إلى إيجاد لغة عالمية واحدة.

هذا ومن الله سبحانه وتعالى نستمد العون والتوفيق

انه سميع مجيب

.....

البَابُ الْأَوَّلُ

الصَّرَاحُ فِي الطَّبِيعِ

ماهو الصراع الطبيعي؟

المقصود بالصراع الطبيعي ذلك الصراع الذي تخوضه سائر اللغات مع بعضها باعتباره يحدث تلقائياً وبصورة طبيعية، وبدون قصد ولا تخطيط مسبق من الإنسان، فهو سنة من سنن الكون، وقانون من قوانين الوجود الطبيعية، التي لا محيص عنها، ولا مهرب منها ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(١) (٢) وكم قد أودع الله سبحانه في هذا الكون من سنن، وكم قد بث فيه من قوانين وإن الإنسان قد اكتشف ولا يزال يكتشف بعض هذه القوانين والسنن، ولكنه لم يبلغ منها الا مرحلة البداية، وكلما توصل اليه علمه لحد الآن قليل وقليل جداً بالنسبة إلى ما أودع الله سبحانه وتعالى من قوانين في هذا الكون الرحيب، وإن العلماء ليعترفون بذلك، فهم كلما اكتشفوا شيئاً نادوا بأعلى اصواتهم: انهم امسوا أمام اودية من المجاهيل.^(٣)

(١) فاطر (٤٣).

(٢) انظر إلى الباب الثاني.

(٣) أحمد أمين التكامل في الإسلام ج ٦ ص ٦٩.



فمنذ أزمنة بعيدة أدرك الإنسان خضوع الكواكب والنجوم لقوانين ثابتة مطردة، وعلى أساس هذا الإدراك قامت (العلوم الفلكية)، ثم أخذ يدرك القوانين التي تخضع لها الظواهر الطبيعية الأخرى، مما أدى إلى ظهور (العلوم الطبيعية)، ولكن الظواهر الاجتماعية تأخر إدراك خضوعها لقوانين ثابتة إلى زمان العلامة (إبن خلدون) من القرن الرابع عشر الميلادي حيث أثبت في تأليفه المشهور بـ (مقدمة إبن خلدون) بالأدلة القاطعة إن أعمال المجتمع وظواهر العمران خاضعة من مختلف نواحيها لقوانين لا تقل في صرامتها واطرادها عن القوانين الخاضعة لها.

وأخذت العلوم الاجتماعية تظهر شيئاً فشيئاً، وينمو عددها، وعلى هذا الأساس قام (علم اللغة) كما قام غيره من (العلوم الاجتماعية) الأخرى، واتجهت عناية الباحثين فيه إلى كشف القوانين الخاضعة لها الظواهر اللغوية من مختلف أشكالها ومناحيها.^(١)

ومن جملة تلك القوانين الثابتة المطردة التي تخضع لها اللغة، هو (الصراع الطبيعي) الذي يحدث بين اللغات واللهجات. فقد قرر علماء اللغة والباحثون في شؤونها أن اللغات يحدث بينها ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية، وجماعاتها من احتكاك، وصراع وتنازع من أجل البقاء، وسعي وراء الغلبة والسيطرة، فتارة ترجح كفة أحد المتنازعين، فيسارع إلى القضاء على الآخر مستخدماً في ذلك وسائل القسوة والعنف، ويتعقب فلوله، فلا يكاد يبقى على أثر من آثاره، وتارة ترجح كفة أحدهما كذلك ولكنه يمهل الآخر، ويتنقص بالتدريج من قوته ونفوذه، ويعمل على خضد شوكرته شيئاً فشيئاً حتى يتم له النصر، وأحياناً تتكافأ قواهما وتكاد فتظل الحرب

(١) انظر الباب الثاني من كتاب إبن خلدون (منشئ علم الاجتماع) للدكتور علي عبد الواحد وافي.

بينهما سجالاتاً، ويظل كل منهما في اثائها محتفظاً بشخصيته وميزاته.^(١) ونتيجة لهذا الصراع الطبيعي فإن اللغات في تطور مستمر، ونمو متزايد، فكم من لغة تولدت ثم بادت، وكم من لغة صمدت فعاشت.

عوامل الصراع الطبيعي:

لهذا النوع من صراع اللغات عوامل وأسباب ينشأ عنها احتكاك لغة أو أكثر، فيبدأ بين تلك اللغتين أو اللغات تفاعل وصراع من أجل البقاء، ومن هذه العوامل التي ذكرها علماء اللغة ما يأتي:

١. نزوح عناصر بشرية إلى بلد ينطق أهله بلغة تختلف عن لغة تلك العناصر ويحدث ذلك على أثر فتح أو استعمار أو حرب أو هجرة، فعندما تستوطن العناصر الأجنبية في البلاد الجديدة، وتتفاعل مع أهلها يبدأ الصراع بين لغتيهما، فقد ذكر (ابن حزم) في كتاب (الأحكام سنة من سنن الكون في سقوط اللغة) فقال: «إن اللغة يسقط أكثرها، ويبطل بسقوط الدولة وأهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو تنقلهم عن ديارهم، واختلاطهم بغيرهم، فإنما يقيد لغة الأمة، وعلومها وأخبارها قوة دولتها، ونشاط أهلها وفراغهم، وأما من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخاطر، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبيود علومهم، وهذا موجود بالمشاهد، ومعلوم

(١) الدكتور علي عبد الواحد الوافي علم اللغة ص (٢٠٩).

بالعقل والضرورة»^(١). وقد حدث هذا للغة العربية، حيث نزع كثير من العرب إلى بعض البلاد المجاورة لشبه الجزيرة العربية كالعراق، والشام، ومصر، وأفريقية، والحبشة، ... وغيرها، وذلك على شكل موجات كان آخرها وأكبرها تلك الموجة التي رافقت الفتح الإسلامي لهذه الأقطار، فحدث احتكاك بين اللغة العربية، ولغات سكان هذه البلاد نتج عنه صراع طبيعي من أجل البقاء الذي كتب للغة العربية.

٢. تجاور شعبين من الشعوب تختلف لغة أحدهما عن لغة الشعب الآخر، فيتبادلا المنافع، وتتاح لأفرادهما فرص الإحتكاك المادي والثقافي، والعرب يسكنون بلاداً يجاورهم فيها كثير من الأمم كالفرس والآتراك، والبربر، والحباش، واليونان، والسرمان، ... وغيرهم. ونتيجة لهذا التجاور احتكت اللغة العربية مع لغات هذه الأمم، وحدث صراع بينها، فأثرت اللغة العربية في تلك اللغات من جهة، وتأثرت هي الأخرى بتلك اللغات من جهة أخرى، ودخلت مفردات عربية كثيرة في تلك اللغات، كما إن اللغة العربية نفسها أخذت كثيراً من مفردات تلك اللغات.

٣. حدوث حرب طويلة الأمد بين شعبين مختلفي اللغة، أو بين شعوب مختلفة اللغات، لأن طول مدة الإحتكاك بين المتحاربين ينقل إلى لغة كل شعب آثاراً من لغات الشعوب الأخرى المتحاربة. وقد حدث مثل هذا الإحتكاك للغة العربية من خلال الحروب الصليبية التي دامت حوالي قرنين، احتك فيها العرب بالأوروبيين فانتقلت إلى كثير من اللغات الأوروبية، وبخاصة إلى اللغة الفرنسية مفردات كثيرة من اللغة العربية كما انتقلت إلى بعض اللهجات العربية، بعض

(١) نقلاً عن كتاب المدخل إلى العربية محمد بدر الدين ص (٦٠).



الكلمات من اللغات الاوروبية.

٤. وجود علاقات تجارية بين شعبين مختلفي اللغة، وذلك إن منتجات كل شعب تحمل معها أسماءها الأصلية فلا تلبث أن تنتشر بين أفراد الشعب الآخر، وتمتزج بمتن لغته، وكثرة الإحتكاك التجاري بين أفراد الشعبين ينقل إلى لغة كل منهما آثاراً من اللغة الأخرى.^(١)

هذا ومن الطبيعي نجد ان لغة الشعب المتحضر او الأكثر تحضراً، هي الأكثر تأثيراً، والأكثر عطاءً، إذ كلما سَمَتْ أمة من الأمم، وتقدمت حضارياً، كلما سَمَتْ وتعددت مفردات لغتها، وطرق التعبير فيها، وقد حدث هذا في الماضي بين اللغة العربية وغيرها، وانتقلت مفردات من العربية إلى تلك اللغات ومن تلك اللغات إلى العربية، ويحدث هذا اليوم أيضاً وبشكل واسع وذلك بسبب زيادة تبادل السلع التجارية وكثرة وسائل المواصلات وسرعتها.

٥. قيام علاقات ثقافية، وعلمية بين شعبين مختلفي اللغة، فإن ذلك ينقل إلى لغة كل منهما - وبخاصة لغة الكتابة - آثاراً كثيرة من الأخرى، وهذه الآثار لا تقف عند حد المفردات بل تتجاوزها أحياناً إلى القواعد والأساليب، ومن الطبيعي أيضاً أن تكون لغة أكثر الشعبين ثقافة أكثر تأثيراً في اللغة الأخرى، فاللغة العربية قد انتقل اليها عن هذا الطريق كثير من مفردات اللغة الفارسية، واليونانية، سواء كان ذلك في العصر الجاهلي، أو في صدر الإسلام أو في العصر الأموي، أو في العصر العباسي وغيرها من العصور، كما إنه قد انتقل من اللغة العربية عن هذا الطريق كثير من مفرداتها إلى سائر اللغات كالفارسية، واليونانية والتركية، والإسبانية، والبرتغالية وغيرها على مختلف العصور.

(١) الدكتور علي عبد الواحد الوافي.



هذا وإن اللغة العربية قد تعرضت لهذا النوع من الصراع وهو (الصراع الطبيعي) قديماً وفي العصور السابقة لعصرنا الحاضر، وتعرض له حديثاً وفي العصور الحاضرة، مع سائر اللغات الأجنبية من جهة، ومع اللهجات المتفرعة عن اللغة العربية نفسها من جهة أخرى، فهذه أربعة فصول يتضمنها الباب الأول.

هذا مع القول: بأن اللغة العربية في صراعها الطبيعي في العصور السابقة، وفي صراعها مع اللهجات التي انشعبت عنها، قد خرجت منتصرة، وكتب لها البقاء، والمؤمل أن يكتب لها البقاء أيضاً في صراعها الطبيعي مع غيرها من اللغات الأجنبية في العصور الحاضرة.

الفصل الأول

صراع العربية مع اللغات
في العصور السابقة

خاضت اللغة العربية في العصور السابقة صراعاً مع سائر اللغات التي احتكت بها وجاورتها، وقد خرجت من صراعها هذا حية، وظلت قائمة وكتب لها البقاء. والمقصود بالعصور السابقة: هي العصور التي عاشت فيها هذه اللغة منذ تكونها قبل الإسلام والعصور التي كانت فيها هذه اللغة هي لغة الكتابة والكلام على السواء في ذلك بعد الإسلام إلى أن انعزلت لغة الكلام عن لغة الكتابة. اما اللغات التي احتكت بها، وصارعتها فهي أما ان تكون اللغة العربية قد دحرتها، وهزمت فلوها، وقضت عليها تماماً، وأما أن تكون تلك اللغات قد صمدت أمام اللغة العربية، واستبسلت في الكفاح ضدها وظلت باقية، ولكل من هاتين الحالتين أسباب وعوامل نذكرها خلال التعرض لهما.

اللغات التي انهزمت امام اللغة العربية:

وهي عادة اللغات التي تنتمي إلى نفس الفصيلة التي تنتمي إليها اللغة العربية^(١) وذلك حسب نظرية (مكس مولر) في تقسيم اللغات الإنسانية إلى فصائل بجمع أفراد كل فصيلة منها صلات قرابة لغوية، فتتفق في أصول الكلمات وقواعد البنية، وتركيب الجمل، وما إلى ذلك، فأرجع (مكس مولر) جميع اللغات الأنسانية إلى ثلاث فصائل هي:

١. الفصيلة الهندية الاوربية.

٢. الفصيلة السامية الحامية.

٣. الفصيلة الطورانية.

وهذه النظرية تتفق مع نظرية العالم الالماني (بونس) الذي ظهر كتابه في نفس العصر الذي ظهر فيه بحث (مكس مولر).^(٢) فاللغة العربية المضرية قد تغلبت في العصور السابقة للإسلام على اللغة اليمنية بحكم الجوار، وتغلغل نفوذ العرب في البلاد اليمنية مع توافر الشروط الأخرى ولم يفلت من هذا المصير إلا بعض مناطق متطرفة نائية ساعد انعزالها وانزواؤها على نجاتها، فظلت محتفظة بلهجتها، القديمة حتى العصر الحاضر.

لقد كانت العلاقات الثقافية والاقتصادية والدينية على أقوى ما يكون بين سكان الحجاز واليمن، وفضلا عن ذلك فقد هاجر إلى بلاد العرب منذ عصور سحيقة في القدم كثير من القبائل اليمنية وخاصة قبائل (معين وخزاعة والأوس

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي فقه اللغة ص ٦٨

(٢) علم اللغة ص ١٨٠.



والخزرج)، وتآلفت منهم هناك جاليات قوية وامتزجت بالعرب كل الإمتزاج، وكانت الرحلات العربية إلى بلاد اليمن للتجارة وغيرها لا يكاد يخلو منها فصل من فصول السنة، وقد أتاح هذا كله فرصاً كثيرة للإحتكاك بين لغتي هذين الشعبين فاشتبكاً في صراع عنيف انتهى بانتصار العربية على اليمنية القديمة في المرحلة الأخيرة من العصر الجاهلي.

ومن المقرر ان اللغة المقهورة تترك في اللغة الغالبة آثاراً كثيرة في مختلف المظاهر وخاصة في المفردات، فلا بد أن يكون قد انتقل إلى العربية كثيراً من آثار اليمنية القديمة غير أنه من المتعذر أن نميز ما انتقل إلى العربية من اللغات اليمنية القديمة.^(١) نعم انتصرت العربية على اليمنية^(٢) لأن العربية كانت أرقى كثيراً من اليمنية القديمة ثقافة وآداباً وأغزر مفردات وأدق قواعد وأقدر منها في مجال التعبير عن مختلف فنون القول، وكان النفوذ العربي في نواحي التجارة والسياسة والثقافة والأدب والدين قد أخذ يتغلغل في بلاد اليمن التي كانت في ذلك العصر في دور انحلال كبير تمزقها الفتن والمنازعات الداخلية ويتناوب حكمها الأحباش تارة والفرس تارة أخرى، فجميع الظروف التي تقتضيها قوانين التغلب اللغوي، وكانت مهياة لتغلب اللغة العربية على اللغات اليمنية القديمة.^(٣)

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي فقه اللغة ص ١٢٤.

(٢) وهي تختلف عن اللغة العربية اختلافاً جوهرياً كما ثبت ذلك من النقوش التي وصلت إلينا، ولمزيد من الايضاح راجع فقه اللغة لعلي عبد الواحد وافي ص ٦٩.

(٣) علي عبد الواحد وافي فقه اللغة ص ٧٥.

غير أن اللغة العربية قد ناهها في السنة أهل اليمن بعض التحريف في أصواتها ومفرداتها وخواصها وقواعدها وفقاً لقوانين التغلب بين اللغات، وقد أصابها هذا التحريف في سنتهم تحت تأثير لهجاتهم القديمة ومفرداتها وخواصها الصوتية والتكوين الطبيعي لأعضاء نطقهم وما درجوا عليه من عادات في اللفظ، وما كان يكتنفهم من ظروف طبيعية وجغرافية واجتماعية تختلف في جوهرها عما كان يكتنف عرب نجد والحجاز، وما كانوا يمتازون به في ثقافتهم وتفكيرهم واتجاهاتهم الوجدانية. فنشأ من جراء هذا كله في بلاد اليمن لهجة عربية ولهجات عربية تختلف بعض الاختلاف عن لهجات الشمال في بعض مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات، فمن مظاهر الاختلاف في المفردات إن اليمانيين كانوا يسمون الذئب (القلوب) بكسر القاف وسكون على اللام، والاصابع (الشناتر)، والصديق (الخلم).^(١)

ومن مظاهر الاختلاف في القواعد أداة التعريف فقد كان (أم) عند أهل اليمن وبلغتهم، جاء في الحديث الشريف: (ليس من امبر امصيام في امسفر). ولكن هذا الخلاف لم يكن ليزيد على الخلاف بين لهجات اللغة الواحدة، ففي المرحلة الاخيرة للعصر الجاهلي كان أهل الحجاز ونجد يتفاهمون مع أهل اليمن. وقد وفد على رسول الله ﷺ وفود من مختلف قبائل اليمن فتفاهم معهم في مختلف شؤون الدين بدون حاجة إلى مترجم، وذهب علي بن أبي طالب عليه السلام ومعاذ بن جبل إلى اليمن موفدين من قبل الرسول ﷺ فلم يحتاجا إلى ترجمان.

ويدل على ذلك أيضاً إن بعض الأسواق التي كانت تعقد في الجاهلية للشعر والأدب كانت تقام في اليمن كسوق (الشحر) التي كانت تقام في النصف من

(١) انظر الصاحبي ص ١٢٦.

شعبان، وسوق (صنعاء) التي كانوا ينفضون منها في آخر يوم من شهر رمضان. فهذا من اقوى الأدلة على إن بلاد اليمن كانت قبل الإسلام بعهد طويل عربية اللسان. وقد تغلبت اللغة العربية على اللغات اليمنية القديمة في حدود القرن الخامس بعد الميلاد وبذلك استأثرت العربية في بلاد اليمن بالمحادثة والأدب والكتابة واصبحت اللغات القديمة لهذه البلاد في عداد اللغات الميتة.^(١)

هذا وقد زادت اللغة العربية رسوخاً في بلاد اليمن بعد ظهور الإسلام فقد كان لاعتناق اليمنيين الدين الإسلامي أثر كبير في تثبيت قدم اللغة في هذه البلاد فساعد ذلك على سعة انتشارها وزاد قوة على قوة في صراعها مع اليمنية القديمة فقضت على البقية الباقية منها وعربت بعض الألسن التي كانت لا تزال إلى ذلك العصر باقية على يمينيتها. غير انه قد افلت من هذا المصير في اليمن بعض مناطق متطرفة نائية ساعد انعزائها وانزواؤها على حمايتها من اللغة العربية فظلت متحفظة بلهجاتها القديمة حتى العصر الحاضر.^(٢)

وقد كان المشهور المتداول عند الباحثين من العرب أن اللغة اليمنية واللغة العربية تمثلان لهجتين للغة واحدة. وإن الخلاف بينهما لا يعدو أموراً يسيرة، ويبدو بعضها في الاصوات والمفردات وبعضها في القواعد. ولذلك كانوا يقسمون العربية إلى قسمين: العربية العدنانية او المضربية وهي لغة الشمال (الحجاز ونجد وما إليهما). والحميرية او القحطانية وهي لغة أهل اليمن. وهذا الرأي صحيح فيما يتعلق بلهجات أهل اليمن بعد أن تغلبت العربية على الستتهم، ولكنه غير صحيح فيما يتعلق باللغات اليمنية القديمة. فقد تبين مما سبق أنها ليست من اللغة العربية في شيء

(١) علي عبد الواحد وافي ص ٧٨.

(٢) الدكتور علي عبد الواحد وافي فقه اللغة ص ٨٠.



وإن كانت تؤلف معها شعبة لغوية واحدة، فقد فطن إلى ذلك بعض باحثي العرب أنفسهم كأبي عمر بن العلاء فقد روي انه كان يقول: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعريتنا».^(١)

ثم اقتحمت اللغة العربية على اللغة الآرامية معا قلها في الشرق والغرب وانتزعتها منها معقلاً معقلاً، حتى تم لها القضاء عليها حوالي القرن الثامن الميلادي، ولم ينفلت من هذا المصير إلا بعض مناطق منزلة لا تزال تتكلم اللهجة الآرامية إلى العصر الحاضر فبسبب توثق العلاقات المادية والثقافية منذ أقدم العصور بين العرب وجيرانهم الآراميين في الشمال عن طريق التجارة والهجرة والرحلات. وامتزجت بعض قبائل آرامية بالعالم العربي في الحجاز نفسه، أو على تخومه، فكان لزاماً إذن أن تتأثر اللغتان أحدهما بالأخرى وفقاً لنواميس علم اللغة. وقد ظهر لكثير من المحققين إن معظم الكلمات العربية الدالة على مظاهر الحياة الحضرية وما إليها من الأمور التي لم تكن مألوفة في البيئة العربية الأولى ومعظم الكلمات المتعلقة بمنتجات الصناعات وشؤون التفكير الفلسفي المتصلة بما وراء الطبيعة، ظهر لهم أن معظم هذه الكلمات وما إليها قد انتقلت إلى العربية من الآرامية مثل (شيطان، سكين، سارية... الخ). ويذهب (بروكلمان) إلى أن جل هذه الكلمات ان لم يكن كلها من أصل آرامي.^(٢)

أما في الغرب فقد انقرضت الآرامية بعد الفتح الإسلامي العربي من لغة التخاطب في معظم مناطق سورية وفلسطين، وإن كانت قد بقيت بعد ذلك أمداً غير قصير لغة كتابة وأدب ودين. وقد لقيت العربية مقاومة عنيفة في المناطق الجبلية من

(١) ابن سلام طبقات الشعراء علي عبد الواحد وافي فقه اللغة ص ٨٢.

(٢) انظر بروكلمان فقرة ٢٣ ص ٣٨، فقرة ٥٥ ص ٢٩.



هذا القسم ببلاد لبنان وما إليها حيث استغرق الصراع بينها وبين الآرامية عدة قرون فقد ظلت الآرامية لغة حديث في كثير من قرى لبنان حتى أواخر القرن السابع عشر بعد الميلاد. ولعنّف الصراع بين هاتين اللغتين وطول أمده في هذه المناطق أصاب اللغة العربية في ألسنة أهلها كثير من التحريف وبقي في لهجاتهم العربية إلى العصر الحاضر كثير من آثار لهجاتهم الآرامية القديمة.^(١)

وأما في الشرق فقد لقيت العربية مقاومة من مختلف اللهجات الآرامية وخاصة السيريانية ولكن انتهى الأمر إلى تغلب العربية عليها، كما تغلبت على أخواتها في الغرب فلم ينصرم القرن السابع حتى انقرضت الآرامية الشرقية من لغات التخاطب في هذه المناطق، وإن كانت السيريانية قد بقيت مستخدمة كلغة كتابة وأدب ودين في كثير من الأوساط حتى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، وقد أفلت من هذا المصير بعض مناطق جبلية لا تزال إلى العصر الحاضر متخفظة بلهجتها الآرامية.^(٢)

ولا يختلف حال هذه اللهجات عن حال أخواتها في الغرب فقد بعدت بعداً كبيراً عن أصولها الأولى تحت تأثير ما انتابها من عوامل التطور الطبيعي، وكثرة المراحل التي اجتازتها في هذا السبيل وطول عمرها وتأثرها باللغات التي احتكت بها وخاصة العربية والفارسية والكردية. وفي غضون القرن التاسع عشر بذلت بعثة أمريكية دينية جهوداً كبيرة للنهوض بلهجة بحيرة (أورميا) فاتخذت منها لغة كتابة وأدب ودونت بها كثيراً من البحوث الدينية التي تعمل على نشرها في هذه المنطقة وكثيراً من الآثار الأدبية وغيرها التي أنتجتها قرائح الناطقين بها.^(٣)

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي فقه اللغة ص ٦٥.

(٢) الدكتور علي عبد الواحد وافي فقه اللغة ص ٦٦.

(٣) الدكتور علي عبد الواحد وافي فقه اللغة ص ٦٧.

وكان من أثر الصراع أن دخلت كلمات آرامية إلى اللغة العربية مثل (أمهات، تاجر، بيت، شرطة، رب، مسجد، خاتم، جنة، مجلة، جسر، فلاح، عنب، تلميذ، قصر، مسمار، حرب، سياج... الخ).^(١) وقد كانت قبائل (غسان، لخم، جذام، كلب، قضاعة) تتكلم لغة هي مزيج من الآرامية والعربية، وكانوا يعدون أنفسهم شاميين لا تربطهم بعرب الحجاز إلا العلاقات التجارية، وقد وقفوا بجانب الرومان في محاربة المسلمين عند الفتح.^(٢)

كما قضت اللغة العربية على اللغة السريانية، وهي إحدى اللغات الآرامية التي كانت منتشرة فيما بين النهرين والبلاد المجاورة لها، وكان من أهم مراكزها (الرها) و (نصيبين) وكانت هي لغة الأدب والعلم لجميع كتاب النصرانية في انطاكية وما حولها، وللنصارى الخاضعين لدولة الفرس، وأنشأت في هذه الأصقاع مدارس دينية متعددة وكانت تعلم فيها اللغة السريانية، بل كانت اللغة السريانية لغة الوثنية أيضاً وآدابها، وقد عاشت الآداب السريانية من القرن الثالث الميلادي إلى القرن الرابع عشر ولكن حياتها بعد الفتح الإسلامي كانت حياة ضعيفة لغزو اللغة العربية لها وغلبتها.^(٣) وقد نجم عن الفتوح الإسلامية في قارة آسيا وقارة أفريقيا أن تغلبت اللغة العربية على كثير من اللغات السامية الأخرى وعلى اللغات القبطية والبربرية والكوشيتية، فأصبحت اللغة العربية هي لغة الحديث والكتابة في معظم الجزيرة العربية، وفي مصر وشمال افريقية، وفي جزء كبير من قسمها الشرقي المتاخم لبلاد الحبشة، مع إن الجالية العربية في هذه البلاد كان عددها أقل كثيراً من عدد السكان

(١) المعلم الجديد ج ٣ م ٢٥.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية في مادة شام.

(٣) د. أحمد أمين فجر الإسلام ص ١٢٠.



الاصليين.^(١) وذلك لأن هذه اللغات تنتمي إلى فصيلة واحدة هي فصيلة اللغات السامية الحامية حسب نظرية (مكس مولر).

ولأن العرب كانوا ارقى حضارة من تلك الشعوب إذ ان الموجة العربية التي جاءت مع الإسلام كانت تحمل مشعل الهداية والحضارة فأثرت في تلك الاقوام تأثيراً عميقاً شمل جميع جوانب حياتها، لا تأثيراً سياسياً فحسب، فتمثلت اللغة العربية واللغات الأخرى التي كانت تتكلمها تلك الاقوام تمثلاً تاماً، واندثرت تلك اللغات المتفرقة لتحل محلها اللغة العربية الواحدة.

ولكن مع ما كان للعرب من قوة الشوكة، ورقى اللغة، واتساع الحضارة، وحماية الدين، وسطوة الغالب، لم يتم النصر للغتهم على القبطية والبربرية، إلا بعد أمد طويل، على إن اللغة القبطية لا تزال مستخدمة في كثير من الطقوس الدينية الأرثوذكسية، واللغة البربرية لا تزال إلى الوقت الحاضر لغة محادثة العشائر المغربية.^(٢) وقد ظل انتشار اللغة العربية بطيئاً طوال القرن الهجري الأول وقبيل نهاية هذا القرن أي سنة ٨٧ هـ (٧٠٥م)، وفي ولاية عبد الله بن عبد الملك على مصر من قبل أخيه الوليد بن عبد الملك بن مروان، أمر بالدواوين فنسخت بالعربية وكانت قبل ذلك تكتب بالقبطية^(٣).

جاء في دائرة المعارف الإسلامية في مادتي (ديوان) و (قبط): (إن الدواوين في مصر كانت تكتب باليونانية والتحدث بالقبطية)، وهذا هو الأصح وظل التحول من الكتابة باليونانية في الدواوين والتحدث بالقبطية إلى الكتابة والتحدث بالعربية

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي علم اللغة ص ٢١٢.

(٢) الحكم دروزة، حامد الجبوري مع القومية العربية ص ٧٩.

(٣) الدكتور علي عبد الواحد وافي علم اللغة ص ٢١٣.

بالتدرّج خلال القرون الثلاثة الأولى للجهرة، حتى إذا كان القرن الرابع كانت غالبية الشعب المصري يتكلمون العربية ولا يفهمون القبطية، بدليل إن رجال الكنيسة أنفسهم اضطروا في هذا القرن أن يلقوا مواعظهم من الكنائس باللغة العربية، وليس معنى ذلك إن القبطية كانت قد انقرضت كل الإنقراض في هذا العصر، فالحقيقة إنها ظلت باقية في السّنة بعض المناطق مدة طويلة بعد ذلك، بدليل ما يذكره المقرئزي من أن المأمون كان ينتقل من ريف مصر ومعه مترجم (دخّل المأمون مصر سنة ٢١٧هـ) وما يذكره المقدسي في (أحسن التقاسيم)، (ألفه حوالي سنة ٣٧٥هـ) من إن بعض مسيحيي مصر كانوا يتحدثون بالقبطية، (أنظر في هذا مقالاً للاستاذ جمال الدين الشيال في العدد ٣٣٤ بتاريخ ٢٢/٥/١٩٤٥ من مجلة الثقافة).^(١)

اللغات التي صمدت أمام اللغة العربية:

وهي عادة اللغات التي لا ترتبط مع اللغة العربية بصلة قرابة، ولا تنتمي إلى فصيلتها، يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي بهذا الصدد: «واللغة العربية لم تنتصر على اللغة الفارسية على الرغم من فتح العرب لبلاد فارس، وبقائها تحت سلطانهم أمداً طويلاً، وذلك لأن الشعب العربي لم يكن إذ ذاك أرقى حضارة من الشعب الفارسي، ولقلة عدد الجالية العربية بفارس، وضعف امتزاجها بالسكان، ولإنتهاء اللغتين إلى فصيلتين مختلفتين، فالعربية من الفصيلة السامية والفارسية من الفصيلة الهندية الأوروبية».

(١) علم اللغة ص ٢١٣ هامش ١.



اللغة العربية لم تقو على الانتصار على اللغات الإسبانية، على الرغم من فتح العرب للأندلس، وبقائها تحت سلطانهم نحو سبعة قرون، وذلك لانتماء العربية إلى فصيلة غير فصيلة اللغات الإسبانية، ولعدم امتزاج الشعوب القوطية بالشعب العربي.^(١)

اللغة العربية لم تقو على الانتصار على اللغة التركية، بالرغم من حكم العرب لبلاد الأتراك، وانتشار الإسلام فيها، وبالرغم من حكم العثمانيين الأتراك لبلاد العرب، وبقائها تحت سلطانهم أمداً طويلاً، وذلك لأن اللغة العربية تختلف عن اللغة التركية، في الفصيلة الأولى من الفصيلة السامية الحامية، والثانية من الفصيلة الطورانية، ولأن الأتراك كانوا أقل حضارة وثقافة من العرب، ولأن الجالية العربية في تركيا كانت قليلة العدد أبان حكم العرب لبلاد الأتراك، والجالية التركية كانت قليلة العدد أثناء حكم الأتراك لبلاد العربية.

ومع عدم تغلب اللغة العربية على هذه اللغات إلا أنها تركت لها آثاراً في كل منها، كما إن كل واحدة من تلك اللغات تركت لها آثاراً في اللغة العربية. فالصراع بين اللغة العربية واللغة الفارسية وإن لم ينته إلى تغلب إحداها على الأخرى إلا إنه قد ترك في كل منهما آثاراً واضحة على الأخرى وبخاصة من ناحية المفردات، فمن المفردات الفارسية التي انتقلت إلى اللغة العربية (الإبريق، السندس، الياقوت، النرجس، السوسن، القرنفل، الكعك، استربق، جوز، لوز)^(٢)، هذه المفردات التي ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر.

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي علم اللغة ص ١١٧.

(٢) مجلة الاقلام العراقية ج ٨ السنة السادسة مقال لباسم قرة قوش عنوانه: دراسات في اللغة العربية وتطورها.

هذا ويمكن القول إن اللغة العربية كادت أن تقضي على اللغة الفارسية، لولا تلك النزاعات التي كانت بمثابة رد فعل للسياسة الأموية التي كانت تميز بين المسلمين فقسمتهم إلى مسلمين عرب ومسلمين غير عرب، وأطلقت عليهم اسم (الموالي)، مما أدى إلى إثارة النعرات العصبية، والنزعات القومية، فعمل الشعوب من الفرس على الإعتزاز باللغة الفارسية، والإحتفاظ بها، وإعادتها إلى الإستعمال في الحياة العملية. وقد انتقل من العربية إلى الفارسية ومن الأخيرة إلى الأولى كثير من المفردات والأساليب والأخيلة والتراكيب، ولكن أثر العربية في الفارسية كان أوسع نطاقاً من أثر الفارسية في العربية، ويظهر هذا الأثر بشكل واضح في ناحية المفردات حتى إن معظم الفارسية الحديثة عربي الأصل.^(١)

يقول الجاحظ: «ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بالفاظ من ألفاظهم، ولذلك يسمون (البطيخ الخربز)، وكذا أهل الكوفة فإنهم يسمون (السمحاة بال) وبال بالفارسية، وأهل البصرة إذا التقت أربعة طرق يسمونها مربعة، ويسمها أهل الكوفة بـ (الجهارسو) والجهارسو فارسية».^(٢)

يقول الدكتور (محمد محمدي) استاذ الأدب العربي بجامعة طهران / كلية المعقول والمنقول: «كان الإيرانيون منذ أن عرفوا الإسلام من أشد الأمم تمسكاً به وأكثرهم حماسة في نشره، ولما كانت اللغة العربية لغة القرآن فقد بذلوا جهوداً عظيمة لا في درسها وإتقانها فحسب، بل في ضبط قواعدها واستخراج أصولها وجمع مفرداتها وتدوين أحكامها أيضاً، واتخذوها وسيلة لبيان أفكارهم وألفوا فيها ما أنتجت قرائحهم ونقلوا إليها مما بقي من مآثرهم العلمية السابقة ما كان يلائم

(١) فقه اللغة ص ١٢٥.

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٧.



البيئة الجديدة، فزادوا بذلك في ثروة اللغة، وساهموا فعلاً في التأليف الأدبي والعلمي العربي بنصيب كبير، وبذلك أصبحت العربية في إيران لغة الدين ولغة السياسة ولغة التأليف، وبقيت الفارسية لغة المحاوراة ولغة الكتابة، على شبيء من الضيق، ولكن هذه الحالة لم تدم طويلاً، فما أن انتهى القرن الثاني للهجرة حتى أخذت اللغة الفارسية تبرز شيئاً فشيئاً وتحتل مكانتها في عالم السياسة والأدب، وذلك نتيجة لظهور نزعات جديدة وتطورات حدثت على إثرها في المجتمع الإسلامي والخلافة الإسلامية».

كان الإسلام قد خلق مجتمعاً جديداً على أساس غير الذي عرفه الناس من قبل، ووضع معياراً آخر للتفاضل غير شرف المولد والجنس، ولم يدع هناك مجاًلاً للإعتزاز باللون والدم والطبقة والثروة وما شاكل، وكان ذلك من العوامل الرئيسة التي مهدت السبيل أمام انتشاره في رقعة واسعة من الأرض وبين أمم مختلفة متباعدة. كان الإسلام دين هذا المجتمع وكانت العربية لغته من دون أن يكون لها طابع قومي خاص، ولكن سرعان ما تغيرت الحالة وأصبحت الخلافة في عصر الأمويين ذات صبغة عربية بارزة، فحدث ما حدث من استعمال نار العصبيات من جديد ومن ظهور نزعات شعوبية ومنافسات قومية وما إلى ذلك مما لا نريد الإطالة فيه، فمرجعه كتب التاريخ التي عنيت بهذه الناحية.

وأخذ الإيرانيون منذ ذلك الحين مع إخلاصهم للدين الإسلامي، يعملون بكل مالديهم من الوسائل للحصول على استقلال بلادهم، من ناحية أخرى، أدى ذلك وغيره من العوامل إلى ظهور تحول في الخلافة الإسلامية وإلى إيجاد دول مستقلة في البلاد الإيرانية، فاصبحت اللغة الرسمية في تلك الدول (فارسية)، ونالت هذه اللغة من عطف الأدباء والكتاب بعض ما نالته اللغة العربية من قبل،

ففقدت العربية بذلك نفوذها السياسي وضعف تدريجياً انتشارها في إيران من ناحية الشعر والكتابة، ولكنها ظلت في التأليف بجانب اللغة الفارسية التي كانت تسير مع العربية جنباً إلى جنب طيلة قرون، فكان بعض العلماء وأصحاب التأليف من الإيرانيين يؤلف فيها معاً من دون فرق بينهما، والبعض الآخر يختار أحدهما فيكتب آثاره أما بالفارسية أو بالعربية.^(١)

وهكذا أخذ شأن اللغة العربية يقل ويقل حتى أصبحت تدرس على نطاق ضعيف جداً، وعلى اعتبار أنها لغة من لغات الشرق ليس لها صلة بالحياة العملية. يقول الدكتور محمد محمدي: «إننا لا نعدو الحقيقة كثيراً إذا قلنا أن اللغة العربية لا تُدرّس اليوم»^(٢) في مدارس إيران سواء كانت دينية أو غير دينية كلغة حية بالمعنى الصحيح، فهي محدودة فيها ضمن نطاق ضيق يشارفها الطالب والمعلم، كما يشارفون متحفاً للآثار القديمة فيه ما يبهر العيون ويسر الأفتدة، ولكن ليس بينه وبين الحياة الحاضرة صلة أصلاً، والصراع بين اللغة العربية واللغة الإسبانية وإن لم ينته بتغلب أحدهما على الأخرى، إلا أنه قد ترك في كل منها آثار واضحة من الأخرى، فقد تركت اللغة العربية آثاراً قوية في الإسبانية وبخاصة في المناطق التي كانت تسمى بالأندلس أو أندلوسا، حيث دام سلطان العرب عدة قرون، فدخل في قاموسها ما يقارب العشرة آلاف كلمة عربية، وذلك نتيجة للصراع الطبيعي الذي دار بينها وبين اللغة العربية حتى احتفظ معظمها بالف ولا م تعريفه العريبتين مثل

(١) الدكتور محمد محمدي درسي اللغة والأدب ج ١ ص ٢٠٣ الطبعة الثانية ١٩٥٦.

(٢) هذا في أيام الشاه قبل الثورة الإسلامية في إيران وقبل تأسيس الجمهورية الإسلامية التي أولت اللغة العربية عناية خاصة تصلح أن يتصدى لها البعض ليكتب عن حالة اللغة العربية في إيران ويقارنها مع ما خطط لها الشاه للقضاء عليها.

(الزيت، والساقية، الورثة، الدليل، الشريف، العريف، الحصان، الوصي، الباكورة
البحيرة القائد القرطاس الخياط الزئبق... الخ)».

كما وقد تركت اللغة العربية آثاراً في البرتغالية، ويظهر إن الآثار التي تركتها
العربية في البرتغالية قد بلغت درجة كبيرة من الضخامة، حتى إن بعض الباحثين أفرد
مؤلفات خاصة للكلمات البرتغالية المأخوذة من العربية، ومن هؤلاء الأستاذ (راجي
باسيل) في مدينة ريودي جانيرو بالبرازيل، فقد طبع أربع كراسات عنوانها (معجم
الكلمات البرتغالية المأخوذة من العربية) وقدم هذه الدراسات إلى جريدة الأهرام
القاهرية، ونشرت ذلك جريدة الأهرام بعددها الصادر في ٢٩-٣-١٩٤٤، ومن
بين هذه الكلمات (الحلوى، البردعة، المرج، البركة، المد، الزيت ورمال الفارس...
الخ).^(١) وكذلك الصراع بين العربية والتركية وإن لم ينته إلى تغلب إحدهما على
الأخرى، غير إنه قد ترك في كل منهما آثاراً واضحة في الأخرى، وبخاصة الآثار
العربية في اللغة التركية، ولم تكد تترك التركية في العربية شيئاً مهماً، في حين لم يكد
يبقى للغة التركية من فصيلتها الطورانية إلا القواعد، أما مفرداتها فمعظمها عربي
الأصل أو فارسيه، فقد تجمع في التركية إذن ثلاث فصائل هي (سامية آرية طورانية)
في متن لغتها، وطورانية في قواعدها، وقد حاول الأتراك في نهضتهم الحديثة أن
يخلصو متن لغتهم من بعض المفردات العربية والفارسية ويستبدلونها كلمات تركية
أو لاتينية.^(٢) ولكن مع ذلك كله فإن البقاء قد كتب لهذه اللغات وبقيت كل لغة
منها متميزة الشخصية موفوة القوى، سليمة البناء وذلك لأنها تختلف في فصائلها
بعضها عن بعض.

(١) لاحظ كتاب علم اللغة ص ٢١٨ وكذلك المعلم الجديد ج ٣ ص ٢٥٣.

(٢) علي عبد الواحد وافي فقه اللغة ص ١٢٦.

أما اللغة العربية فقد اتسع نطاقها وكثرت مفرداتها وتعددت مصطلحاتها، وللإسلام أثر كبير في ذلك حين وضع مصطلحات خاصة مثل (الصلاة، والإيمان، والكفر، والقبلة، والزكاة، ...) وغيرها مما اقتضاه فهم الدين الإسلامي من علوم كالحديث والفقه والنحو والصرف، أو اقتضته الأنظمة الإدارية (كالخلافة، والوزارة، والشرطة، والخراج)، أو النحل المذهبية والأوضاع الكلامية (كالمعتزلة، والخوارج والصوفية، والقدرية، والجبرية، والقياس، والسماع، والقدم، والحدوث، ... وكثير غيرها).^(١) قال السيوطي في المزهري: «قال ابن خالويه: إن لفظ الجاهلية اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة، والمنافق إسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية. وقال ابن الأعرابي: لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم (فاسق) ... الخ». ويقول أحمد أمين: «فالإسلام أدخل في اللغة معاني جديدة لكلمات كثيرة (كمؤمن ومسلم وصلاة وزكاة وركوع وسجود)، مدلول هذه الكلمات في الجاهلية غيره في الإسلام، فالصلاة التي كان مدلولها الدعاء أصبح مدلولها الحركات والسكنات بأشكال خاصة، وكذلك الزكاة كان مدلولها النماء فأصبح مدلولها إخراج المال في حال معينة وعلى نحو خاص، وهكذا وجدت مذاهب مختلفة (كمعتزلة ومرجئة وخوارج ... الخ)، لها معان خاصة واستعملت كلمات إستعمالات دارت مع الزمن (كالخاجب والديوان والكاتب والوزير)، قد كان يطلق (الوزير) مثلاً على كل ناصر معين فاستعمل في معنى خاص، وكانت كلمة (الديوان) تطلق على الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجند مثلاً ثم استعمل في المكان الذي يحفظ فيه، ثم استعملوه في مجموعة البيان والشعر فقالوا (ديوان عمر بن أبي ربيعة) وهكذا. وكانت الأحداث سبباً في استعمال كلمات في معان خاصة لم تكن تستعمل فقد قال (ابن دريد) في

(١) أنيس المقدسي اللغة العربية وأثر التطور الاجتماعي خلال ج ٢ م ٦٣ ص ٧٧.



الجمهرة: ذكر بعض أهل اللغة ان كلمة الجائزة بمعنى العطية والجمع الجوائز كلمة إسلامية وأصلها أن أميراً من أمراء الجيوش واقف، والعدو بينه وبينهم نهر، فقال: من جاز هذا النهر فله كذا وكذا، فكان الرجل يعبر النهر فيأخذ مالا فيقال أخذ فلان جائزة، فسميت جوائز لذلك. وجاءت العلوم فوضع لها العلماء مصطلحات خاصة أخذوا أكثرها من كلمات عربية الأصل وحوروا مدلولها ف (العروض والبحر الطويل والبسيط والنحو والمفعول والمنطق والقضية والموضوع والمحول واصول الفقه والقياس والاستحسان ... الخ) كل هذه معان دخلت في اللغة ومعاجمها لم يكن للعرب الأولين بها علم^(١).

كما إن الإسلام منذ أن ظهر وتوطد قضى على كثير من الألفاظ الجاهلية التي لم يبق لوجودها مبرر في المجتمع الجديد ك (المرباع والنشيطة والصفى والسدانة)، وكبعض أسماء الأيام والأشهر، فضلاً عن كثير من مصطلحات القبائل الخاصة^(٢). وهكذا تطورت اللغة العربية، واستطاعت استيعاب جميع العلوم والمصطلحات التي نقلت من اللغات الاجنبية وبرز فيها علماء من مختلف العلوم وذلك بإسهام العرب في تقدم العلم والحضارة في العالم قرونا عديدة، وأصبحت اللغة العربية لغة العلم ورجاله، ولعلها كانت المصدر الأول في النهضة الأوروبية في القرن السابع عشر حيث ترجمت الكتب العربية القيمة إلى كثير من اللغات الأوروبية مما جعل الغرب يعترف ببعض فضل العرب على الحضارة الإنسانية، وذلك عن طريق حفظ التراث اليوناني، وأما المنصف منهم فيقر بفضل العرب كله على سير الركب الحضاري في العالم، فليس كل ما وجد في الكتب العربية تراث يوناني، بل أضاف العرب إلى تراث

(١) ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٥١

(٢) المصدر السابق.

اليونان الجزء الكبير من المعرفة العلمية، ثم إنهم غيروا أسلوب التوصل إلى معرفة الحقائق العلمية، فالذي يقرأ الفلسفة اليونانية لابد وأنه يخرج بنتيجة واحدة وهي إن رجال الفكر من اليونانيين القدماء يأنفون من استعمال أيديهم في إجراء التجارب العلمية، ويعتبرون المنطق النظري والتأمل والتفكير أساس المعرفة الحقيقية، وأن الأسلوب اليوناني يختلف تمام الاختلاف عما جاء من طريقة العرب للوصول إلى الحقائق العلمية، والتي تعتمد على إجراء التجارب العلمية والاستدلال بها، ومن يطلع على وصايا (جابر بن حيان) يقدر ذلك حق التقدير.

يتضح مما تقدم إن الأسلوب العلمي العربي هو أساس الأسلوب العلمي الحديث، وهكذا كانت اللغة العربية آنذاك إحدى اللغات العلمية بل وفي الطليعة.^(١) يقول الأستاذ (نللىنوى): «في أواخر الدولة الأموية ثبتت سلطة الإسلام على جميع الأمصار التي دخلتها العربية عنوة أو صلحاً أثناء المغازي والفتوحات من أقصى بلاد ما وراء النهر في تركستان إلى منتهى المغرب والأندلس، وأصبحت اللغة العربية الشريفة هي لغة تلك الولايات وغلبت على السنتهم الأصلية فأخذ المسلمون من أي جنس كان لا يستخدمون فن الأنشاء والتأليف إلا بلغة العرب، كما إن كثيراً من مداليل الألفاظ قد تغيرت مما أدى إلى اتساع نطاق هذه اللغة، وذلك إن اللفظ الواحد قد يتغير مدلوله في عقل السامع بانتقاله من طور إلى طور في الحضارة، فلفظ الكرسي والمائدة والخوان والمطبخ والكانون والملهى) له مدلول من ذهن البدوي غير مدلوله من ذهن الحضري، فالكرسي في ذهن البدوي أبسط شكل يطلق عليه اسم كرسي وفي ذهن الحضري اشكال مختلفة من الكراسي لم يكن يتخيلها البدوي، ان شئت فانظر إلى ما نفهمه نحن الآن من (مؤتمر وصحافة وجريدة ومطبعة) وما

(١) الدكتور فاضل الطائي اللغة العربية وتدریس العلوم - المعلم الجديد ٢٤ ج ١ ص ٥٤.



كان يفهمه البدوي في الجاهلية من هذه الالفاظ بل وما يفهمه العربي من العصر العباسي منها»^(١).

وعلى كل حال فإن اللغة العربية في صراعها الطبيعي من العصور السابقة وفي الحالتين من هذا الصراع، أي في صراعها مع اللغات التي ترتبط معها بصلة قرابة واللغات التي لا تنتمي إلى فصيلتها في كل هذه الحالات خرجت اللغة العربية سليمة قوية واسعة هي لغة الدين ولغة العلم والفلسفة ولغة الأدب وازمحت بجانبها كل لغات البلاد التي دخلت إليها، فاللغة السريانية التي ترجمت إليها الكتب اليونانية أخذت تتدهور بعد أن نقل ما فيها إلى اللغة العربية، والفرس في ذلك العصر أصبحت لغتهم العلمية والأدبية هي العربية، وإن ألفوا وشعروا وكتبوا بالعربية، وحياة اللغة الفارسية إنما كانت عند التكلم العادي أو في أوساط الديانة المجوسية وكذلك اللغات الأخرى من رومانية وقبطية في الشام ومصر وكسبت اللغة العربية من ذلك أنها أصبحت في تأليفها وأدبها وعلومها نتاج كل هذه الأمم تلبس كل أفكارهم وتعبر عن قرائحهم وكسبوا هم منها ما لها من ثقافة إسلامية وأدبية»^(٢).

(١) أحمد أمين فجر الإسلام ص ٥٣.

(٢) أحمد أمين ضحى الإسلام ج ١ ص ٢٩٤.

الفصل الثاني

صراع العربية مع اللغات

في العصور الحاضرة

تعتبر العصور الحاضرة من أشد العصور والأدوار التي مرت بها اللغة العربية، حيث أن هذه اللغة في العصور السابقة كانت تخوض الصراع الطبيعي مع سائر اللغات وهي تمتلك أسباب القوة والمنعة الخارجية، وهي وحدة الدولة العربية الإسلامية وهيمنتها وحمايتها للغة وشدة تمسك المسلمين بدينهم والمحافظة عليه والإعتزاز بلغة القرآن الكريم والتقدم الحضاري الذي كانوا يتمتعون، به فلا عجب إذا ما خرجت اللغة العربية من ذلك منتصرة ظافرة.

أما اليوم فقد انعكس الأمر وتغيرت الأحوال، فقد أصبحت للعرب دول متعددة بعد أن كانت لهم دولة واحدة، وقد ابتعد كثير من المسلمين عن دينهم وضعف تمسكهم، به وقل تبعاً لذلك اعتزازهم بلغة القرآن كما أن أمماً أخرى قد فاقت العرب في مجالات العلم والحضارة والتقدم الصناعي، وسبقتهم في ذلك أشواطاً بعيدة، ومن الواضح إن لغة البلاد المتحضرة أو الأكثر تحضراً، هي الأكثر تأثيراً والأكثر عطاءً، إذ كلما سمت أمة من الأمم وتقدمت في مضامير الحضارة، سمت وتعددت مفرداتها اللغوية وطرق التعبير فيها، وكلما اتسعت حضارة الأمة وكثرت حاجاتها، ومرافق حياتها ورفقي تفكيرها وتهذيب اتجاهاتها النفسية، نهضت

لغتها وسمت أساليبها وتعددت فيها فنون القول، ودقت معاني مفرداتها القديمة، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع والإشتقاق والإقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة.... وهلم جرا.^(١) وبذلك أصبحنا نأخذ من الأجانب أكثر وسائل حياتنا اليومية المادية منها والمعنوية، فهجمت علينا مفردات لغوية لاعد لها، وأساليب تعبيرية لاحصر لها، ومصطلحات علمية وفنية كثيرة، فما زالت الدول المتقدمة صناعياً تقذفنا كل يوم بالعديد من مفردات لغاتها وأساليبها في التعبير عن طريق التجارة والثقافة والصناعة والأفلام والكتب والإذاعات والسفرات والبعثات والمصطلحات العلمية والفنية والرياضية وغيرها.

وإذا أدركنا أن اللغة المغلوبة تقطع في سبيل انقراضها مراحل كثيرة تمتاز كل مرحلة منها بمظهر خاص من مظاهر الإنحلال وضعف المقاومة، ففي المرحلة الأولى تقذفها اللغة الغالبة بطائفة كبيرة من مفرداتها، فتوهن بذلك متنها الأصلي وتجرده من كثير من مقوماته. ولكن اللغة المغلوبة تظل طوال هذه المرحلة محتفظة بقواعدها ومخارج حروفها وأساليبها من نطق الكلمات فيؤلف أهلها عباراتهم ويصرفون مفرداتهم وفقاً لقواعدهم التنظيمية والمورفولوجية (الستكس والمورفولوجيا) وينطقون بألفاظهم الأصلية وما انتقل إليهم من ألفاظ دخيلة طبقاً لأسلوبهم الصوتي ومخارج حروفهم، حتى إنهم ليستبدلون في الكلمات الدخيلة بالحروف التي لا يوجد لها نظير لديهم حروفاً قريبة منها من حروف لغتهم. وفي المرحلة التالية تتسرب إلى اللغة المغلوبة أصوات اللغة الغالبة ومخارج حروفها وأساليبها من نطق الكلمات فينطق أهل اللغة المغلوبة بألفاظهم الأصلية وما انتقل إليهم من ألفاظ دخيلة من المخارج نفسها وبالطريقة نفسها التي يسير عليها النطق

(١) الدكتور علي عبد الواحد وإفي - اللغة والمجتمع -.

في اللغة الغالبة، فيزداد بذلك انحلال اللغة المغلوبة وبدأ نجمها بالأنفول، ولكنها تظل طوال هذه المرحلة مستبسلة في الدفاع عن قواعدها العرفية والتنظيمية (قواعد المورفولوجيا والستكس) وفي مقاومة قواعد اللغة الغالبة. فيركب أهلها جملهم ويصرفون كلماتهم وفق أساليبهم الأولى، وفي المرحلة الأخيرة تضعف هذه المقاومة شيئاً فشيئاً فتأخذ قواعد اللغة الغالبة في الإستيلاء على الألسنة حتى يتم لها الظفر، فيتم بذلك الإجهاز على اللغة المغلوبة، فالقواعد في اللغة المغلوبة أشبه شيء بالقلعة التي تحتمي بها فلول الجيش المنهزم وتقاتل عنها حتى أخر رمتق والتي يتم بسقوطها استيلاء العدو على البلاد.^(١) إذا أدركنا هذا علمنا مدى الخطورة التي تتعرض لها اللغة العربية في العصور الحاضرة، وأدركنا كذلك خطورة الدعوات الهادمة باسم إصلاح قواعد اللغة العربية أو تطويرها وتطوير نحوها والدعوة إلى الشعر الحر وإلى تطوير الأدب العربي كما سيأتي ذلك في الباب الثاني من هذا الكتاب.

المجاميع العلمية في البلاد العربية:

ومن أجل هذه الظاهرة التي أحدثت باللغة العربية، وأحاطت بها في هذه العصور الحاضرة تأسست المجاميع العلمية في بعض البلاد العربية، ففي عام ١٩١٩م تأسس المجمع العلمي العربي بدمشق وكان من دعماة اللغة العربية، وقد ذاع المجمع منشوراً باللغتين العربية والفرنسية وذلك في شهر أيلول سنة ١٩١٩م وأرسل صوراً منه إلى المجلات في الشرق والغرب لتبادل الأفكار وتوثيق العلاقات بينه وبينها وبين أهدافه وهي تنحصر في أربع موارد:

(١) علم اللغة ص ٢١٦.

١. النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة الموضوعات على نمط جديد.
٢. جمع الكتب مخطوطة ومطبوعة وتأسيس دار كتب عامة.
٣. جمع الآثار القديمة عربية وغير عربية وتأسيس متحف لها.
٤. إصدار مجلة خاصة بالمجمع ينشر فيها أفكاره وأعماله وتكون رابطة بينه وبين المؤسسات المماثلة.^(١)

ثم تأسس مجمع اللغة العربية في القاهرة في زمن ملك مصر (فؤاد الأول) وعرف باسم (مجمع فؤاد الأول للغة العربية)، يقول أحد أعضائه وهو المستشرق الألماني الدكتور (أوجست فيشر): «وكان المغفور له فؤاد الأول ملك مصر على علم وثيق بأن لإقامة نهضة فكرية في مصر خاصة وبلاد المشرق العربي عامة، ما لم تبدأ بإنهاض اللغة العربية، حتى تسائر حاجة العلم والأدب والفن، وتتمكن من أداء كل ما تحتاج إليه الحياة النظرية والحياة العلمية، فأصدر مرسوماً ملكياً بإنشاء مجمع اللغة العربية وكان ذلك في الرابع عشر من شهر شعبان سنة ١٣٥١ هـ الموافق ١٣ ديسنمبر ايلول سنة ١٩٣٢ م ويكون مركزه مدينة القاهرة».^(٢) ولكن الملحوظ أن هذا المجمع تألف من جنسيات مختلفة وأديان متعددة وقد لعب دوراً هاماً في حياة اللغة العربية، يقول الدكتور (أوجت فيشر): «وجعله مؤلفاً من عشرين عضواً عاملاً يختارون من غير تقييد بالجنسية من بين العلماء المعروفين بتبحرهم في اللغة

(١) (المجمع العلمي العراقي ص ٢٦).

(٢) فقه اللغة علي عبد الواحد وافي ص ٢٩٠ المجمع العلمي العراقي عبد الله الجبوري ص ٢١.



العربية أو بابحثهم في فقه هذه اللغة، أو لهجاتها، فصار في المجمع من الأعضاء العاملين عشرة مصريين وثلاثة سوريين وعراقي واحد وتونسي وخمسة أوروبيين (إنجليزي وإيطالي وفرنسي واثنان من الألمان)، ومن هؤلاء الأعضاء جميعاً أحد عشر مسلماً وثمانية مسيحيين ويهودي واحد^(١). ثم يعلق (أوجست فيشر) على هذا القول فيقول: «ولا وشاح بأن هذا الاقرار يدل على أن المصريين يأبون على أنفسهم المحاببات والتعصب، سواء من الناحية القومية أو الناحية الدينية، وهنا تشريف للعلم الذي أوجد المجمع لخدمته»^(٢).

وقد جرى المرسوم على هذا المنوال في إجازة انتخاب عشرين عضواً فخرياً لما قاموا به من خدمات تجلية الشأن في دراسة اللغة العربية دون التقيد بجنسياتهم، كذلك في انتخاب المجمع للأعضاء والمراسلين غير محدودي العدد، وهكذا نشأ المجمع فتحققت بنشأته أمنية العروبة التي كانت ردحا من الدهر خيلاً في نفوس الذين يغارون على لغة القرآن. وكانت من أولى اغراض المجمع:

اولاً: أن يحافظ على سلامة اللغة العربية، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وذلك بما يحدد من معاجم أو تفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق، ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ أو التراكيب.

ثانياً: أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وأن ينشر أبحاثاً دقيقة في تاريخ بعض الكلمات، وتغيير مدلولاتها.

ثالثاً: أن ينظم دراسة علمية اللهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية.

(١) الدكتور محمد محمد محمدي - درس اللغة والأدب ج ١ ص ١٧٥ - .

رابعاً: أن يبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة العربية، مما يعهد إليه فيه من وزير المعارف العمومية.

خامساً: أن يصدر مجلة تنشر فيها أبحاثه التاريخية وقوائم الألفاظ التي يرى استعمالها أو تجنبها، وتتقبل مناقشات الجمهور واقتراحاته.

سادساً: أن ينشر على الطريقة العلمية من النصوص القديمة ما يراه لازماً لأعمال المعجم ودراسات فقه اللغة.

وقد جعل المعجم تحقيق هذه الأغراض كلها رسالته.^(١)

وفي العراق تأسس (المجمع العلمي العراقي) بتاريخ ١٢ محرم ١٣٦٧ هـ الموافق ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧ م، وصدرت الإرادة الملكية بالموافقة على تأسيسه وفق نظامه في العدد ٢٥٦٠ من الوقائع العراقية الصادرة في ١١-١٢-١٩٤٧ م.^(٢) الذي كان من أهدافه:

- ١- العناية بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشؤون الحياة الحاضرة.
- ٢- البحث والتأليف في آداب اللغة العربية وفي تاريخ العرب والعراقيين ولغاتهم وعلومهم وحضارتهم.
- ٣- دراسة علاقات الشعوب الإسلامية بنشر الثقافة العربية.
- ٤- حفظ المخطوطات والوثائق العربية النادرة وإحيائها بالطبع والنشر على أحدث الطرق العلمية.

(١) المصدر السابق ص ١٧٦، فقه اللغة وافي ص ٢٩٠ وما بعدها.

(٢) المجمع العلمي العراقي - نشأته، أعضاؤه، أعماله. تأليف عبدالله الجبوري مطبعة العاني - بغداد ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.



٥- البحث في العلوم والفنون الحديثة وتشجيع الترجمة والتأليف فيها وبث الروح العلمية في البلاد.^(١)

وقد عقد المجمع أول جلساته في ١٢/١/١٩٤٨م وانتخب ديوان الرئاسة الذي يتألف من:

١. الأستاذ الشيخ محمد رضا الشيب... رئيساً.

٢. السيد توفيق وهبي... نائباً للرئيس.

٣. الدكتور هاشم الوتري... نائباً ثانياً للرئيس.

وقد قام المجمع بنشاطات كثيرة منها إصدار مجلة باسمه، ومنها تنظيم مواسم ثقافية، وإلقاء محاضرات مختلفة، ومنها ساعد على نشر كتب وطبعها، كما قام بتأسيس مكتبة وشراء أمهات المظان وأصول المراجع في اللغة والأدب والفلسفة والأنساب والتاريخ وغيرها مما يتفق وتحقيق أهدافه العلمية.

إن في وجود المجامع اللغوية أقوى سند لقضية اللغة، فالمجامع هي الديدبان على صونها والمعين على بقائها، بل هي المسؤولة عن تراث الفكر والبيان فيما ترك الأوائل من ذخائر العربية وإادابها.^(٢) فالمجامع اللغوية في البلاد العربية من واجبها حماية اللغة العربية، والمحافظة عليها، والإرتفاع بها لمواجهة متطلبات الحياة الحديثة، ومحاربة ما يطرأ عليها من خن أو تحريف، وكذلك تهذيب مصطلحاتها وتوسيع نطاقها، وترقية هجاتها العامية، ولكن الشيء الملحوظ إن هذه المجامع يجب أن تسبق الكلمة الدخيلة الجديدة، بإصطلاح من عندها قبل أن تجري الكلمة على الألسن، وتتداولها الشفاه، لأن اللفظ متى شاع في معنى أو ذات صعب محوه من الكلام،

(١) المجمع العلمي العراقي - نشاته. اعضاؤه. اعماله ص ٣٧.

(٢) الدكتور زكي المحاسني - نظرات في أدبنا المعاصر ص ٩٦.

وعسر طرده من اللغة، وإذا وضعنا بجانبه لفظاً آخر من العربي الفصيح، وضعناه ميتاً، لأن أغلب الناس لن يستعملوه والقليل الباقي منهم لن يقبلوه، وإذا قبلوه واستعملوه اتسع الخلاف بين لغة القلم ولغة اللسان، وانقطعت الصلة بين إذهان الخاصة، وإذهان العامة مثال ذلك ان نترك كلمة (بلوز) الدخيلة لنقول مكانها كلمة (دراعة) العربية المهجورة التي اريد لها ان تكون بدلا من الكلمة الدخيلة، ونطرح جانباً كلمة (الاو كسجين) لنقول بدلها كلمة (المحر)، واهيدروجين نستبدلها بكلمة (المائة)، وكلمة (الترمس) نقدفها بعيداً لنقول (الكظيمة) وفضيع ان يامرنا لغوي الا نقول (بنزين) بل نقول (صريم).^(١)

كذلك يجب ان تكون الكلمة العربية التي يراد بها ان تعادل الكلمة الاجنبية، مقبولة النغم والجرس، وافية بالغرض، وان لا تكون محلاً للاستهزاء او التندر كما حدث لمجمع اللغة العربية في مصر ان اطلق على كلمة (الساندويش) الاجنبية كلمة (شطيرة) العربية وجمعها (شطائر) فراحت جماعة منهم من باب السخرية تقول: «شاطر ومشطور وبينهما طازج»^(٢) وجعلت ذلك ذريعة لكي تنتقص اللغة العربية، وتصمها بالقصور وعدم الاستطاعة لمواكبة التطور العلمي والحضاري مما اثار الدكتور (محمد محمد حسين) في ان يرد ذلك بقوله: «وضرب الأمثلة بمثل (شاطر ومشطور وبينهما طازج) على قصور اللغة العربية، يدخل من باب النكت والطرائف، ولكنه لا يدخل في باب البحث الجاد، لأن اللغة التي نطالب بالحفاظ عليها وتدریس أديها ونصوصها ليست هي لغة (شاطر ومشطور وبينهما طازج) و (شاطر ومشطور وبينهما طازج) ليست - ان صحت نسبتها لمجمع اللغة العربية وما اظنها صحيحة -

(١) المعلم الجديد ج ٣ م ٢٥ ص ٦٣.

(٢) الدكتور محمد محمد حسين - حصوننا مهددة من داخلها - ص ٢٨٢ الطبعة الثالثة.



من عيوب اللغة العربية، ولكنها من عيوب مجمع اللغة العربية في مصر. على ان مجمع اللغة العربية ليس عليه من باس ولا على غيره من المجمع والمحافل والمؤسسات من حرج، في ان يقترحوا ما يشاؤون من مسميات ومصطلحات لمواجهة متطلبات الحياة، يقبل بعضها فيكتب له الذبوع والسيرورة، وتعرض اللسنة والاقلام والإذان عن بعض اخر فيموت حتى تظهر الكلمة الملائمة على لسان كاتب او شاعر، او عالم او مترجم. والكلمة الاخيرة في هذه المسميات والمصطلحات للذوق العربي العام وحده، الذي قبل كلمة، السيارة، والدراجة، والإذاعة والشطائر التي زعمها المشنعون بالمجمع (شاطر ومشطور وبينهما طازج) وغيرها كثير^(١).

كيف نعامل اللفظ الاجنبي؟

مر بنا قبل قليل ان الالفاظ الاجنبية في هذا العصر وأخذت تهجم علينا من مختلف الجهات وبواسطة مختلف الاشياء المادية والمعنوية فهل نسمح لهذه الالفاظ ان تدخل إلى متن لغتنا وما هو موقفنا عنها وإذا سمحنا لهذه المفردات ان تدخل إلى متن لغتنا. فما هو مصير هذه اللغة بعد فترة من الزمن هل ستبقى كما هي الآن؟ وهل ستحافظ على كيانها ووجودها؟ هذه وغيرها من الاسئلة جعلت القائمين على شؤون هذه اللغة في المجمع العلمية العربية يضعون الخطط لأجل مواجهة هذا السيل الجارف من الالفاظ الاجنبية ويتعاملون مع اللفظ الواحد منها بما يتناسب وهذه اللغة توجد عدة طرق تتبعها هذه المجمع، قبل ان يقتحم علينا اللفظ الاجنبي لغتنا، فيوهن بذلك متنها اللغوي واهم هذه الطرق هي:

(١) محمد محمد حسين - حصوننا مهددة من داخلها - ص ٢٨٥.

١. ان نبحث عن كلمة عربية متداولة، للدلالة على هذا المعنى الاجنبي الجديد ونضعها موضع الاستعمال مع مراعاة عدم حدوث اشتراك لفظي.
٢. ان نفتش عن كلمة عربية مهجورة قديمة يقرب معناها من المعنى الاجنبي الجديد ونستعملها بدلا من الكلمة الاجنبية.
٣. ان نشق كلمة عربية جديدة من الكلام العربي، ونضعها مكان اللفظ الاجنبي الجديد، سواء كان هذا الاشتقاق عن طريق الاشتقاق الاصغر الذي يعتمد على الفعل على مذهب الكوفيين او على المصدر على مذهب البصريين او كان عن طريق الاشتقاق من اسماء الاعيان او الاشتقاق للمصادر الصناعية.
٤. إذا لم تف الطرق الثلاث المتقدمة، فلا مانع من استخدام اللفظ الاجنبي مع صياغة اصواته (حروفه) حسب النطق العربي وذوقه، حيث ان الكلمات الدخيلة يجب ان يدخل عليها كثير من التحريف حتى تلائم اللغة التي انتقلت اليها فقد يحذف بعض الحروف، وقد يستبدل به غيره، وقد تغير صيغته، وقد يتغير مدلوله، وهو لهذا يعتبر جزءا من اللغة التي دخل اليها.^(١) لأنه لاختلاف بين العلماء في جواز استعمال اللفظ (المعرب) وهوما استعمله العرب الفصحاء من كلمات دخيلة، وقد حددوا القبائل التي أخذوا عنها باعتبارهم العرب الفصحاء كما حددوا الزمن الذي أخذوا فيه باعتباره حدا بين العزلة والاختلاط من تلك القبائل، قال السيوطي: «ان الذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعندهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم (قيس وتميم واسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين) ولم يؤخذ عن غيرهم

(١) الدكتور عبدالرزاق محي الدين - محاضرات في فقه اللغة.



من سائر قبائلهم»^(١) وقال ابو عمرو ابن العلاء: «افصح العرب عليا هوزان وسفلى تميم»^(٢) وقد عقد ابن جنى بابا (في ترك الأخذ عن اهل المدر كما أخذ عن اهل الوبر) وقال: «ان علة ذلك ما عرض للغات الحاضرة واهل المدر من الاختلال والفساد والخطل، ولو علم ان اهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شيء من الفساد لغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن اهل الوبر، وكذلك لوفشا في اهل الوبر ماشاع في لغة اهل المدر من اضطراب الالسة وخبالها، وانتقاص عادة الفصاحة وانتشارها، لوجب رفض لغتها، وترك تلقي ما يرد عنها»^(٣)

هذا من ناحية القبائل اما من ناحية الزمن فقد اصطلح الباحثون في شؤون اللغة العربية على ان العرب الفصحاء هم عرب البدو من جزيرة العرب إلى اواسط القرن الرابع الهجري، وعرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري ويسمون هذه العصور بعصور الاحتجاج فكل ما استعمل في هذه الفترة من الفاظ غير عربية يعتبر (معربا)^(٤) وتقدم في انه لا خلاف في جواز استخدام

(١) السيوطي المزهج ج ١ ص ١٠٥

(٢) هوزان قبيلة مضرية كبيرة، اشهر فروعها: ثقيف - في الطائف قرب مكة - وعامر بن صعصعة وجشم وسعد بن بكر - التي منها حليلة مرضعة الرسول ﷺ - وهلال، وكانوا منتشرين في جنوب نجد وفي شرقي الحجاز قريبا من مكة. واما تميم فقبيلة مضرية ايضا. قال ابن خلدون: «كانت منازلهم بارض نجد دائرة من هناك على البصرة واليمامة وامتدت إلى العذيب من ارض الكوفة» وكان منهم شعراء كثيرون ففي الجاهلية كاوس بن حجر وعيدة بن الطيب، وفي الإسلام جرير والفرزدق والراجزان المشهوران (العجاج وابنه رؤبة) - انظر ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٤٦.

(٣) - ابن جنى - الخصائص ج ١ ص ٤٠٥

(٤) - الدكتور عبد الرزاق محي الدين - محاضرات في فقه اللغة.

(المعرب) وهو ما استعمله العرب الفصحاء من كلمات دخيلة ففي العصر الجاهلي استعمل الأعشى كلمة (شنشهاء) أي ملك الملوك، واستعمل امرؤ القيس (السجنجل) وهي المرأة المجلوة بقوله:

مهفهة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

وكان التجار منهم يجلبون الرياش والاثاث والثياب وصنوف البقول وأنواع الماعون ويجلبون أسماءها معها.^(١) وقد ورد كثير من الالفاظ (المعربة) في القرآن الكريم مثل: زنجبيل وسجيل وسجين وسلسيل، وقسطاس، وقنطار... كما ان النبي ﷺ - وهو أفصح العرب قاطبة - حيث يقول: «أنا أفصح العرب بيد أنا من قريش، واني نشأت في بني سعد ابن بكر»، وقد استعمل بعض الالفاظ الاجنبية (المعربة) مثل كلمة (الاريسين) في الرسالة التي وجهها إلى ملك الروم وختمها بقوله «فان توليت فانما عليك أثم الاريسين»^(٢) والاريس في لغة اهل الشام (الكاك) وهو الفلاح او الحارث.

المولد:

اما (المولد) وهو ما استخدمه (المولدون) في العصور التي تلت عصور الاحتجاج فقد كثر في كلام العرب بعد الإسلام وبعد الفتح فأخذ العرب الفاتحون

(١) - الدكتور أحمد أمين - ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٤٨.

(٢) - تاريخ العيوقي ج ٢ ص ٦٧.



من الفرس اسماء نباتاتها وحيوانها وماعونها... الخ. وفعلوا كذلك في العراق والشام ومصر فمن الحيوان (جاموس وبط وبرذون وفيل... الخ). ومن النباتات (فلفل وكمثرى وخوخ وجوز ولوز ونرجس وورد وياسمين... الخ). ومن العقاقير (قرفة ومصطكا... الخ). ومن الطيب (مسك وعنبر وصندل). ومن اللباس (قميص وسروال وكرباس وديباج وابرايسم وخز). ومن الماكول (فالزوج وسمين وسكر... الخ). ومن المعادن (رصاص وزئبق وجص.... الخ). ومن الاحجار (زمرد وياقوت وفيروز... الخ). ومن الالات والادوات (منجنيق وبركار وقانون وناي وبربط وقمقم وطست وطبق وكوز وفنجان ولجام)... الخ مما لا يعد ولا يحصى.

وقد الفت في ذلك الكتب الكثيرة، وعلماء اللغة العربية الذين دونوا اللغة لم يكونوا مهرة في اللغات المختلفة فعدوا كثيرا من الكلمات عربية الاصل مع انها مشتقة من لغات كثيرة، كمنبر فانها مأخوذة من الحبشة - في الغالب - من (ومبر) بمعنى كرسي اوجلس، وعلماء اللغة يقولون انها من (نبر) بمعنى ارتفع، وكالنفاق قالوا: انه من النافقاء، وفي الحبشة معناها البدعة في الدين، وكقبس فان خبس في اللغة الهيروغليفية بمعنى مصباح، وكبني معناه في الهيروغليفية رئيس الاسرة.^(١) وكثيرا كانوا إذا عربوا كلمة حوروها إلى وزن من اوزانهم، كدينار معرب عن دينار يوس denarias، وقد يبقونها على وزنها من غير تغيير ولولم يكن لها وزن في لغتهم كخراسان وابراهيم واجر وشطرنج وابريس، وقد يدخلون عليها تغييرا، ومع هذا التغيير لا تتفق مع اوزانهم (كشنهشاه) معرب (شاهان شاه). وقد اختلف علماء العربية في ذلك فقال الجوهرى: «التعريب ان تتكلم العرب بكلمة على نهجها

(١) انظر جورجى زيدان كتاب (فلسفة اللغة) وكتاب الفروق للامانس. والاشتقاق والتعريب للمغربي.

واسلوها»، وتبعه الحريري في ذلك فقال في (درة الغواص): «ان فتح الشين من الشطرنج خطأ والصواب كسرها لتصير على وزن (قر طعب) (جرد حل) ويريان انه إذا نطقت العرب بكلمة لا على وزن لغتهم كخراسان واجر لم تكن عربية بل تبقى اعجمية». اما سيبويه وجمهور اهل اللغة، فقد ذهبوا إلى ان التعريب ان تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية مطلقا ولولم تكن على وزن كلماتها.

وكان العرب إذا حولوا كلمة إلى لغتهم اخضعوها لقوانين اللغة فتتوارد عليها علامات الاعراب وتعرف بال وتضاف ويضاف اليها، وتثنى وتجمع، وتصرف ويشق منها. فقالوا في زنديق: زندق وتزندق، وفي طراز: طرز تطريزا وهو مطرز ومطرز، ومن ديوان: دون تدوينا، ومن نوروز: نورز، وفي لجام: الجم وهو ملجم، والمصدر الجام وقالوا: درهمت الخبازي، أي صارت كالدرهم، وقالوا: جنتونا بالمنجنيق. واستمر المعربون على تعريبهم في العصر العباسي وكان ذلك حتى في يد غير العرب فابن المقفع في كليلة ودمنة عرب البازيار (مربي البزاة) وسرجين (الزبل) وفيح (رسول السلطان) واساورة (جمع اسوار لمن يحس الرمي).

والجاحظ عرب بعض كلمات اعجمية في كتبه كالكرابج (جمع كُرْبُج) وهو الحانوت، والنصارى النساطرة في تعريبهم استعملوا كلمات اعجمية من اسماء امراض ونباتات وعلاج ونحوها. ^(١) وكان ابو علي الفارسي يقول: «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب فإذا عربت كلمة اعجمية اجريت عليها احكام الاعراب وعددها من كلام العرب واجزت الاشتقاق منها كما عرب العرب لفظة الدرهم واشتقوا منها درهمت الخبازي أي صارت كالدرهم وقالوا: رجل مدرهم: أي أكثر دراهمه»، وكان يقول: «لوشاء شاعر او ساجع ان يبنني من كلمة اسما

(١) الدكتور أحمد أمين - ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٥٠



وفعلا وصفة لجاز له ولكان ذلك من كلام العرب، وذلك نحو قولك: (خرجج أكثر من دخلل) فقال له تلميذه ابن جني: افترجل اللغة ارتجالاً؟ قال: ليس بارتجال: الا ترى انك تقول طاب الخشكتان، فتجعله من كلام العرب وان لم تكن العرب تكلمت به؟ فرفعك اياه دليل على انك اخضعته لكلام العرب»^(١).

من هذا كله يمكن القول ان هذه الحالة التي تمر بها اللغة العربية الآن في العصور الحاضرة، كانت قد مرت بها هذه اللغة من قبل فقد واجهت هذه اللغة في العصر العباسي حضارات كثيرة ومتنوعة وامتزجت امتزاجاً شديداً وقد نقل المسلمون كثيراً من العلوم الاجنبية إلى هذه اللغة عن طريق ترجمتها فما كان موقفهم يختلف عن موقف المجامع في عصرنا هذا فكانوا يضعون الكلمة العربية مكان الكلمة الاجنبية او يشتقون لها لفظاً عربياً او يضعونها في حالة الاضطراب بالفاظها الاجنبية ويتبعوها بشرح معناها إلى ان تأتي الكلمة العربية المناسبة ويتحدد مدلولها مثال ذلك (حنين بن اسحاق) المتولد عام ١٩٤ هـ فانه ترجم كثيراً من كتب اليونان إلى العربية فكان إذا واجهه المصطلح العلمي الذي لم يجد له ما يناسبه في العربية وضعه بين قوسين واتبعه بشرح من عنده، قال في اول كتاب الاسابيع لبقرط، وشرحه جالينوس، وترجمته لحنين: «قال جالينوس: ان ابقرط شبه الإنسان بالدينا وسماه الدينا الصغيرة لأن تدبيره على تدبير الدنيا، وهذا الكتاب هو لا أصحاب القياس، اعني الصنف من الاطباء الذين يدعون (دعماً طيقيين) وهم ذوو الجدل والمحاورة، وقد ذكر ههنا جزءي الطب؛ الجزء الذي يسمى (فسيولوجيا) وهو معرفة الطبائع والتوسم لها، والجزء الذي يدعى (بطلوغيا) وهو معرفة العمل»^(٢).

(١) الدكتور أحمد أمين - ظهر الإسلام ج ٢ ص ٩١

(٢) كتاب الاسابيع ص ٤

نعم واجه العرب في العصر العباس صعوبة شديدة في نقل الذخيرة العلمية الاجنبية إلى اللغة العربية، بل وفي وضع مصطلحات لعلومها كالنحو والفقه ورأوا انهم أمام علوم جديدة وأفكار جديدة، وان رقعة المملكة الإسلامية قد اتسعت، واختلفت اقاليمها. ولكل اقليم نبات، وحيوانات لم تكن تعرفها، ورأوا أنها قدمت على انماط من النظم الاجتماعية، لم تكن تألفها فقد انشئت دواوين لم تنشأ في العهد الأموي. واخترعت في الاغاني نغمات لم تعرف لها اسما عربيا، والآت الموسيقى فارسية ورومية، ولكل اسمه فقد واجه العرب الحضارة العباسية؛ كما يواجه اليوم العرب الحضارة الغربية وهكذا، فماذا تصنع أمام هذا السبيل الجارف؟ اتنطق بكل هذه الاسماء كما ينطق اهلها؟ وفي ذلك اهدار لشخصيتها، او تضع لها اسما عربية من عندها؟ وفي تعميم هذا صعوبة شاقة، ولقد تغلبت على ذلك كله في دقة ومهارة. وفي الحق ان معجم اللغة العربية تضخم في العصر العباسي عن طريقين:

الأول: وهو الأكثر، التوسع في مدلول الكلمات العربية، فالعربي لم يكن يعرف الفاعل، المفعول، بالمعنى الذي يفهمه النحوي، ولا يعرف القضية ولا الموضوع والمحمول، بالمعنى الذي يعرفه المنطقي، ولا يعرف الطويل والخفيف والمديد، بالمعنى الذي يفهمه العروضي وهكذا. ولقد ملئت الكتب بحكايات ظريفة كانت تجري بين النحويين والاعراب الوافدين، فلا يستطيع الاعرابي ان يفهم النحوي لأنه يكلمه بمصطلحات لا علم له بها.^(١) وكان علماء اللغة يعملون جهدهم في الأخذ عن الاعراب ويجتهدون في وضع الصيغة التي يفهمها الاعرابي، فإذا قيل

(١) مثال ذلك ما حكى الربيع بن عبد الرحمن السلمي قال: قلت لاعرابي اتهم اسرائيل؟ قال: اني إذا لرجل سوء، قال: اتهم فلسطين؟ قال: اني إذا لقوي، وقال: خلف، قلت: لاعرابي القى عليك بيتا ساكنا؟ قال: على نفسك فالفقه.



له: صغ من وفي على وزن مفعّل لم يفهم لأنه مصطلح علمي. بهذا كثرت معاني الكلمات العربية فلو عمل معجم لغوي في العهد الأموي ما وجدنا للطويل معنى انه بحر من بحور الشعر، ولا وجدنا فيه فاعلا وظرفا بمعناهما النحوي... وهكذا. وقد سد هذا الباب أكثر الحاجات العلمية، فانك تقرا النحو والصرف والفقه فلا تجد فيها لفظا اعجميا، بل تقرا المنطق كله - وهيوناني الاصل - فلا تكاد تجد فيه كلمة اجنبية الا مثل سفسطة، وكذلك الشأن في الفلسفة والرياضة فاستعملوا كلمة كيفية وكمية وجوهر وعرض، والمثلث والمربع والزاوية... الخ، ولم ينقلوا الكلمات الاعجمية إلى اللغة العربية.

الثاني: نقل الكلمات الاعجمية نفسها إلى العربية وأكثر ما كان ذلك في اسماء البلدان والنباتات والحيوانات، والالات والأمراض، والماكل التي لم يكونوا يعرفونها من قبل، وفي هذا تصرفوا تصرفات مختلفة طوعا للسانهم ولم يجروا في ذلك على سنن واحد، قال الجواليقي: «ان العرب كثيرا ما يجترئون على الاسماء الاعجمية فيغيرونها بالاببدال، قالوا: اسماعيل واصله اسمائيل فابدلوه لقرب المخرج. وقد يبدلون مع البعد من المخرج وقد ينقلونها إلى ابنتهم ويزيدون وينقصون»^(١) وفي الواقع لو قارنا بين اصل الكلمات الاعجمية وما عربت به، وجدنا انهم لم يتبعوا قواعد ثابتة فتارة يبدلون الشين سينا وحيانا يبقونها، وحيانا يقلبون الثاء تاء وحيانا يبقونها وتارة يغيرون تغييرا خفيفا وتارة تغييرا كبيرا^(٢)، والذي نلاحظه في ذلك ان النقل كان من مصدرين: مصدر العلماء الذين واجهوا كتب الاعاجم فعربوا بعض اسماء

(١) المزهر ج ١ ص ١٣٣

(٢) للامثلة على ذلك راجع كتاب الفروق للامانس، وكتاب الالفاظ الفارسية والمزهر للسيوطي وكتاب فقه اللغة للثعالبي.

النبات والحيوان، وهؤلاء تعريبهم اقرب إلى الاصل واقرب ان يكون على نمط واحد. ونقل لم يكن من عمل العلماء ولكن كان العرب الأميون وامثالهم متروكين فيه لسليقتهم. فالعربي يسمع اسم بلدة فارسية او شيء يوناني فينطقه كما يسهل عليه حسب ما اتفق له. وقد يسمع عربي اخر اسما اخر في ناحية أخرى، فينطقه نطقا ليس على نمط الأول بل ان الكلمة الواحدة قد ينطقها قوم من العرب نطقا خاصا وينطقها اخرون نطقا مخالفا فيكون في الكلمة لغتان أو أكثر.^(١)

واما ما ادخله بعض الباحثين في العصر الحاضر، او يرى ادخاله في اللغة العربية من كلمات اجنبية تتعلق بالمخترعات او المصطلحات العلمية والفنية وهو (المحدث) فبعض الناس لا يميزه ويرى ضرورة ترجمته، واعتبار ادخاله في متن اللغة العربية اضعافا لها، ولكن هذا الرأي لا يتفق وحقائق الاشياء، ولا ينسجم مع طبيعة الاشياء، فما من لغة في العالم تعيش بمنجاة من الالفاظ الدخيلة.

وما دام العرب قد قبلوا ذلك ورضوه فما بالنا نتخوف منه وبخاصة عند الضرورة. يقول الدكتور عبدالرزاق محي الدين: «ويرى مجمع اللغة العربية عدم جواز استعمال المولد، لأن في العربية غنى عنه، ولأن في بطون معجماتها مئات الالاف من الكلمات المهجورة الحسنة النغم والجرس، الكثيرة الاشتقاق ما يصلح ان يوضع للمسميات الحديثة، بدون حدوث اشتراك».

وقد عنى المجمع بتطبيق هذا القرار، فوضع عددا كبيرا من الاسماء العربية لمسميات حديثة، غير انه قد احتاط للحالة التي تدعويها ضرورة قاهرة إلى استخدام لفظ اجنبي في الشؤون العلمية والفنية ويتعذر ايجاد لفظ عربي يحل محله، فاجاز في هذه الحالة فقط استخدام اللفظ الاعجمي بعد صقله بالأساليب الصوتية العربية،

(١) - أحمد أمين - ضحى الإسلام ج ١ ص ٢٩٣

وهذا نص قراره: (يحيى المجمع ان يستخدم بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم).^(١)

ولا تزال حركة ايجاد واشتقاق كلمات عربية تقابل الكلمات الاجنبية الواردة علينا، من اهم وابرز الفعاليات اللغوية في البلاد العربية، وقد وجدت كلمات عربية جميلة كالسيارة والطائرة والطابعة والمروحة وغيرها كثير لتقابل الاسماء الاجنبية لمستحدثات جديدة. وبعد ان وثق العرب باتساع لغتهم وقدرتها على الاشتقاق والتوليد لم يجدوا حاجة ماسة إلى التعريب وتبني الكلمات الاجنبية إلا في القليل النادر. ولوان اللغويين القدامى والمترجمين نحو هذا المنحى في عدم اللجوء إلى التعريب الا عند الياس من الحصول على الكلمة العربية الموافقة لكان ما دخل لغتنا من المعرب اقل مما هو عليه الآن، وقد عم الاقتناع بين الناس بضرورة استعمال اللفظ العربي عندما يؤدي المعنى الذي يحمله اللفظ الاجنبي. وفي العصر الحاضر نجد ان اللغة العربية اتسع استعمالها في الاوساط العالمية وازداد اهتمام الاجانب بتعلمها، وهي تدرس في بعض مدارس البلاد الاجنبية بوصفها لغة اجنبية اختيارية، وفي كل عام دراسي يقصد كثير من الاجانب الجامع الازهر والمدارس الدينية في النجف الاشرف لتعلم العربية ودراسة علومها لاسيما الفقه والتفسير والتاريخ الإسلامي، هذا عدا ما يبذله المستشرقون من جهد واسع في تعلمها ودراسة تراثها.^(٢)

وهذه كلها بشائر تدعو إلى التفاؤل، وتدل على صمود هذه اللغة وصلابتها أمام صراعها مع اللغات الأخرى في هذا العصر وقابليتها لمواكبة التطورات الهائلة التي حدثت في العالم في مختلف المجالات، وقدرتها في مواجهة الصراع من أجل البقاء.

(١) الدكتور عبد الرزاق محي الدين محاضرات في فقه اللغة.

(٢) - الدكتور احمد حسن الرحيم - أصول تدريس اللغة العربية والتربية الدينية ص ٥

الفصل الثالث

صِراعُ العَرَبِيَّةِ مَعَ اللِّهْجَاتِ
الَّتِي انْشَعَبَتْ مِنْهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ

يحسن بنا ونحن في بداية هذا الفصل ان نحدد اللغة العربية التي نريد التحدث
عن صراعها مع اللهجات التي تفرعت منها.

ما هو المقصود باللغة العربية ؟

المقصود باللغة العربية هي اللغة الفصحى التي نستخدمها اليوم في الكتابة
والخطابة والتأليف، وهي الكلمات التي كان يعبر بها العرب منذ ان عرف تاريخهم،
ونسبة هذه اللغة اليهم، لأنها لغتهم التي فتقت عليها اسماعهم، ودارت عليها رحي
بيانهم في التعبير عن اغراضهم.^(١) واول من انطق الله سبحانه وتعالى لسانه بلغة
العرب هو (يعرب بن قحطان) وهو ابو اليمن كلهم^(٢)، وهم العرب العاربة ونشا
(اسماعيل بن ابراهيم) عليه السلام معهم فتكلم بلسانهم فهو واولاده هم العرب المستعربة.^(٣)

(١) محمد بدر الدين ابوصالح - المدخل إلى العربية - ص ١٠ الطبعة الأولى ١٩٦٣

(٢) فخري الدين الطريحي - مجمع البحرين - مادة (عرب)

(٣) ابن منظور - لسان العرب - مادة (عرب)

ويقول الاستاذ محمد الخضر حسين: «واقصى ما ثبت في التاريخ ان هذه اللغة كانت في قبائل من ولد (سام بن نوح) عليه السلام، وهم (عاد، وثمود، وجهم الأولى، ووبار... وغيرها) وقد انقرضت اجيال هؤلاء الا بقايا متفرقين في القبائل، ولا يصح شيء مما يروى عنهم من الشعر، وقد انكر العارفون على من كتب في السيرة اشعارا كثيرة نسبها إلى عاد وثمود، ثم انتقلت إلى (بني قحطان) وكانوا يتكلمون اللسان (الكلداني) لسان اهل العراق الاصليين واول من انعدل لسانه إلى العربية (يعرب بن قحطان) وبعد ان نشأت منها الحميرية لغة اهل اليمن، انتقلت إلى اولاد (اسماعيل) عليه السلام بالحجاز، ولم تكن لغة اسماعيل عربية بل كان عبرانيا على لسان ابيه (ابراهيم) عليه السلام ثم انخرط في شعوب العرب بمجاورتهم، ومصاهرته لجرهم الثانية، حيث نزل بمكة فنطق بلسانهم وورثه عنه اولاده، فأخذوا يصوغون الكلام بعضه من بعض، ويضعون الاسماء بحسب ما يحدث من المعاني، إلى ان ظهرت اللغة في كامل حسننها وبيانها، وصار لها شان عظيم، وتأثير بليغ»^(١) ويقول المسعودي في مروجه في معرض حديثه عن يعرب بن قحطان: «وهو أول من تكلم بالعربية لاعرابه عن المعاني وابانتها عنها»^(٢) ولكنه قد ورد عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: «اول من شق لسانه بالعربية اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان لسانه على لسان ابيه واخيه وهو اول من نطق بها وهو الذبيح»^(٣) وقال الإمام الباقر عليه السلام: «اول من فتن لسانه بالعربية المبيته اسماعيل وهو ابن عشر سنين»^(٤)

(١) - محمد الخضر حسين - دراسات في اللغة العربية وتاريخها ص ١٢٠

(٢) - المسعودي - مروج الذهب - ج ١ ص ٤٣

(٣) - البحار ج ٧٨ ص ٦٧٨

(٤) - البيان والتبيين ج ٦ ص ٢٩٠



كيف تتكون اللغات؟

هنا توجد عدة نظريات منها ان اللغة بضعها واضع ومنها ان اللغة حاجة بشرية وحسب القوة المودعة من الله تعالى فيها تقتضي افادة مقاصد الإنسان بالالفاظ فيخترع من عند نفسه لفظاً مخصوصاً عند ارادة معنى مخصوص كما هو مشاهد من الصبيان عند اول امرهم فيتفاهم مع الآخرين الذين يتصلون بهم والآخرين كذلك يخترعون من انفسهم الفاظاً لمقاصدهم وتتألف على مرور الزمن من مجموع ذلك طائفة صغيرة من الالفاظ حتى تكون لغة خاصة لها قواعدها يتفاهم بها قوم من البشر وهذه اللغة قد تتشعب بين اقوام متباعدة وتتطور عند كل قوم بما يحدث فيها من التغير والزيادة حتى تنشق منها لغات أخرى فيصبح لكل جماعة لغتهم الخاصة.^(١) هذا واللغة العربية احدى اللغات التي اطلق عليها العالم النمساوي (شلوتسر) Schlotzer اسم (اللغات السامية) معتمدا على جدول انساب (النبي نوح) عليه السلام المذكورة في التوراة.^(٢)

وهناك من يرى ان لا وجود للغة السامية وان اللغة الأم للغات التي يقال عنها انها تفرعت عن السامية انها هي متفرعة عن العربية إذ هي اللغة الأم للغات السامية، ومن هؤلاء الدكتور (احمد سوسة) حيث كتب تحت عنوان: سامية ام عربية؟ يقول: «ان تسمية سامية اطلقت على الشعوب التي زعمت انها انحدرت من صلب (سام) وكان اول من اطلقها بهذا المعنى العالم النمساوي (شلوتسر) Schotzer عام ١٧٨١ للميلاد فشاعت منذ ذلك الحين، واصبحت عند علماء الغرب علماً لهذه

(١) (محمد رضا المظفر اصول الفقه ج ١ ص ١٠)

(٢) - محمد بدر الدين ابوصالح - المدخل إلى العربية ص ٨١



المجموعة من الشعوب وسرت إلى المؤرخين العرب، وباحثيهم بطريقة الاقتباس والتقليد على الرغم من ان هذه التسمية لا تستند إلى واقع تاريخي أو إلى أسس علمية عنصرية صحيحة، أو وجهة نظر لغوية، إذ تعتبر أكثر ما تعتبر الحدود الجغرافية، والعلاقات السياسية^(١). ويضيف الدكتور أحمد سوسة قائلاً: «ثم ان اصطلاح السامية يشير إلى نسب، لذلك ذهب بعض الباحثين إلى تحطئة تسمية (السامية) وتأكيدهم ان تسمية (العربية) هي أكثر تمشية مع الواقع التاريخي والعلمي، لأن اسم (العرب) ورد منذ القديم في الكتابات البابلية والاشورية، ثم اطلق الفرس واليونان والرومان اسم (العرب) على سكان جزيرة العرب منذ الالف الأولى قبل الميلاد»^(٢). وعن ايد هذا الرأي من الباحثين، أي الرأي القائل بتسمية الاقوام العربية وكل من سكن الجزيرة العربية اوخرج منها، بالعرب الباحث المعروف الدكتور (جواد علي) فقال: «إذا اردنا ان يكون كلامنا علمياً او قريباً من العلم، وجب علينا اهمال كلمة (الشعوب السامية) و (الساميين) وتبديلها بكلمة (الشعوب العربية) و (العرب) لأن هذه التسمية ملموسة المفهوم بينما تلك اصطلاح مبهم»^(٣).

وتحت عنوان: اللغة العربية اللغة الأم للهجات والاقوام السامية، كتب الدكتور أحمد سوسة فقال: «والمسلم به باجماع الباحثين ان القبائل العربية التي نزحت من الجزيرة العربية كانت كلها تتكلم لغة واحدة هي اللغة العربية الاصلية قبل ان تتفرق»^(٤). ويضيف: «ثم تفرع من هذه اللغة عدة فروع انطبع كل منها

(١) نولدك - اللغات السامية - الترجمة العربية ص ٨

(٢) محمد عزت دروزة - تاريخ الجنس العربي ج ١ ص ١٨

(٣) الدكتور جواد علي - تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ ص ٢٨٧

(٤) الدكتور أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ ص ١٢٧ - الطبعة الثانية.



بطابع المكان والبيئة الجديدة على مقتضى ناموس الارتقاء، وهكذا تطورت اللغة الاصلية بتطور لهجات الاقوام الناطقة بها في مستوطناتها الجديدة حتى اضحت هذه اللهجات مغايرة لاصلها. ولكن مهما تباعدت بالفاظها وتشعبت تراكيبها قد بقيت محتفظة بالخصائص الاصلية التي تتميز بها لأنها ترجع إلى اصل واحد مشترك. ولقد سمى العلماء هذه اللهجات باللهجات او اللغات السامية نسبة إلى سام بن نوح تمييزا لها عن اللغات الارية والطورانية. ثم يقول: «وتتميز صفات اللغة السامية في كونها مؤلفة من اصول ثلاثية الاحرف، ثابتة وتمتاز بحصول معظم الاشتقاق بواسطة تغيير الحركات وعلى هذه الحركات يتوقف نوع الدلالة. ولما كان العلماء قد صاروا يعتمدون على اصل اللغات في تعيين صلاة الاقوام بعضها ببعض، فقسم بعض علماء الساميات اللغات السامية إلى اربع مجموعات هي: المجموعة السامية الشرقية ومنها: الاكدية والبابلية والاشورية، والمجموعة الشمالية ومنها: العمورية والارامية، والمجموعة الغربية ومنها: الكنعانية والفينيقية والمواوية والعبرانية، والمجموعة الجنوبية ومنها: المعينية والسبئية والاثيوبية والعربية والأمهرية»^(١).

ويرجح عدد من الخبراء ان اللغة التي يتكلم بها بدو الجزيرة العربية حاليا هي اقرب جميع اللهجات إلى اللغة العربية الاصلية التي كان يتكلم بها ابناء الجزيرة قبل ان تنفصل لهجاتهم في مستوطناتهم الجديدة وذلك على اساس ان هؤلاء بقوا منعزلين في صحرائهم دون ان يختلطوا بالاقوام الأخرى الغربية في لغاتها وقومياتها. فيقول الاستاذ (اولمستيد) في كتابه تاريخ فلسطين: «ان البدو العرب كانوا اول من تكلم باللغة السامية، وإذا اردنا ان نفهم الخصائص الاصلية لهذه المجموعة من اللغات السامية على حقيقتها فعلينا ان نتجه إلى العربي ابن البادية السورية الذي يجوب شمال

(١) الدكتور احمد سوسة - العربية واليهود في التاريخ - ص ١٢٧



جزيرة العرب، لأن هؤلاء هم وحدهم حافظوا على العادات والتقاليد القديمة دون ان يطرا عليها أي تغيير»^(١). وممن ايد ذلك من المحققين المستشرق والباحث المعروف (عبدالله فليبي) الذي قام بدراسته المسهبة لاحوال جزيرة العرب فقال في كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام): «ان اللغة العربية التي يعترف بها الخبراء في كونها اقرب من جميع اللغات السامية إلى اللغة الأم الاصلية التي اشتقت منها جميع هذه اللغات هي على أغلب الاحتمالات اقدم لغة في العالم مازالت حية حتى يومنا هذا»^(٢). ويعقب الدكتور احمد سوسة على ذلك بقوله: «ويرجع الفضل إلى القرآن الكريم الذي حافظ على اصل اللغة الأم لغة الضاد رغم تعرض البلاد إلى غزوات كثير من الاقوام الغربية في ثقافتها ولغاتها قبل ظهور الإسلام»^(٣).

هذا ويعتبر الدكتور احمد سوسة ان ابراهيم الخليل عليه السلام كان يتكلم اللغة العربية وان دعوته إلى الوحدةانية الخالصة كانت عربية لغة ووطناً كما جاءت بعدها رسالة محمد ﷺ النبي العظيم وخاتم الأنبياء وقد نزلت عليه باللغة العربية أيضاً لأن اللغة التي كان يتكلم بها ابراهيم الخليل والاراميون معه في تلك الازمان هي اللغة العربية الأم التي يرجع وطنها الاصيل إلى الجزيرة العربية وكانت لغة واحدة تتكلم بها جميع القبائل وذلك قبل ان تتفرق هذه اللغة الاصلية إلى لهجات مختلفة ضمن كتلة اللغات السامية، فيقول الدكتور (هومبول) في كتابه (التقاليد العبرانية القديمة): «مما لا شك فيه ان اللغة الآرامية في عصر ابراهيم (ابراهيم الخليل) كانت لهجة عربية قبل (هجرتهم منها) لأن ما نسميه بالآرامية لم يظهر إلى حيز الوجود الا

(١) اولمستيد - تاريخ فلسطين ص ٣٦

(٢) عبد الله فليبي - تاريخ العرب قبيل الإسلام

(٣) الدكتور احمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ ص ١٢٨



بعد زمن متأخر جداً، وإن ما يعرف بارامية التوراة، وارمية عصر المسيح يرجع إلى زمن الفرس وفترة العصر المسيحي^(١).

اللغة العربية هي أم كل اللغات:

وهناك من يرى ان اللغة العربية ليست هي احدى اللغات السامية، وليست هي اللغة الأم للغات السامية فحسب وانما هي اللغة الأم لجميع اللغات البشرية، وقد قال بهذا المذهب الذي يبدو غريباً الاب انتاس الكرمل كما ان الشيخ محمد احمد مظهر نشر في مجلة (الديانات)^(٢) التي تصدرها باللغة الأنكليزية جماعة الاحدي بباكستان بحثاً عنوانه (اللغة العربية هي ام اللغات جميعاً) وقد بسط نظريته وادلتها في عشر مقالات نشرت في هذه المجلة قبل نوفمبر سنة ١٩٦٠. ثم أخذ يستعرض اصول طائفة من اللغات الحية والميتة مبيناً انشعابها من اصول عربية. فطبق نظريته على اللغة السنسكريتية في عدد نوفمبر سنة ١٩٦٠ وعلى الأنكليزية في عدد ديسمبر سنة ١٩٦٠ وهكذا....^(٣)

(١) Dr. f. Hommel ThAncient Hebrew Tradition p ٢٠٢ نقلاً عن العرب واليهود في

التاريخ ص ٢٤١

(٢) the review of Religions

(٣) الدكتور علي عبد الواحد وافي - علم اللغة ص ٢٠٧ هامش ٢

كيف تكونت اللغة العربية؟

اللغة العربية كغيرها من اللغات مرت بادوار متعددة حتى بلغت مرحلة النضج من قلة الالفاظ الدالة على اشياء حسية، وكثرة الالفاظ الدالة على اشياء معنوية، وقد تضافرت عوامل شتى لنموها وتطورها الا ان استوت على قدميها حين بلغت مرحلة النضج والاكتمال شان كل كائن حي يخضع لقوانين النشوء والنمو، فلم تخلق اللغة دفعه واحدة ولم يأخذها الخلف عن السلف كاملة انها يخلق الناس في اول امرهم الفاظاً على قدر حاجتهم فإذا ظهرت اشياء جديدة وإذا اندثرت اشياء قد تندثر الفاظها وهكذا اللغة في حياة وموت مستمرين. فالشعر الجاهلي مثلاً يصور ويمثل لنا حياة العرب في الصحراء ولهذا تكثر فيه الكلمات الحسية كالسيف والرمل والابل وغيرها. فلما أخذ العرب يضربون بسهم وافر في المدينة تحت تاثير المدينيات المجاورة لهم، أخذت لغتهم ترق وتلين وأخذت الكلمات الدالة على مدلولات معنوية نفسية تكثر شيئاً فشيئاً، كما تدل على ذلك الفاظ لغتهم العربية الغنية بالمفردات الدالة على مفاهيم مجردة او عامة (كالخير، والشر، والحق، والعدل، والظلم، والأنسان والحيوان) ومفاهيم عاطفية (كالمودعة، والرحمة، والبر، والمروءة).

ولقد نشأت اللغة العربية في الحجاز ونجد كما هو معلوم وأخذت تنتشر شيئاً فشيئاً حتى صارت لغة قبائل مختلفة تعيش في امكنة متباينة، وهذا ما كان يؤثر فيها، ويكثر من عدد اللهجات، غير ان اللهجة القرشية، غلبت هذه اللهجات الأخرى، وانتشرت في الجزيرة العربية كلها بفضل انتشار الإسلام وتعلم القرآن^(١) كما سنرى ذلك فيما بعد.

(١) محمد بدر الدين ابوصالح - المدخل إلى العربية ص ٨٢



اقسام اللغة العربية:

يقسم علماء اللغة، اللغة العربية إلى قسمين وذلك حسب ما وصل إلينا من اثارها.

القسم الأول: العربية البائدة:

واقدم ما وصل إلينا من اثارها، لا يكاد يتجاوز القرن الأول قبل الميلاد، وهي التي تطلق عليها كلمة (عربية النقوش) وهي لهجات كانت تتكلم بها العشائر العربية التي تسكن شمال الحجاز على مقربة من حدود الاراميين وفي داخل هذه الحدود وخاصة في واحات تيماء والحجر (مدائن صالح) ومنطقة العلا في شمال الحجاز، ونظرا لبعده هذه اللغة عن المراكز العربية الاصلية لنجد والحجاز فقدت كثيرا من مقوماتها، وصبغت بالصبغة الارامية، وقد بادت هذه اللهجات قبل الإسلام، ولم يصل إلينا منها الا بعض نقوش عثر عليها في سوريا وفلسطين^(١)، ولا يعنينا هنا امر هذه اللغة البائدة.

القسم الثاني: العربية الباقية:

واقدم ما وصل إلينا من اثارها لا يكاد يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد، ولذلك لأنعلم شيئا عن طفولتها، وما اجتازته من مراحل في عصورها الأولى إذ لم

(١) لمزيد من الايضاح راجع كتاب فقه اللغة لعلّي عبدالواحد وافي ص ٩٤ وما بعدها.

يعثر العلماء في مواطنها الأولى بنجد والحجاز على اثار منقوشة او مكتوبة تلقي ضوءاً على حالتها الأولى ويذهب بعضهم إلى ان العرب لم يتركوا في هذا العصر آثاراً لأن الأمية كانت سائدة فيهم، ولا يتفق هذا الرأي مع ما يتحدث التاريخ من ان اناساً كثيرين من العرب في العصر الجاهلي كانوا يجيدون القراءة والكتابة، قال ابن فارس: «وكان قبله - يعني قبل ابا حية النميري - بالزمن الاطول من يعرف الكتابة ويخط ويقرأ وكان من اصحاب رسول الله ﷺ كاتبون منهم امير المؤمنين عليه السلام وعثمان وزيد وغيرهم»^(١).

ويذهب بعضهم إلى ان ما تركوه من الاثار لم يكتشف بعد ويأمل ان يكشف عنه يوماً ما ويرى الاستاذ (ليتمان) ان ما تركوه من الاثار قد عفا واندثر فلا امل في كشف شيء منه.^(٢)

واقدم ما وصل الينا من اثارها هو ما يعرف بالأدب الجاهلي وهو آثار أدبية تنسب لطائفة من شعراء العصر الجاهلي وحكمائه وخطبائه ولكنها لم تجمع وتدون الا في القرون الأولى للعصر الإسلامي ويرجع تاريخ اقدمها إلى القرن الخامس بعد الميلاد على ابعد تقدير وهي تمثل هذه اللغة في عنفوان اكتمالها وعظمتها بعد ان اجتازت مراحل كثيرة في سبيل التطور والارتقاء وبعد ان تغلبت لهجة من لهجاتها وهي لهجة قريش على اخواتها واستأثرت بميادين الأدب (شعرها وخطاباتها ونثرها) في مختلف القبائل العربية.^(٣) وهذه هي اللغة التي تنصرف اليها كلمة (عربية) عند اطلاقها

(١) الصاحبى ص ٩.

(٢) انظر تعليق (ليتمان) في كتاب ولفنس تاريخ اللغات السامية ص ٢٧٨ فقه اللغة - علي عبد الواحد وافي ص ١٠٣.

(٣) فقه اللغة علي عبد الواحد وافي ص ١٠٤



والتي ماتزال تستخدم عندنا، وعند الأمم العربية الأخرى لغة أدب وكتابة وتاليف. هذه اللغة نشأت ببلاد نجد والحجاز ثم انتشرت في المناطق التي كانت تشغلها من قبل اخواتها السامية والحامية، وانشعبت منها اللهجات التي يتكلم بها في العصر الحاضر في بلاد الحجاز ونجد واليمن وفلسطين والشام ولبنان والعراق ومصر وبلاد المغرب العربي، وقد وصلت اليها هذه العربية الباقية عن طريق اثار العصر الجاهلي، والقران الكريم، والحديث النبوي الشريف، واثار العصور الإسلامية^(١) وهذه اللغة الباقية هي التي يعيننا امرها هنا.

كيف تعددت اللهجات العربية قبل الإسلام:

عندما انتشرت اللغة العربية وتكلمت بها قبائل متعددة، في مناطق مختلفة كان لابد ان تخضع لعوامل التطور والتبدل، إذ ان من الأمور الثابتة علميا ان كل لغة حية تتطور وتبديل وتنقسم إلى لهجات تتفرع وقد تستحيل مع الزمن إلى لغات مستقلة، وتعدد مظاهرها، وهو ما يسمى في علم اللغة باسم (الدياليكتولوجي) Dialectologie أي علم اللهجات^(٢)، ولا تكف اللغة عن ذلك الا عندما تتحجر وتموت، ويحدث ذلك عادة عندما ينقرض متكلموها، وتبقى محفوظة في السجلات التاريخية، بدلا من ان تكون وسيلة حية من وسائل التفاهم ونقل الافكار، فالتطور إذا امر ملازم للغة الحية، ويصدق هذا على اللغات كافة وقد يكون هذا التطور امرا غير مرغوب فيه إذ انه يفصل متكلمي اللغة الواحدة إلى جماعات، قد يصعب

(١) الدكتور عبدالرزاق محي الدين - محاضرات في فقه اللغة -

(٢) الدكتور علي عبدالواحد وافي - علم اللغة ص ٦

التفاهم فيما بينها، إلا أن التطور أمر حتمي أردناه أم لم نرده. ^(١) ومن هذا المنطلق الثابت، تعددت اللهجات العربية قبل الإسلام وهو ما نراه في كتب النحو واللغة والتاريخ، وقد اطلق عليه العلماء لغة أهل الحجاز، ولغة بني تميم، ولغة هذيل، ولغة عقيل، ولغة اسد، ولغة طي، ولغة حمير... الخ. وهي في واقعها لهجات تشعبت عن العربية الأم وذلك خضوعاً لقوانين التطور الحتمية. ^(٢)

يقول الدكتور ابراهيم السامرائي: «وتسري سنة التطور في اللغة عبر القرون والاجيال حتى تحيل اللغة إلى لهجات محلية اولغات محلية تتميز الواحدة عن الأخرى بميزات ظاهرة واضحة...»، إلى أن يقول: «ومن أجل هذا نستطيع أن نقرر أن ما يسمى في كتب اللغة (لغة) من الاستعمالات غير المألوفة أو قل غير الصحيحة تلك الاستعمالات التي الصقت بهذيل أو عقيل أو اسد أو طي، لم تكن إلا من قبيل هذا التطور في اللغة، ثم نسب ارتباطاً لفئة معينة من الناس». ^(٣)

وهكذا ندرك كيف انشعبت اللغة العربية الأم إلى لهجات عديدة تختلف الواحدة منها عن الأخرى، فلغة اليمن كانت تخالف لغة الحجاز في أوضاعها وتصاريقها. وكانت لغة اليمن ^(٤) أكثر اتصالاً باللغة الحبشية والأكادية، ولغة الحجاز أكثر اتصالاً باللغة العبرية والنبطية. ^(٥) ويؤكد المؤرخون هذه الحقيقة فيقول ابن خلدون: «ولقد

(١) الدكتور خليل الحماش - ديناميكية التطور التاريخي للغة - الاقلام العراقية ج ١١ السنة ٣

(٢) ولهذا التعدد في اللهجات عوامل تساعد عليه سنذكرها عند الكلام عن تعدد اللهجات بعد الإسلام لأنها نفس العوامل ولأن ظهورها هناك أوضح.

(٣) الدكتور ابراهيم السامرائي - مباحث لغوية ص ٨٤

(٤) وهي غير تلك اللغة اليمنية القديمة التي تغلبت عليها اللغة العربية كما مر ذلك في الفصل الأول الحالة الأولى.

(٥) الدكتور أحمد أمين - فجر الإسلام ص ٥ الطبعة العاشرة.



كان اللسان المضري مع اللسان الحميري بهذه المثابة، وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصارييف كلماته، تشهد بذلك الأتقال الموجود لدينا، خلافا لمن يحمله القصور، على انها لغة واحدة، ويلتمس اجراء اللغة الحميرية على مقياس اللغة المضرية وقوانينها، كما يزعم بعضهم في اشتقاق القيل في اللسان الحميري انه من القول، وكثير من اشباه هذا، وليس هذا بصحيح، ولغة حمير مقاييرة للغة مضر في الكثير من اوضاعها وتصارييفها وحركات اعرابها.^(١)

وقد يبلغ الاختلاف بين لهجة ولهجة بحيث لا يفهم بعضهم كثيرا من كلام البعض الآخر فقد نقل ابن سلام الهروي البغدادي ٨١٢ - ٨٣٧ عن عمرو ابن العلاء المازني ١٨٩ - ٧٧٠ م قوله: «مالسان حمير واقاصي اليمن بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا».^(٢)

واورد ابن فارس في كتابه (الصاحبي) ان العرب العاربة لم تعرف نحوا ولا اعرابا ولا رفعا ولا نصبا ولا همزا، واورد في هذا المجال قصة عن وفود زيد ابن عبدالله ابن دارم على بعض ملوك حمير، فالفاه في متصيد له على جبل مشرف، فسلم عليه وانتسب له. فقال له الملك: ثب، أي اجلس، فظن الرجل انه امره بالوثوب من الجبل، فقال: لتجديني ايها الملك مطوعا، ثم وثب من الجبل فهلك. فقال الملك: وما شأنه؟ فخبروه بقصته وغلطه في الكلمة، فقال: اما انه ليست عندنا عربيت، من دخل ظفار حمير - وظفار اسم المدينة التي كان بها - اراد من دخل ظفار فليتعلم الحميرية.^(٣)

(١) ابن خلدون - المقدمة ص ٤٨٨

(٢) محمد بدر الدين ابوصالح - المدخل إلى العربية ص ٨٣

(٣) ابن فارس - الصاحبي ص ٢٢



وكذلك روي عن مواله: ان عامر ابن الطفيل قدم على رسول الله ﷺ فوثبه وسادة، يريد فرشها له وأجلسه عليها.^(١) وقد اشتهرت بعض القبائل بلهجات عرفت عنها مثل (عنعنه) تميم وهي ابدال الهمزة عينا فتقول في أن: عن، (وتلتله) بهاء وهي كسر اول الفعل المضارع فيقولون: (تعلمون وتصنعون) بكسر التاء ويروون لذلك: ان رجلاً من قبيلة أخرى قال لأمراة من القبيلة التي تكسر اول الفعل المضارع: أتكتنون؟ فقالت: نعم نكتني فقال: معاذ الله، فخجلت، ولكنها قالت له: أئجيد العروض؟ قال: نعم، قالت: قطع هذا البيت:

أبعدوا عنا كنيسكم يا بني حمالة الخطب

فقطعه: (أبعدوعن / ناكني / ستكم يا / بني حم / مالة ال / حطبي). فقالت له: من ناكك؟ فخجل!. و(كشكشة) ربيعة فيقولون (إنكش ورأيتكش) مكان (انك ورأيتك) و(كسكسة) هوازن فيقولون (اعطيتكس ومنكس وعنكس) مكان (اعطيتك ومنك وعنك) وكذلك تلزم الاسماء الخمسة الالف فتقول: هذا اباه واخاه، قال الشاعر:

ان اباه و ابا اباه قد بلغا بالمجد غايتها

وقال ابو زيد: قلت لأعرابية بالعيون ابنة مائة سنة: مالك لا تأتين اهل الزققة؟ فقالت: اني اخزى ان امشي في الزقاق - اي استحي - . وقال آخر: سمعت اعرابية تقول لا بنتها هممي اصابعك في رأسي اي حركي اصابعك فيه.^(٢)

(١) الدكتور أحمد أمين - ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٤٣ الطبعة العاشرة.

(٢) المزهرج ١ ص ٦٧



وهذا الاختلاف في اللهجات كان شائعاً بين سائر القبائل فقد تستعمل قبيلة كلمة ولا تستعملها القبيلة الأخرى، أو تستعمل غيرها فقد روي، أن أبا هريرة لما قدم من دوس عام خيبر لقي رسول الله ﷺ وقد وقعت من يده السكين فقال له: ناولني السكين، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة، ولم يفهم ما المراد باللفظ، فكرر له القول ثانية وثالثة، فقال: المدينة تريد؟ وأشار إليها فقبل له: نعم، فقال: أو تسمى عندكم السكين؟ ثم قال: والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ.^(١)

هذا ويمكن القول أن بعض الألفاظ العربية كانت ترتجل ارتجالاً الأمر الذي يجعلها شائعة في بعض القبائل دون بعضها الآخر، قال ابن جني: «أن العربي إذا قويت فصاحته، وسمت طبيعته، تصرف وارتجل ما لم يسبق إليه، فقد حكى عن رؤبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان الألفاظ لم يسمعاها ولا سبقا إليها».^(٢)

وليس هذا بدعاً عند العرب بل هو طبع لهم يكاد أن يكون في جميع شئونهم فهذا أمية ابن أبي الصلت يترجل (باسمك اللهم) وهذا قس بن ساعدة الأبادي يرتجل (أما بعد...) وهذا رسول الله ﷺ يرتجل كلمات لم تنطقها العرب قبله منها (الأن حمى الوطيس) و (رأس الحكمة مخافة الله) و (الظلم ظلمات يوم القيامة) ... الخ ما جاء عنه ﷺ، من هذا الباب يقول الجاحظ: وكل شيء للعرب فأنما هو بديهة وارتجال وكأنه الهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكر ولا استعانة، وأنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام فتأتيه المعاني أرسالاً وتثال عليه الألفاظ انشياً وكانوا أميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلفون وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر وهم عليه

(١) الدكتور أحمد أمين - فجر الإسلام ص ٥٢

(٢) ابن جني - الخصائص.

أقدر واقهر، وليس هم كمن حفظ علم غيره واحتدى على كلام من كان قبله.^(١) ويقول ابن خلدون: «والعرب لا يزالون موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في النطق، والذلاقة في اللسان والبيان سَمَتُهُمْ بين الأمم منذ كانوا».^(٢) ويقول ابن جني: «إذا اجتمع في لغة رجل واحد لغتان فصاعداً فينبغي أن نتأمل حال كلامه فإن كانت اللفظتان في كلامه متساويتين في الاستعمال كثرتها واحدة فإن أَخْلَقَ الأمر به أن تكون قبيلته تواضعت في ذلك المعنى على تينك اللفظتين لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها».^(٣)

وقد أورد الدكتور أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام هذا الاختلاف في اللهجات وذكر أن هذا الخلاف قد يكون خلاف كلمات، فقبيلة تستعمل البر، وقبيلة تستعمل القمح، وحمير تستعمل كلمة (القيـل) لما يستعمل فيه العدنانيون (الملك) وهكذا. وقد تكون الكلمة واحدة ولكن القبائل تستعملها في معان مختلفة كمادة الوثب، فالحجازيون يستعملونها في معنى طفر والبيانيون يستعملونها استعمالاً مضاداً فيقولون ثب أي أقعد، وقد يكون الاختلاف في الحركات فبعض القبائل كقريش تفتح حرف المضارعة فيقولون: (نستعين) وبعضها كاسد تكسرهما، فتقول: نستعين ثم ذكر أنواعاً أخرى من الاختلافات فبعض القبائل تقول: أولئك وبعضها تقول: الالك، وبعضهم يقول: استحييت، وبعضهم يقول: استحييت، وبعضهم يقول: مستهزون، وبعضهم يقول: مستهزون ن وبعضهم يميل في قضي ورمى ونحوهما، وبعضهم لا يميل، وبعضهم يقولون: مازيد قائم، وبعضهم مازيد

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٥ مختصراً

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ١٥

(٣) الخصائص لابن جني ج ١ ص ٣٧٦



قائما، وبعضهم يقولون: هلموا الينا، وبعضهم يقول للجمع والمفرد والمثنى هلم الينا، وبعضهم يقول: صاقة وبعضهم يقول: صاقعة، وبعضهم يقول: هذا البقر والنخل، وبعضهم يقول: هذا البقر وهذا النخل... إلى كثير من امثال ذلك.^(١)

وهكذا نجد اللهجات تختلف الواحدة منها عن الأخرى ولكن اللهجة الحميرية أكثر بعدا عن اللهجة الحجازية قال ابن جني: «لسنا نشك في بعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابني نزار، دخلت يوما على ابي علي رحمه الله فقال لي: اين انت؟ انا اطلبك، قلت: وما ذلك؟ قال: فما تقول فيما جاء عنهم من حوربت؟^(٢) فخضنا معا فلم نحل بطائل منه فقال: هو من لغة اليمن ومخالف للغة ابني نزار فلا ينكر ان يجيء مخالفا لامثلهم».^(٣)

وقد كان لهذا الاختلاف في اللهجات اثر استمر حتى بعد الإسلام فكان سببا من أسباب كثرة المترادفات في العربية إذ لما جاء علماء تدوين اللغة، واتجهوا لجمعها كانت مهمتهم جمع الكلمات التي نطق بها العرب، وتحديد معانيها، فرحل العلماء إلى البادية بمدادهم وصحفهم يسمعون ويكتبون، ورحل عرب البادية إلى الحضر ليؤخذ عنهم، ولكن يؤخذ على هؤلاء العلماء الذين رحلوا ورحل اليهم، ودونوا اللغة انهم اعتبروا ان اللغة العربية وحدة مع اختلاف القبائل الفاظا وتراكيب ولهجة فلم يرسم لنا الراحل من العلماء خط سيره، واي القبائل نزل بينها؟ وما هي الالفاظ واللهجات التي أخذها عنها؟ وما الالفاظ واللهجات التي أخذها عن القبيلة الأخرى؟ ولما رحل البدوي إلى المصر ماذا أخذ عنه من الالفاظ واللهجات؟

(١) الدكتور أحمد أمين - ضحى الإسلام - ج ٢ ص ٢٤٣

(٢) حوربت: اسم موضع. ووزنهما غريب عن اللغة العربية.

(٣) ابن جني - الخصائص ج ١ ص ٣٩٢



ومن أي قبيلة كان؟ نعم... وردت شذرات من هذا القبيل ولكنها قليلة جدا لا تكفي لتفريق اللغة على القبائل.^(١) وما جمعه هؤلاء العلماء ليس على درجة واحدة، إذ فيه الفصح والافصح والجيد والاجود والضعيف والاضعف فقالوا: ان اللغة التي ورد بها القرآن افصح مما في غيره، فقالوا: (اوفى بالعهد) افصح من (وفى بالعهد) لأن الأولى لغة القرآن وقالوا (المزارب) لغة في (الميزاب) وليست فصيحة، وقالو: الخوى الجوع مقصورة، وقد مدّه قوم وليس بالعالي، وقالو(رضبت) الشاة لغة مرغوب عنها، والفصح ربضت، وقالوا: اللغات افصح من بعض وقبول بعض اللغات واللهجات دون بعض امورا كثيرة منها ان الكلمة إذا نطقت بها جملة قبائل كانت خيرا من الكلمة تنطق بها قبيلة واحدة ومنها: ان الكلمة إذا وردت على القياس النحوي والصرفي فضّلوها على غيرها، قال رجل لابي عمرو بن العلاء: اخبرني عما وضعت مما سمّيت عربية ايدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ فقال: احمل على الأكثر ما سمي ما خالفني لغات ومنها: ان الكلمة إذا رماها علماء كثيرون كانت اصح من الكلمة التي رواها راو واحد.^(٢)

ولهذا كثرة المترادفات كثرة غريبة فاحدى القبائل تضع اسما لشيء، وتضع قبيلة أخرى اسما اخر وقد وردت ادلة على ذلك فقالوا: ان السكر اسمه المبرت بلغة اليمن. وقالو: ان للعسل ثمانين اسما، وان للسيف خمسين اسما حتى الف صاحب القاموس كتابا اسماه (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الوف)^(٣)، وكان لكثرة هذه

(١) الدكتور أحمد أمين - ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٥٣

(٢) ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٥٩

(٣) انظر المزهر ص ١٩٤ وما بعدها



المترادفات فوائد ومضار، فقد مكنت الشعراء من ان ينظموا عليها قصائدهم الطويلة مع التزام الروي والقافية، وما كان ذلك ليسهل لولا المترادفات، كما انها كانت اداة جيدة لبلاغة الكتاب وفصاحة الفصحاء، فقد استطاعوا ان يتخيروا من الالفاظ المترادفة ما يناسب السجع احيانا والترصيع احيانا، كما استطاعوا ان يتخيروا اقوى الكلمات لاقوى المواقف، والين الكلمات لالين المواقف وهكذا، ولكنها من ناحية أخرى ضخمت اللغة ضخامة فوق الحد، وجعلت الالمام بها مستحيلا، وحتى زحمت المترادفات الكثيرة المكان الذي نحتاجه لمعان ومدلولات لا نجد لها كلمة واحدة وقد كان لكل قبيلة عذرها فليس لها للدلالة على الشيء الواحد الا كلمة او كلمتان تؤدي بها اغراضها فلما جاء الجامعون للغة جمعوا كل الكلمات لكل القبائل او أكثرها وقدموها الينا لاستعمالها، وفي التضخم ضرر كالهزال^(١)

كذلك كان من نتائج هذا الاختلاف في اللهجات الاختلاف في قراءة القرآن فانه تلي حسب اختلاف العرب في لغاتهم ولهجاتهم، روي عن ابن عباس قال: «نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العجز من هوازن، وهم الذين يقال لهم عليا هوازن وهم خمس قبائل اواربع، منها سعد ابن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية وثقيف»^(٢) فقراءات القرآن يمكن دراستها من هذه الناحية، ناحية انها تمثل بعض لغات قبائل العرب ولهجاتها^(٣).

ويرى بعضهم ان من اثار تعدد اللهجات العربية قبل الإسلام اختفاء كثير من الشعر العربي الجاهلي وعدم وصوله الينا لأنه كان بتلك اللهجات التي اهملها الرواة

(١) الدكتور أحمد أمين - ضحى الإسلام - ج ٢ ص ٢٤٥

(٢) السيوطي - المزهج ج ١ ص ١٠٤

(٣) الدكتور أحمد أمين - ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٤٤



عند تدوين اللغة والا فمن غير المعقول ان لا يكون للمناذرة والغسانة مثلاً شعراء فحول، وفي هذا الشأن يقول أحمد أمين: «ذلك انا نرى اللخميين في الحيرة والغسانيين في الشام عمروا قرونا، وبلغوا من المدينة شاولا بعيدا - إذا قيس بحالة العرب في الجزيرة - وكان منهم من يخالط الفرس والروم ويتكلم بلغتهم، ودينهم كان ارقى على العموم من دين العرب، فهم اما نصارى او مجوس، وهذا كله كان داعية إلى خصب الذهن وتفتق القريحة بالشعر، وكان من المعقول ان تخرج بلادهم فحولا من الشعراء يفتحون فيه ابوابا جديدة، ومعاني جديدة، مع رشاقة في اللفظ تتناسب مع حياتهم الحضرية ولكننا - على غير المعقول - لم نظفر منهم بشعر ذي خطر، فهم مثلاً يحدثوننا عن عدي بن زيد الحيري - وهو شاعر ضعيف - كان الاصمعي وابوعبيدة يقولان فيه: (عدي بن زيد من الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم، يعارضها ولا يجري معها) وقل ان يحدثونا بعد عن شاعر فحل. وجامع (شعراء النصرانية في الجاهلية) مع تلمسه كل وسيلة لعد الشاعر نصرانيا والاشادة بذكر كل شاعر نصراني لم يذكر لنا شيئا عن غسان ولم يحدثنا عن شاعر واحد غساني وكل الذي يرويه لنا الأدباء انما هو رحلة شعراء من الجزيرة - كالنابغة والاعشى وحسان - إلى امراء الحيرة وغسان فما السر من هذا؟»، ثم يعلل ذلك بان البادية هي منبع الشعر وبعدها يقول: «والتعليل الصحيح في نظرنا ان هؤلاء الحيريين والغسانيين كان فيهم شعراء، ولكن كانت لهم ايضا لغة خاصة بهم غير لغة قريش التي سادت الحجاز، ولم تستطع ان تسود الحيرة وغسان لبعدها موطنها ولأن الحيريين والغسانيين ارقى ممن حولهم من العرب، فانفوا ان يخضعوا للسان غير لسانهم، وقد يستتبع ذلك ان تكون لهم في الشعر اوزان خاصة تتفق مع لغتهم وعقليتهم، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن بلغة قريش اهمل الرواة ما كان خارجا عن هذه اللغة وقواعدها واوزانها».



ولا يطعن في هذا الرأي ما يروى من شعر لعدي ابن زيد وما يروى لنا من رحلة شعراء الجزيرة إلى الحيرة وغسان وتفاهمهم، فان عدي بن زيد - كما يحدثنا الرواة - له نسب في عرب الجزيرة، ورحلة الشعراء ليست اعتراضاً وجيهاً، لأننا نرى ان لغة الحيرة والغسانيين مع اختلافها عن لغة الحجاز قريبة منها، لاتفاق الاصل الذي تفرعت عنه لغات العرب ولهجاتها فليس ببعيد ان يكون للحيريين والغسانيين لغة خاصة وهم مع ذلك يستطيعون ان يفهموا لغة قريش إذا حدثوا بها.^(١) ومما يدل على انه لم يصل إلينا اغلب ما قالته العرب قول ابو عمرو بن العلاء: «ما انتهى إليكم مما قالته العرب الا اقله، ولوجاءكم وافر لجاءكم علم وشعر كثير»، والسبب في عدم وصوله إلينا هو اعراض الرواة عن نقل ما كان بغير اللهجة التي نزل بها القرآن وهي لغة قريش والحجاز.

ومن اثر هذا التعدد في اللهجات الذي اصاب العربية قبل الإسلام اشتبكت هذه اللهجات العربية بعضها مع بعض في صراع كتب النصر فيه اللهجة قريش فطغت على جميع اللهجات الأخرى في المحادثة واستأثرت بهايدين الأدب شعرها وخطاباتها ونثرها في مختلف القبائل العربية فاصبح العربي اياً كانت قبيلة يؤلف شعره وخطابته ونثره الأدبي باللهجة قريش وذلك لأنه من المقرر في قوانين علم اللغة ان اللهجة المحلية التي يتاح لها التغلب تصبح عاجلاً او آجلاً لغة الاداب فتصطنع وحدها في الكتابة والتأليف والأدب شعره ونثره...

وهذا هو ما حدث للغة قريش فقد ترتب على تغلبها على بقية اللهجات العربية ان اصبحت لغة الاداب عند جميع العرب فبها كان ينظم الشعر وتلقى الخطب وترسل الحكم والأمثال وتدون الرسائل وتتفاوض الوفود ويتبارى الأدباء وتجري

(١) الدكتور أحمد أمين - فجر الإسلام - ص ٢٣



المنافسة في النوادي والمؤتمرات في مختلف بلاد العرب ومختلف قبائلهم وقد تم ذلك قبل بعثة الرسول ﷺ بزمان غير قصير.

كيف توحدت هذه اللهجات ؟

يمكن القول ان هذه اللهجات بدأت تتوحد قبيل الإسلام لتتظم في لغة واحدة، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وهي لغة اهل الحجاز وعلى الاخص قريش، وذلك لأن القرآن نزل في الحجاز وفي قريش بالذات، فهو ما كان ليخاطب اناسا لا يفهموه ولم يدركوا معانيه ومقاصده ولو على نحو الاجمال قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾. وهذا لا يعني انهم كانوا كلهم يفهمون كل الفاظ القرآن ويدركون كل أساليبه وتراكيبه كما يدعي ابن خلدون إذ يقول: «ان القرآن نزل بلغة العرب وعلى اساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه»^(١)، وذلك لأن العرب لم يكونوا على لغة (لهجة) واحدة ولأنهم لم يكونوا على مستوى واحد من الثقافة والرقى العقلي شأنهم في ذلك شأن سائر الأمم في جميع الازمان فيهم الاديب الحاذق العالم وفيهم الجاهل العادي الذي لم يعرف عن العلم شيئاً وفيهم المتوسط بين هذا وذاك، عن انس بن مالك: ان رجلاً سأل عمر ابن الخطاب عن قوله ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾، ما الأب؟ فقال عمر: نهينا عن التكلف والتعمق^(٢)، هذا وامثاله يدل على ان الكثير من العرب تفهموا القرآن تفهماً اجمالياً.

(١) (المقدمة ص ٣٦٦)

(٢) انظر كتاب الموافقات للشاطي ج ٢ ص ٥٧



بقي علينا ان نعرف ان هذه اللغة هي لغة قريش، والتي نزل بها القرآن الكريم، كيف توحدت من اللهجات الكثيرة؟

ولكي نعرف ذلك علينا ان نعرف اولاً ان اللغة كما توجد عوامل تعمل على انقسامها وتشعبها إلى لهجات متعددة، توجد كذلك عوامل تعمل على اتحادها وتجميعها في لغة واحدة ويرى بعض اللغويين ان الاتجاه نحو الانقسام اقوى من الميل إلى التوحد وان الانقسام هو عملية التطور الطبيعية للغة وان طبيعة اللغات تنجح ابداً إلى الانقسام والتوزع وربما قال بعضهم: ان الانقسام هو الذي أدى بالمجتمع البشري العام ان يتوزع توزيعاً لغوياً واسعاً^(١)، لمجموعة من اللهجات عادت بها إلى لغة واحدة وقد ذكر علماء اللغة من هذه العوامل ما يأتي:

عوامل توحد اللهجات العربية قبل الإسلام:^(٢)

اولاً: الاختلاط والاتصال والمشاركة في الحياة العامة، ولعل صدق هذا يتبين من استقراء تاريخ العربية، وكيف ادت بها المواسم الدينية والاجتماعية إلى شيء من الأنسجام اللغوي، ولا بد من الاشارة إلى ان ماكان من غلبة لغة قريش على سائر اللغات، وصيرورة هذا المزيج اللغوي إلى لون اقرب إلى التوحيد والانسجام منه إلى الاختلاف والابتعاد ذلك ان لقريش المكانة الاجتماعية والدينية والتزامها بالتجارة التي كانت سبباً من أسباب الاختلاط والاجتماع وقد تدعو حرب تنشب بين مجموعتين بشريتين إلى نوع من الأنسجام اللغوي. كما ان للدين وانواميه في

(١) الدكتور ابراهيم السامرائي مباحث لغوية ص ٨٧

(٢) مباحث لغوية ص ٨٧ بتصرف.



في العبادات وما يقتضي من اجتماع واتصال في الاعياد والمناسبات العامة اثره في التوحيد اللغوي.

ثانيا: النصوص الأدبية التي يتناقلها الرواة والقصاصون من حكايات واشعار واساطير، وأكثرها يقوم على الرواية الشفوية، والعرب تناقلوا ذلك وعقدوا فيه اسواقا وندوات، وجعلوا لهم في المباريات التي جرت بينهم حكاما، كل ذلك أدى إلى توحيد لهجاتهم او تقريبها بعضها من بعض.

ثالثا: الوحدة السياسية، والعرب قبل الإسلام وان لم تكن لهم دولة الا انهم، كانوا متوحدين في قبائل وهذه القبائل على مراتب وقبيلة قريش تكون على قمة الهرم القبلي، ولها السيادة والكلمة الفصل في القضايا العامة.

رابعا: الطبيعة الجغرافية الواحدة، وارض العرب - قبل الإسلام - لها طبيعة جغرافية واحدة ينتقل العرب بين صحاريها ووديانها وجبالها وسهولها.

هذه هي اهم العوامل التي تعمل على توحيد اللهجات، ومن الواضح المعلوم ان قريشا وهم سكان مكة كانوا يتمتعون بنفوذ ديني ومركز تجاري قبيل الإسلام، فكان ذلك سببا لأن تجتمع لديهم احسن الكلمات، وافضل العبارات يقول ابن فارس: «كانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يقدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش مع فصاحتها، وحسن لغتها، ورقة سنتها، فإذا اتهم الوفود من العرب يتخيرون من كلامهم واشعارهم احسن لغاتهم، واصفى كلماتهم فاجتمع لديهم ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلاتقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك افصح العرب»^(١).

(١) ابن فارس - الصاحبي.



ومن هذه الناحية اعتبر علماء اللغة قريشا افصح العرب وقالوا: اجمع علماءنا بكلام العرب والرواة لاشعارهم والعلماء بلغاتهم وايامهم ومحامهم، ان قريشا افصح العرب واصفاهم لغة. ^(١) وقال الفارابي في اول كتابه المسمى بالالفاظ والحروف: «كانت قريش اجود العرب انتقاءً للافصح من الالفاظ، واسهلها على اللسان عند النطق، واحسنها مسموعاً، وابينها ابانة عما في النفس». ^(٢)

وكما ان قريشاً هي افصح العرب فان محمداً ﷺ هو افصح قريش ولكن لماذا لم ير النحاة الأولون الاستشهاد باقواله مع كونه افصح العرب؟ يجيب على هذا التساؤل كثيرون وملخص اقوالهم: كان بعض الصحابة والتابعين يرون جواز رواية الحديث النبوي الشريف بالمعنى، لا يتقيدون فيه بالفاظ الرسول ﷺ وفي طبقات ابن سعد اخبار كثيرة من هذا القبيل، كما فيه اخبار عن اشخاص تقيدوا برواية اللفظ فجاءت احاديث كثيرة مختلفة الالفاظ فروي الحديث (زوجتكها بما معك من القرآن) و (وملكتها بما معك من القرآن) و (خذها بما معك من القرآن) وما ذاك الا لأن بعض رواة الحديث الأولين حافظوا على المعنى وعبروا بما يدل عليه من عندهم ومن أجل هذا لم ير النحاة الأولون الاستشهاد على اثبات اللغة بالحديث واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الأولى في اثبات فصيح اللغة كلام النبي ﷺ لأنه افصح العرب ^(٣) وقد قال سفيان الثوري: «ان قلت لكم اني احديثكم كما سمعت فلا تصدقوني، انما هو المعنى» ومن نظر في الحديث ادنى نظر علم علم اليقين انهم يروون

(١) الدكتور أحمد أمين - ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٤٧ الطبعة العاشرة

(٢) السيوطي - المزهج ج ١ ص ١٠٤

(٣) أحمد أمين - ضحى الإسلام - ج ٢ ص ١٣٣

بالمعنى... وقد وقع اللحن كثيرا فيما روي من الحديث لأن كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ويتعلمون لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون، ودخل في كلامهم ورواياتهم غير الفصح من لسان العرب، ونعلم قطعاً من غير شك أن رسول الله ﷺ وسلم كان أفصح، فلم يكن يتكلم إلا بأفصح اللغات واحسن التراكيب.^(١)

هذا وقد شك بعض المستشرقين في أن قريشا هي أفصح العرب لأنها كانت تسكن مكة وما حولها وتشتغل بالتجارة الأمر الذي يدعوها إلى الاختلاط بسائر الأمم مما يفسد لغتها ولهذا كانت العادة يرسل الآباء أبناءهم للبادية لتبقى لغته سليمة كما هو الشأن لرسول الله ﷺ حيث أرسله جده عبد المطلب إلى بني سعد لهذا الغرض. ولكن اشتغال قريش بالتجارة وسكنها مكة وما حولها ليس يعني أنها ليست أفصح العرب إذ أن سلامة اللغة من الدخيل فيها أمر غير الفصاحة وإن سلامة اللغة كانت في بني سعد خيرا مما هي في قريش لأنهم أهل وبر وأبعد عن التجارة وعن الاختلاط بالناس، وعلى العكس من ذلك قريش فهم أهل مدر، وكثير منهم كان يرحل إلى الشام ومصر وغيرهما ويتاجر مع أهلها ويسمع لغتهم، فهم من ناحية سلامة اللغة ينطبق عليهم ما انطبق على غيرهم ممن خالط الأمم الأخرى، ولكنهم من ناحية الفصاحة فصحاء، وأعني بالفصاحة قوة التعبير عما في نفوسهم، وقد اشتهروا بذلك أيضا في الإسلام يضاف إلى هذه الفصاحة ما حكي عنهم من رقة السنتهم، وحسن اختيارهم للالفاظ فكانوا إذا اتهم الوفود من العرب للاسواق أوللحج تخيروا من كلامهم وأشعارهم ولغاتهم فإذا امتازت قريش بالفصاحة فقد امتازت بنو سعد بسلامة اللغة، وقد جمع للنبي ﷺ الأمران، ففي الحديث: (أنا أفصح العرب بيداني

(١) خزنة الأدب - ج ١ ص ٦٥



من قريش واني نشأت في بني سعد بن بكر).^(١) ويقول صاحب كتاب جواهر الأدب في معرض حديثه عن اختلاف اللهجات المضرية والحميرية: «وكانت هناك فروق بين اللغتين عظيمة في الالفاظ اللغوية، وفي الصيغ، وفي التراكيب، وفي اللهجات، ولكن حدث قبيل الإسلام ان أخذت لغة الحجاز وبعبارة ادق لغة قريش تسود، وما زالت كذلك حتى ظفرت باللغة الحميرية وحتى صارت لغة قريش هي لغة الجزيرة جميعها، وقد دعا إلى هذه الظاهرة أسباب سياسية، ودينية، واقتصادية».^(٢)

وهكذا ندرك انه قبيل الإسلام أخذت اللهجات الشمالية تتمتع بسيطرة ونفوذ على سائر لهجات الجزيرة في حين أخذت لهجات بلاد اليمن، تتدهور وتضمحل حتى كادت تنفى في اواخر القرن السادس الميلادي، وكان مما اعان على سيادة لهجات الشمال، التدهور الاقتصادي والسياسي الذي ألم ببلاد اليمن، وانتقال التجارة إلى ايدي قريش، فمنذ ذلك الحين أخذت لغة العدنانيين تتمتع بسلطان بعيد على لغات الجزيرة وأخذت اللهجات العربية تتقارب وتتداخل، واعان على هذا التقارب عوامل شتى ابرزها، اجتماع العرب في مكة لقضاء مناسك الحج، واجتماعهم في الاسواق والمواسم التي كانت صبغتها تجارية وأدبية معا، وكان أكثرها بالحجاز حاضرة التجارة، (كسوق عكاظ) قرب الطائف و(ذي المجاز) خلف عرفة و(مجنة) قرب مكة. فلا جرم ان تسود لغة الشماليين وتتقارب اللهجات العربية، ولكن توحد اللغة العربية لم يكن ليتم الا بتوحيد الأمة العربية وازالة الفوارق القبلية، وهذا ما حدث فعلا بظهور الإسلام ونزول القرآن بلغة قريش، فقد تمت بنزوله سيطرة لغة الشماليين وقريش خاصة على سائر اللهجات العربية التي أخذت

(١) أحمد أمين - ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٤٨

(٢) السيد احمد الهاشمي بك - جواهر الأدب ج ٢ ص ٦ الطبعة السادسة عشر.



بالأنقراض، والقرآن هو الذي ضم شتات اللغات اللهجات العربية في لغة قريش، الا انه ضلت بعض اللهجات القوية حية بعد الإسلام كلغة تميم، ثم تكونت من لغة قريش، ومما بقي حيا من اللهجات العربية ومن الالفاظ المعربة، هذه اللغة العربية التي تضمها معا جمنا، والتي نسميها (العربية الفصحى)^(١) وهي التي نكتب بها أدبنا وعلومنا، وسائر مؤلفاتنا في الوقت الحاضر، وهي التي نقصدها عند اطلاق كلمة اللغة العربية.

(١) محمد بدر الدين صالح - المدخل إلى العربية - ص ٨٥

الْفَضْلُ الرَّابِعُ

صَرَاحُ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ اللَّهَجَاتِ
الَّتِي انْشَعَبَتْ مِنْهَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ

كيف انشعبت العربية إلى لهجات بعد الإسلام؟

قلنا ان اللغة العربية بدأت تتوحد قبيل الإسلام، وتم توحيدها عند نزول القرآن وتوحد الأمة العربية من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية بسبب الإسلام، والآن يحسن بنا ان نرى كيف انشعبت هذه اللغة إلى لهجات أخرى؟ وما هي العوامل التي ادت بها إلى ذلك؟ وكيف بقيت لغة كتابة وعلم وأدب؟

انتشرت اللغة العربية انتشارا واسعا، وبخاصة بعد الفتح الإسلامي وتغلبت على الكثير من اللغات السامية الأخرى، وعلى اللغات القبطية والبربرية والكوشيتية واكتسحتها، وحلت محلها حتى بلغ عدد الناطقين بها الآن نحو مائة مليون ينتمون إلى نحو خمسة عشر أمة^(١) ويسكنون رقعة واسعة من الأرض تمتد في جنوب شرق اسيا، وشمال وشرق افريقيا، بعد ان كانوا قديما لا يتجاوزون بضعة الاف يقطنون منطقة ضيقة في الجنوب الغربي من بلاد العرب، وامتد اثر اللغة العربية إلى الأمم الارية والطورانية التي اعتنقت الدين الإسلامي (الفرس، الهنود، الاتراك... الخ..)

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي - علم اللغة - ص ١٥٧



فاحتلت لديها مكانة مقدسة سامية، وتركت اثارا عميقة في كثير من لغاتها، فاستعت بذلك مناطق نفوذها حتى بلغ عدد الناطقين بها والمتأثرين بسلطانها نحو خمسمائة مليون من سكان المعمورة.^(١)

ونتيجة لهذا الإنتشار الواسع، تحت تأثير عامل او أكثر من عوامل الانتشار وتكلم جماعات كثيرة العدد بها، وتعلمها من قبل طوائف مختلفة من الناس فيهم الفارسي والرومي والقبطي والحبشي والتركي والبربري والهندي... الخ. فتعرب معظمهم شغفا بلغة القران الشريف او طمعا في الأندغام في الشعب العربي الكريم، ومعلوم ان التطبع غير الطبع و (ليس التكحل في العينين كالكحل) فسرت عدواهم إلى السنة بعض المتحضرين من العرب وبدت طلائع اللحن في كلامهم.^(٢)

ولهذا يمكن القول ان اللغة العربية تأثرت بسبب الفتح وانتشار الإسلام باثار متعاكسة فمن ناحية: انتشرت في البلاد المفتوحة، في مصر والشام والعراق وفارس والسند وأخذ اهل هذه الأمصار يتكلمون العربية شيئا فشيئا حتى غلبت ما عداها، فكسبت اللغة من المتكلمين بها اضعاف ما كان يتكلم بها من عرب الجزيرة. واستفادت ايضا ان كل مصر من هذه الأمصار غذى اللغة العربية بكلمات لم تكن تعرفها، فنباتات كل مصر وحيواناته وملابسه ونحو ذلك مما لم يكن للعرب به علم قد أخذه العرب وادخلوه في لغتهم واخضعوه لاحكامها.^(٣)

ومن ناحية أخرى فقد اثر انتشار الإسلام ودخول امم غير عربية فيه وامتزاجهم مع العرب وامتزاج العرب معهم كل ذلك أدى إلى فقدان السليقة العربية وانتشار

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي - علم اللغة ص ١٨٨

(٢) العلامة طه الراوي - نظرات في اللغة والنحو ص ٨٢

(٣) الدكتور أحمد أمين - ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٤٨



اللحن وشيوع الخطأ في الكلام، يقول أحمد أمين: «الحق ان الأمتزاج كان قويا شديدا...، وانه كانت هناك حروب في المسائل الاجتماعية، كالحروب البدنية بين الجنود، ولكن لم يعن المؤرخون بتفصيلها وهي اولى بالعناية فقد كانت حرب بين الإسلام والديانات الأخرى وكانت حرب بين اللغة العربية واللغات الأخرى...»، إلى ان يقول: «والحق ان العرب وان اتخذوا في النظم السياسية والاجتماعية وما إليها من فلسفة وعلوم ونحو ذلك، فقد انتصروا في شيئين عظيمين: اللغة والدين، فاما لغتهم فقد سادت هذه الممالك جميعها، وانهزمت أمامها وظل هذا الانتصار حليف العرب في أكثر هذه الممالك إلى اليوم، وكذلك الدين فقد ساد هذه الاقطار واعتنقوه وقل من بقي من سكان هذه البلاد على دينه الاصيل»، مع انتصار هذين العنصرين - اللغة والدين - فقد تآثر كل منهما اثناء هذه الحروب، فاللغة لم تعد سليقة وفشا فيها اللحن، حتى احتاجت إلى قوانين تضبطها، قال ابو عبيدة: «مر عبدالله بن الاهتم بقوم من الموالي وهم يتذكرون النحوفقال: لأن اصلحتموه انكم لاول من افسده». قال ابو عبيدة: «ليته سمع لحن صفوان وخاقان ومؤمل بن خاقان»^(١).

وكذلك غلبت على اللغة كلمات اعجمية، وتراكيب اعجمية، وخيال اعجمي، ومعان اعجمية^(٢)، ولئن اغنى الاعاجم اللغة العربية التحريرية، فقد افسدوا اللغة اللسانية بما ادخلوه من لحن. كانت الجزيرة العربية سليمة المنطق قبل الفتح وقبل دخول الاعاجم في الإسلام، ثم بدأ اللحن يفشوا فيها، وهكذا كلما مر زمان ازداد اللحن وتفشى أكثر فأكثر حتى اصبحنا نرى بدء تكون لغتين: لغة الكتابة والاعراب

(١) ابن عبد ربه - العقد الفريد - ج ٢ ص ١٨

(٢) الدكتور أحمد أمين - فجر الإسلام - ص ٩٦



الفصحاء ومن جرى مجراهم ولغة يسميها الجاحظ لغة المولودين والبلديين.^(١) ونتيجة لهذا كله كان من المستحيل على اللغة العربية ان تبقى محتفظة بوحدها الأولى امدا طويلا، فما لبثت ان انشعبت إلى لهجات، وسلكت كل لهجة منها في سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها، وما انفكت مسافة الخلف تتسع بينها وبين اخواتها حتى اصبحت لغة متميزة مستقلة تكاد ان تكون غير مفهومة الا لاهلها، وبذلك تولد عن اللغة العربية الأولى شعب من اللغات اختلفت أفرادها بعضها عن بعض في كثير من الوجوه ولكنها ضلت مع ذلك متفقة في وجوه أخرى لأن العربية الأم تركت اثارها في الشعب المتفرعة عنها تدل على ما بينها من صلات قرابة ولحمة نسب لغوي.

يقول السيد احمد الهاشمي: «فلما تم امتزاج العرب بالعجم (عصر الدولة العباسية) تكونت بين العامة في البلاد التي تكثر فيها جمهرة العرب لغات تخاطب عامية - الا بين اهل جزيرة العرب فلم يزل تخاطبهم باللسان العربي الفصيح إلى اواسط القرن الرابع - وبقيت لغات التخاطب في البلاد التي تقل فيها جاليتهم هي اللغات الوطنية الاعجمية ممزوجة ببعض الالفاظ العربية التي ادخلها عليها الإسلام. وخاف الخلفاء والخاصة من هول تغلب العامية على ابناءهم واشفقوا ان تستطيل على الفصيحة فيستغلط على المسلمين فهم الكتاب والسنة وهما كل الدين، فحرضوا العلماء على تدوين اللغة والاكتثار من العناية بضبط النحو وفنون البلاغة ولكن ذلك كله لم يوقف تيار العامية الزاخر واستمر في طغيانه إلى ان غلب في النصف الاخير من عصر هذه الدولة على جميع لغات التخاطب، حتى لغة الخلفاء والعلماء انفسهم، واصبح لكل بلاد عربية لغة تخاطب عامية خاصة بها، ولكن لم

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١١١



تصبح العامية لغة علم وأدب»^(١)، بل تميزت اللغة العامية عن الفصحى وجرتا واستمر انفصال اللهجات العربية بعضها عن بعض منذ ذلك الحين وتحت تأثير عوامل كثيرة حتى أخذت شكلها الحاضر في سائر البلاد العربية، يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: «وقد اتسعت مسافة الخلف بين اللهجات المتشعبة عن العربية حتى أصبح بعضها شبه غريب عن بعض، فلهجة العراق في العصر الحاضر مثلاً يجد المصري بعض الصعوبة في فهمها، غير أنه قد خفف من أثر هذا الانقسام اللغوي بقاء العربية الأولى بين هذه الشعوب لغة أدب وكتابة ودين»^(٢). ويقول الدكتور ابراهيم السامرائي: «وما العاميات الحديثة إلا نتيجة لهذا التطور في العربية الفصيحة»^(٣). واليك الآن أهم العوامل التي أدت إلى تطور اللغة العربية إلى لهجات محلية كما ذكرها علماء اللغة.

العوامل التي أدت إلى تعدد اللهجات العربية بعد الإسلام:

أولاً: انتشار اللغة العربية في مناطق واسعة، ذات لغات سامية أخرى في اليمن حيث كانت فيها لغات جنوبية سامية، وفي بقاع الهلال الخصيب حيث كانت الحضارة الآرامية عامرة فيها، وفي الشمال الأفريقي حيث تم لها الاستقرار في عهد القبطية، وحيث طردت اللهجات البربرية وطبيعي أن ينال هذه اللغة القوية الغازية شيء من التغيير والتحريف على السنة هؤلاء المحدثين الجدد الذين لم تتعود السنتهم

(١) السيد أحمد الهاشمي بك - جواهر الأدب - ج ٢ ص ١٥٨

(٢) الدكتور علي عبد الواحد وافي - علم اللغة - ص ١٦١

(٣) مباحث لغوية - ص ٨٤



على اصواتها، وعلى طرائق النطق والتعبير فيها، وقد تعدى هذا الانحراف هؤلاء الجدد المحدثين إلى العرب انفسهم، فالغزاة من هؤلاء العرب بعد ان استقروا في هذه الربوع تاثروا بلغاتها وبطرائق نطقهم وتعبيرهم فإذا عربيتهم يشوبها الانحراف، وإذا بالانحراف يتسع شيئاً ما حتى يستحيل مع الزمن إلى لون لغوي خاص متميز في نطاق العربية الواسع.^(١)

ثانياً: من المعلوم ان اما كثيرة غير عربية دخلت الدين الإسلامي وتعلمت اللغة العربية كالفرس والهنود والأتراك وغيرهم، ومن الواضح ان الفروق بين الاجناس والفصائل البشرية التي ينتمون اليها، والاصول التي انحدروا منها، لها اثر بليغ في تفرع اللغة العربية إلى لهجات ولغات.^(٢)

ثالثاً: بما ان العرب كانوا ولا يزالون منتشرين على رقعة واسعة من الأرض فهم يجاورون اما كثيرة، ويحصل احتكاك بين كل قسم من العرب ومن يجاورهم من الأمم، مما يؤدي إلى تاثر لغة ذلك القسم بشكل يختلف عن تاثر الاقسام الأخرى، فمثلاً عرب العراق والخليج العربي يكثر احتكاكهم بالفرس والهنود فتتاثر لهجاتهم باللغة الفارسية واللغة الهندية، وعرب شمال افريقيا يكثر احتكاكهم بالاوربيين من فرنسيين وايطاليين ويونانيين وغيرهم فتتاثر لهجاتهم باللغة الفرنسية، والايطالية واليونانية وهكذا مما له اثر على تعدد اللهجات العربية.

رابعاً: استقلال بعض المناطق التي انتشرت فيها اللغة العربية عن بعض من الناحية السياسية، وضعف السلطان المركزي الذي كان يجمعها ويوثق ما بينها من

(١) الدكتور ابراهيم السامرائي - مباحث لغوية - ص ٨٤

(٢) الدكتور علي عبد الواحد وافي - علم اللغة - ص ١٦٢



علاقات^(١) أدى إلى انفصام الوحدة الفكرية واللغوية شيئا فشيئا، فإن الدولة العربية الإسلامية لما ال امرها إلى التفكك والانحلال واستقلال بعض ولاياتها عنها فمنذ بداية الدولة العباسية حيث استقلت الأندلس، ثم استمر بعدها استقلال الكثير من ولاياتها حتى نهاية الدولة العباسية وتمزقها على ايد التتار الغزاة ثم ما حدث بعد ذلك من فترات مظلمة مرت على هذه الأمة، كل ذلك له اثره على الوحدة اللغوية والفكرية.

خامسا: الفروق الموجودة بين الناطقين باللغة العربية من الناحية الثقافية والفكرية، والنظم الاجتماعية والاعراف والتقاليد والعادات هذه الفروق لها اثرها على اختلاف النطق لدى كل طبقة من طبقات المجتمع العربي.

سادسا: الاختلاف الجغرافي من ناحية المناخ والموقع والبيئة الطبيعية وما فيها من جبال وانهار وبحار وبحيرات وغيرها، فمن المعلوم ان العرب بعد انتشارهم من شبه الجزيرة العربية، سكن قسم منهم الصحاري وقسم منهم في السهول، واخرون في الجبال ومنهم على سواحل البحار، وهذه الظروف الطبيعية المختلفة لها اثرها على اداة التعبير عندهم.

فانقسام المتكلمين باللغة العربية تحت تاثير هذه العوامل إلى جماعات متميزة واختلاف هذه الجماعات بعضها عن بعض في شؤونها السياسية والاجتماعية، وفي خواصها الشعبية والجسمية والنفسية وما يحيط بها من ظروف طبيعية وجغرافية، كل ذلك وما اليه يوجه اللغة عند كل جماعة منها وجهة تختلف عن وجهتها عند غيرها، ويرسم لتطورها في النواحي الصوتية والدلالية وغيرها منهجا يختلف عن منهج اخواتها، فتتعدد مناهج التطور اللغوي حسب تعدد الجماعات، ولا تنفك

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي - علم اللغة - ص ١٦١



مسافة الخلف تتسع بين اللهجات الناشئة عن هذا التعدد، حتى تصبح كل لهجة منها لغة متميزة مستقلة غير مفهومة الا لاهلها.

ويبدء الخلاف بين هذه اللهجات من ناحيتين: احدهما الناحية المتعلقة بالصوت فتختلف الاصوات (الحروف) التي تتالف منها الكلمة الواحدة وتختلف طريقة النطق بها تبعا لاختلاف اللهجات، والأخرى الناحية المتعلقة بدلالة المفردات، فتختلف معاني بعض الكلمات باختلاف الجماعات الناطقة بها. اما القواعد La Grammaire فلا ينالها في المبدأ كثير من التغيير، واليك مثلا اللهجات العامية التي انشعبت عن العربية بالعراق والشام والحجاز واليمن وبلاد المغرب ومصر والسودان، فانه لا يوجد بينها الآ فروق ضئيلة في نظام تكوين الجملة وتغيير البنية وقواعد الاشتقاق والجمع والتانيث والوصف والنسب والتغيير... وما إلى ذلك على حين ان مسافة الخلف بينها من الناحيتين الصوتية والدلالية قد بلغت حدا جعلت بعضها شبه غريب على بعض.^(١) هذا هو حال اللهجات العربية اليوم، وهي اللهجات التي يتكلم بها في سائر البلاد العربية والتي تختلف الواحدة عن الأخرى اختلافا بينا ولكن اللغة العربية الفصحى لا تزال تستعمل في هذه البلاد باعتبارها لغة الكتابة والعلم والأدب، فكيف بقيت هذه اللغة إلى اليوم؟

كيف بقيت اللغة العربية التي نزل بها القرآن:

بالرغم من تعدد اللهجات العربية، الا ان اللغة العربية الأم ضلت هي لغة الكتابة، وهي التي تعرف باللغة العربية الفصحى، وهي التي تعلم في المدارس على

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي - علم اللغة - ص ١٦٣



اختلاف مراحلها في مختلف البلاد العربية، ويجري بها تدريس المواد المختلفة في المعاهد، وتؤلف بها الكتب والصحف والمجلات، وتصدر بها المكاتبات الرسمية وغيرها، وتستخدم في مختلف مناحي الوعظ والخطابة، وتذاع بها نشرات الاخبار والاحاديث من دور الإذاعات العربية وغيرها، فكيف بقيت اللغة العربية التي نزل بها القرآن إلى يومنا الحاضر، مع القول بان اللغة تتطور وتبدل، ولا تبقى ثابتة، وان ذلك امر حتمي لا مفر منه ولا مهرب عنه؟

وللجواب على هذا السؤال، لابد لنا ان نعرف ان التطور الذي يحدث للغة لا يحدث بين عشية وضحاها بل يحتاج إلى مئات من السنين لكي يحدث فيها تبدل ملحوظ له بعض الاهمية اللغوية، فاختلاف الاصوات في جيل عما كانت عليه في الجيل السابق له مباشرة لا يكاد يتبينه إلا الراسخون في ملاحظة هذه الشؤون، ولكنه يظهر بصورة جلية إذا وازنا بين حالتها في جيلين تفصلهما مئات السنين، فلغتنا لا تكاد تختلف عن لغة ابائنا المباشرين، ولكنها تختلف اختلافا بينا في هذه الناحية عما كانت عليه في السنة اجدادنا في العصور الوسطى، او في صدر العصور الحديثة^(١)، ويشير الدكتور ابراهيم السامرائي إلى هذه الحقيقة بقوله: «وهذا النوع من التطور (التطور الخارجي) بطيء غير انه لا يعرف التوقف وهو يتناول اللون الخارجي من حيث الدلالة ولعل الاجيال المتعاقبة كانت تحدث هذا التطور ويحصل في لغاتها ولكنها لا تفطن إلى هذا التبدل والتغير وان الناس لا يشعرون وهم يتكلمون لغة معينة انها تختلف عن اللغة نفسها في جيل عفى عليه الزمان»^(٢). وكذلك يجب ان نعرف ان اللغة العربية، تكاد تكون اقل اللغات تطورا على مر

(١) علي عبد الواحد وافي - علم اللغة - ص ٢٦١

(٢) مجلة معهد اللغات العالية - العدد الأول سنة ١٩٦٤ مبدأ التطور في اللغة

العصور وأكثرها اشتمالاً على أصول اللغات البدائية، فلغتنا لم تأخذ بنصيب واف من التطور والتشذيب والتبويب كاللغات الأخرى...

وما زالت لغتنا اليوم تقارب في الفاظها وتراكيبها تلك التي نزل بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً، ومرد هذا إلى أنها لغة القرآن الكريم، والقرآن العظيم فضلاً عن كونه كتاب المسلمين الأقدس هو كتاب العربية الأول ونموذج رائع معجز في البلاغة والبيان، كل ذلك جعل لغة القرآن قدوة الكتاب ورائد الأدباء في كل عصر، ففصحائهم ينهلون من معينه الثر، ويحاولون محاكاته في طرق التعبير والتصوير، ولغويوهم ونحاتهم يستمدون منه جل قواعده فظلت لغتنا الفصيحة حتى اليوم قوية الشبه وثيقة الصلة بلغة العرب في مطلع العصر الإسلامي، مما حال دون أن يلم باللغة العربية كبير تطور كذلك الذي أصاب سائر اللغات العالمية.

ومما باعد بين لغتنا الفصحى المتبلورة، ولغتنا العامية المتطورة^(١)، على أنه إذا اعتبرنا تطور العربية بالنسبة إلى الزمن وقسناه بما حدث للغات أوربا الحديثة وجدنا أنه كان يجري على مهل وحذر فقد تجاوز عمر لغتنا المروية منذ أيام الجاهلية الخمسة عشر قرناً، ونحن لا نزال نستعمل نفس تلك اللغة - باستثناء بعض مفردات ماتت مع الزمن - نستعملها نطقاً وتهجئة ومعنى، وكثيراً ما نحاول الرجوع إلى العصور القديمة بحثاً عن لفظة تصلح لمعنى من المعاني العصرية الجديدة، ولا شك أن هذا الاتصال الوثيق بترائنا اللغوي القديم يدل على مناعة العربية وصمودها لحوادث الزمن وشدة حيويتها في احتمال الكوارث والمحن.^(٢) وهذه حقيقة يشهد بها حتى أعداء العرب من المستشرقين وغيرهم فهذا المستشرق الفرنسي (ارنست

(١) محمد بدر الدين ابوصالح - المدخل إلى العربية - ص ٧١

(٢) أنيس المقدسي استاذ الأدب العربي بجامعة بيروت - الهلال ج ٢ ص



رينان) ١٨٢٣ - ١٨٩٢ م وهو المعروف بعدائه للغة العربية لا يملك الا ان يعترف بقوة اللغة العربية وحيويتها، قال في كتابه: (تاريخ اللغات السامية): «من اغرب المدهشات ان تنبت تلك اللغة القوية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرحل. تلك اللغة التي فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها. وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة انها لم تتغير أي تغير يذكر، حتى انها لم يعرف لها في كل اطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة، لا نكاد نعلم من شأنها الا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى، ولا نعلم شبيها هذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة».^(١)

من هذا نفهم ان اللغة العربية لم تتطور كثيرا رغم طوال المدة ورغم ضراوة الصراع، وهذا يدل على ان في اللغة عناصر ثبات إلى جانب العوامل المساعدة على التطور. فما هي عوامل الثبات هذه؟ ولماذا تحافظ اللغة على شخصيتها عبر العصور الطوال؟ يعتقد بعض الباحثين في علم اللغة ان العامل الاساسي للثبات في اللغة هو وجود خط معنوي يمثل الشكل المثالي للغة يتناثر متكلموا اللغة حوله فبعضهم يقترب منه كثيرا والبعض الآخر يبتعد عنه نسبيا الا ان الجميع يحاولون الوصول اليه وهم بذلك يتخذونه حكما ودرعا ضد الشطط والأنزلاق.^(٢)

(١) محمد بدر الدين ابوصالح - المدخل إلى العربية - ص ٦٥

(٢) الدكتور خليل حماش - ديناميكية التطور التاريخي للغة الاقلام



الخط المثالي لحفظ اللغة:

ومن هنا نعرف سر بقاء اللغة العربية الفصحى لغة حية تستعمل في الكتابة والأدب والتأليف... الخ.. إلى يومنا الحاضر وهو وجود خط واضح مثالي لكل المتكلمين بالعربية الا وهو (القران الكريم) الذي هو سر بقاء هذه اللغة إلى اليوم، كما سيكون سبب بقائها فيما بعد اليوم ويقول الدكتور (زكي المحاسني): «وقد كان من حظ لغتنا السمحة ان يرفدها القرآن فيظل حارسها على الابد»^(١).

ويقول ابن خلدون: «لما فسدت اللغة بما بقي اليها مما يغيرها وخشي اهل العلم ان تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على الفهم استنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر انواع الكلام ويلحقون الاشياء بالاشياء مثل ان الفاعل مرفوع والمفعول منصوب...»^(٢)، وكلما ظهرت انحرافات في هذه اللغة على اقلام الكتاب والمؤلفين والسنة الأدباء والمتحدثين، ظهر من يقوم ذلك الانحراف ويلفت اليه الأنظار.

ففضل بقاء اللغة العربية يرجع إلى الدين الإسلامي وإلى القران الكريم وإلى احاديث النبي ﷺ وخطب الأمام علي ابن ابي طالب عليه السلام في نهج البلاغة وخطب المسلمين الأولين من الصحابة والتابعين والاشعار والقصائد التي وصلتنا من العصر الإسلامي الأول او من العصر الذي سبقه وهو العصر الجاهلي، وإلى اعتزاز المسلمين بهذا التراث الضخم، ولنعم ما قاله الاستاذ محمد الخضر حسين:

(١) نظرات في أدبنا المعاصر ص ٩٦

(٢) ابن خلدون مقدمة ص ٤



لغةٌ قد عقد الدين لها ذمّة يكلؤها كل البشر
أولم تُنسج على منوالها كَلِمُ التنزيل في ارقى سور
يالقومي لوفاء ان من نكثَ العهدَ اتى احدى الكُبر
فاقيموا الوجه في احيائها وتلافوا عقد ما كان انتشر

تصحيح الانحرافات اللغوية:

فكلما جنحت اللغة العربية إلى الابتعاد عن لغة القرآن قام ثلة من العلماء المخلصين بتنبيه الناس ولفت انظارهم إلى الخطاء والانحراف واللمح الذي يشيع بينهم فتظهر من ان لآخر تصحيحات وتنبيهات توصي بالرجوع إلى النهج القويم من تلفظ الكلمات واستعمالها لئلا يختل التفاهم بين أفراد المجتمع، وبذلك حافظ العرب على لغتهم، وصانوها، فقد الفوا في ذلك معاجم قيمة واسعة، وكتبوا في اصلاح الاخطاء افضل الكتب ويقول الثعالبي: «والعربية خير اللغات والالسنّة والاقبال على تفهمها من الديانة إذ هي اداة العلم ومفتاح التفقه في الدين...»^(١). وقال ابن عباس: «الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي انزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه، وسئل عن قول الله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ قال: العزيز: الحلق الرقاق»، قال عبيد بن الابرص: «فجاؤا يهرعون اليه حتى يكونوا حول منبره عزينا»^(٢).

(١) الثعالبي - فقه اللغة -

(٢) الاتقان - ج ١ - ص ١٤٩

ومن أجل القرآن عنى العلماء بلهجات العرب، وكيف تنطق تميم وقريش، ومن الذي يميل، ومن لا يميل، ومن يبدل ومن لا يبدل، لتفهم قراءات القرآن كما عنوا بالمعرب والاصيل لما في القرآن من معرب واصيل. بل وجد بعض العلماء بعد في البلاغة يضعون لها القواعد، ويستتجون القوانين تفهما لمواضع الاعجاز في القرآن، وتذوقا لبلاغته.^(١)

يقول عبد القاهر الجرجاني في البلاغة: «وهو باب من العلم إذ انت فتحته اطلعت منه على فوائد جلية ومعان شريفة ورايت له اثرا في الدين عظيما وفائدة جسيمة. ووجدته سببا إلى حسم كثير من الفساد فيما يعود إلى التزيل واصلاح انواع من الخلل فيها يتعلق بالتاويل».^(٢)

ويقول أحمد أمين: كانت الفاظ القرآن مادة كبيرة من مواد اللغة اجتهد العلماء في تحديد معانيها، وكانت حافزا لهم على الرحلة والرواية لتبيين مدلولها، كما كانت ألفاظه سببا في ان يجمعوا حول كل لفظة ما يتصل بها ويبين اشتقاقها وما تفرع من مادتها فإذا جاؤا مثلا لكلمة (اجاج) في قوله تعالى: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، قالوا معناها شديد الملوحة، وقارنوا بينها وبين اجيج النار، وقولهم اج الظليم إذا عدا الخ، وقارنوا بين استعمال الكلمات المختلفة في القرآن ذوات المبنى الواحد لتحديد معانيها، ووجوه الشبه بينها فقارنوا بين (فجر) في قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾، و (الفجر) في قوله جل وعلا: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ و ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، و (الفجار) في قوله تعالى شأنه: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِينٍ﴾، وقولي تبارك اسمه: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَهُ﴾

(١) أحمد أمين - ضحى الإسلام - ج ١ ص ٣١١

(٢) دلائل الاعجاز ص ٣٣

أمامه... الخ.^(١) ويقول الاستاذ مصطفى صادق الرافعي: «وان في اللغة العربية سرا خالدا هو هذا الكتاب المبين (القران) الذي يجب ان يؤدي على وجهه العربي الصريح ويحكم منطقاً واعراباً بحيث يكون الاخلال بمخرج الحرف الواحد منه كالزيف بالكلمة عن وجهها وبالجملة عن مؤادها، وبحيث يستوي فيه اللحن الخفي واللحن الظاهر».^(٢) ويقول ايضا: «انما القران جنسية لغوية تجمع اطراف النسبة إلى العربية فلا يزال اهله مستعربين به متميزين بهذه الجنسية حقيقة او حكماً حتى ياذن الله بانقراض الخلق وطئ هذا البسيط، ولولا هذه العربية التي حفظها القران على الناس ورددهم اليها واوجبها عليهم لما اطرده التاريخ الإسلامي ولا تراخت به الايام إلى ما شاء الله، ولما تماسكت اجزاء هذه الأمة ولا استقلت بها الوحدة الإسلامية، ثم لتلاحمت أسباب كثيرة بالمسلمين ونضب ما بينهم فلم يبق الا ان تستلحقهم الشعوب وتستلحقهم الأمم على وجه من الجنسية الطبيعية - لا السياسية - فلا تتبين من آثارهم في انفسهم من ذلك الا كما يثبت من طرائق الماء إذا انسب الجدول في المحيط».^(٣) فكلما سرى الانحراف في هذه اللغة انبرى من يقوم الشطط ويلفت النظر إلى اصلاح الاخطاء اللغوية، والتبصير بالاستعمالات الصحيحة، ويقال ان اول من الف في ذلك (علي بن حمزة الكسائي) المتوفي سنة ١٩٢ هـ، وهو من نحاة مدرسة الكوفة، فقد الف كتابا في اصلاح ما يقع فيه الناس من اللحن، وكتب (ابن السكيت) وهو من الكوفة كذلك سماه (اصلاح المنطق) وكتب (ابوحاتم السجستاني) وكان من ائمة اللغة والنحوي البصرة كتابا بهذا الصدد سماه (ما يلحن

(١) ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٥٥

(٢) تحت راية القران ص ٤٧ الطبعة الخامسة

(٣) تحت راية القرآن ص ٤٨.



فيه العامة) وكتب (ابن قتيبة) كتابه المعروف وهو (أدب الكاتب) وتعرض فيه إلى اصلاح الاخطاء المتفشية بين الناس.^(١) والـف (ابوبكر محمد ابن الحسن الزبيدي الأندلسي) المتوفى عام (٣٣٠هـ-٩٤١م) كتاباً في لحن العامة، ثم الف (ابن خالويه) المتوفى عام (٣٧٠هـ-٩٨٠م) بحلب كتاباً اسماء (ليست في كلام العرب) بين فيه الفاظاً تستعمل ولم يصح سماعها عن العرب.^(٢) وهذه الكتب تهدف إلى تقويم اللسان في التلفظ، واصابة الابانة في التعبير وذلك بالتلفظ الصحيح، واستعمال الكلمة الملائمة للغرض، واحلالها في مكانها الصحيح من الجملة. وممن كتب في ذلك ايضاً (محمد القاسم ابن علي البصري) ٤٤٦-٥١٦هـ المعروف بالحريري فقد الف بهذا الصدد كتابه المسمى (درة الغواص في اوهام الخواص) الذي انتقد فيه - كما يقول الاستاذ الزيات - اهل عصره في خروجهم عن حدود العربية في بعض الالفاظ والتراكيب، ومنهم الاستاذ (اسعد خليل داعز) مؤلف (تذكرة الكاتب) وقد قال في اولها:

يا معشر الكتّاب تذكرني لكم تجدونها بيد الولاء مسطرة
اصلحت فيها ما عثرت عليه من غلطاتنا اللغوية المتكررة

ومنهم (ابراهيم اليازجي) حيث نشر في مجلته (الضياء) التي اصدرها عام ١٨٩٩ سلسلة من المقالات في السنة الأولى بعنوان (لغة الجرائد) وفي السنة الثامنة بعنوان (اغلاط المولدين) وفي كلتا السلسلتين جرى مجرى الحريري في كتابه (درة الغواص) ضمن قوله في (لغة الجرائد): «لا نزال نرى في بعض جرائدنا الفاظاً قد

(١) آدم متز - الحضارة الإسلامية - تعريب محمد عبد الهادي ابوريد ج ١ ص ٤٣٨

(٢) أحمد أمين - ضحى الإسلام ج ١ ص ٣٠١



شدت عن منقول اللغة، فانزلت (مي) غير منازلها، واستعملت في غير معناها، فجاءت بها العبارة مشوهة وذهبت بها فيها من الرونق وجودة السبك. والعجب انك كثيراً ما ترى اناساً من متقدمي الكتاب يعتمدون أحياناً التقليد، وربما قلدوا من هودونهم من اصاغر اهل الصناعة، حتى فشى النقل بين تلك الطبقات كلها واصبح كثير من الفاظ الجرائد لغة خاصة يقتضي معجباً بحاله، ولما كان الاستمرار على ذلك مما يخاف منه ان تفسد اللغة على ايدي انصارها والموكل اليهم امر اصلاحها، وهو الفساد الذي لا صلاح بعده، راينا ان نفرد لذلك هذا الفصل نذكر فيه أكثر تلك الالفاظ تداولاً وننبه على ما فيها مع بيان وجه صحتها من نصوص اللغة»^(١)

وفي العراق جمع الاستاذ كمال ابراهيم مقدراً من هذه الاغلاط في مجموعة سماها اغلاط الكتاب حذا فيها حذو الاستاذ (داغرا)، ونشر الدكتور مصطفى جواد تصحيحات لاوهام لغوية شائعة في الكلام والكتابة سماها (قل ولا تقل)^(٢)

وكل لغة عامة لا تقيد من انطلاقها المعاجم وقواعد اللغة الفصحى في منطقة تلك اللغة تطفئ لسهولة على اللغة الفصحى وتميل بها إلى الأندثار فتخلق بذلك حاجزاً يمنع اتصال الحضارة الحاضرة بالحضارة السابقة. ويصبح ابناء اللغة الحديثة غرباء عن لغة اجدادهم يحتاجون إلى من يترجم لهم اثارهم الأدبية والفكرية وهو خسران كبير لا يرضى بحدوثه ذوو الحرص على الافادة من التراث الأدبي والفكري والعلمي لدى القدماء.

ولقد حال القرآن الكريم دون وقوع هذا الخسران الكبير في التراث العربي إذ حفظ اللغة الفصحى فمنع ان تتشعب اللهجات المحلية إلى لغات مستقلة وتتسع

(١) ابراهيم اليازجي مجلة الضياء السنة الأولى العام ١٨٩٩ م.

(٢) الدكتور احمد حسن الرحيم اصول تدريس اللغة العربية والتربية الدينية ص ٨

فيها شقة الغرابة على مر القرون فلولاها لما وجد اليوم من الاقطار العربية على اتساع رقعتها وتباعد اطرافها لغة مشتركة للتفاهم ولما كان بإمكان العربي في العراق مثلاً ان يطلع على نتاج العاطفة والفكر بالعربية الفصحى في شمال افريقيا والأمريكتين (أدباء المهجر) وغيرها من الاقطار العربية.^(١)

من هذا نعرف مقدار الجهود الجبارة التي بُذلت في سبيل صيانة اللغة العربية ومحاربة ما يطرأ عليها من تحريف، وقد كان ما صنعه علماء اللسان العربي في غابر العصور من أجل لغة العرب امراً يُعَدّ في حدود الاعجاز، فقد وضعوا لهذه اللغة معاجم ضافية، روقوا فيها الفاظ العربية واعطوها معانيها الصحيحة، وبذلوا في جمعها من افواه العرب في البادية والأمصار أعمارهم وجهودهم. سأل الكسائي الخليل بن أحمد، من اين علمك هذا؟ فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج الكسائي وانفذ خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه.^(٢)

وروي عن ابن عمر ابن العلاء: ان كتبه عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له إلى السقف وحين جاء بعدهم علماء التدوين دونوها وصنفوها وعقدوا من أجلها المجالس في دور العلم والمساجد الجامعة، والفوا الكتب في دراستها فعنوا بمتراذفها، ومناظرها، ووضعوا الكل لفظ معنى في الاستعمال والاشتقاق، حتى كانت معاجمهم التي صدرت عن كتاب (العين) للخليل بن احمد الفراهيدي اعجوبة التصنيف اللغوي في معاجم الأمم.^(٣)

(١) المصدر السابق ص ١٦

(٢) ابن الأنباري طبقات الأدباء ص ٨٤

(٣) الدكتور زكي المحاسني - نظرات في أدبنا المعاصر ص ٩٧



وعلى الرغم من تلك الجهود الجبارة التي بذلت من أجل صيانة اللغة العربية وحفظها، ومحاربة ما يطرأ عليها، ومع ان هذه الجهود كانت تعتمد على دعامة من الدين الإسلامي، حتى كان من الدين التثقف بها والعلم باخبارها، بل عمل الإسلام عملاً كبير في رقيها وتقنينها ذلك لأن القرآن الكريم والحديث الشريف عربيان، ومن حسن الإسلام تعلم لغته واحبها.

كل ذلك لم يقف دون تطور اصواتها إلى الصورة التي تتفق مع نوااميس التطور اللغوي فاصبحت اللغة العربية ذات شقين، الأول: العربية الفصحى وتستعمل في الكتابة والخطابة وحتى في الكلام أحياناً وهي لم تتبدل ولم يطرأ عليها تغير يذكر بل بقيت كما كانت عليه في صدر الإسلام سوى بضع كلمات ماتت مع الزمن، الثاني: اللهجات العامية المتطورة عن العربية الفصحى وهذه تختلف من قطر عربي إلى آخر بل من مجموعة إلى أخرى حتى في القطر الواحد او في المدينة الواحدة.

من هذا كله يظهر انه ليس في قدرة الأفراد ان يوقفوا تطور اللغة، او يجعلوها تجمد على وضع خاص فمهما اجادوا في وضع معجماتها، وتحديد الفاظها، ومدلولاتها، وضبط قواعدها واصواتها، ومهما اجهدوا انفسهم في اتقان تعليمها للاطفال قراءة وكتابة ونطقاً، وفي وضع طريقة ثابتة سليمة، يسير عليها المعلمون والمتعلمون بهذا الصدد، ومهما بذلوا من قوة في محاربة ما يطرأ عليها من لحن وخطأ وتحريف، فانها لا تلبث ان تحطم هذه الاغلال وتفلت من هذه القيود، وتسير في السبيل التي تريدها على السير فيها سنن التطور والارتقاء الطبيعيين.

حقاً انه يمكن أحياناً التحكم في لغة الكتابة والجمود بها زمناً طويلاً على اصولها القديمة او ما يقرب منها ولكن لغة الكتابة التي تجمد بهذا الشكل لا تمثل تمثيلاً صحيحاً حالة الحياة اللغوية في الأمة، وتوسع كثيراً مسافة الخلف بينها وبين لغة

المحادثة، لأن هذه اللغة الأخيرة في تطور مطرد، ولا تستطيع اية قوة إلى تعويق تطورها سبيلاً، فلا تنفك تبعد عن لغة الكتابة الجامدة حتى تصبح كل منها غريبة عن الأخرى أو بعيدة عنها، ويصبح تعليم لغة الكتابة في الأمة أشبه شيء بتعليم لغة اجنبية. وهذا ما عليه الحال الآن في كل البلاد العربية بين لهجات المحادثة واللغة العربية الفصحى، ولكن هذا لا يعني ان العامية في هذه البلاد هي لغة غير عربية، بل انها عربية متطورة وقد ضمت بين مفرداتها كلمات فصيحة كثيرة وهذه الكلمات اما ان تكون من اللغة الفصحى المستعملة حالياً في الكلام والكتابة، واما ان تكون من الكلمات المهجورة من الفصحى. وقد نشر الدكتور ابراهيم السامرائي بحثاً عنوانه ما حفظته العامية من الفصحى المنسي قال في بدايته: «فقد تبتعد الكلمة عن اللغة الفصيحة فيعزف عنها اهل الاستعمال وتستقر في اللغات الدارجة حتى يحيل لكثير من المعنيين بالدراسات اللغوية ان الكلمة (عامية) ولا صلة لها بالفصيحة». وقد سمي الاستاذ شفيق جبري من اعضاء مجمع اللغة العربية في دمشق هذه الكلمات (بقايا الفصحى)^(١)، وقد جمع الدكتور ابراهيم السامرائي من هذه الكلمات في بحثه مائة واحدى عشرة كلمة رتبها حسب الحرف الهجائية. وفي ختام بحثه هذا قوله: «ولعل استقراء أوفى يثبت أن في عاميتنا في مختلف مواطنها اشياء أخرى تحدرت إليها من اللغة الفصيحة».^(٢)

الا ان اللغة الأم هي اللغة الجامعة للسان العربي، والتي تصارع هذه اللهجات المنشعبة عنها، من أجل البقاء، لذا فان مسافة الخلف بين العربية الأم، وبين هذه اللهجات لم تكن بعيدة.

(١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الثالث المجلد الخامس والاربعون.

(٢) الدكتور ابراهيم السامرائي - مباحث لغوية - ص ١٢١



هنا ينتهي (الباب الأول) من هذا الكتاب وقد عرضنا فيه (الصراع الطبيعي) الذي تخوضه اللغة العربية، مع سائر اللغات التي احتكت بها واتصلت معها وقد ابادت اللغة العربية عدة من اللغات وقضت عليها وتعايشت مع الكثير منها ولا تزال وقد انتهينا إلى ان هذا النوع من الصراع أثر على اللغة العربية واحالها إلى لهجات متعددة قبل الإسلام ثم ما لبثت تلك اللهجات ان توحدت قبيل الإسلام، واستكملت توحيدها عند نزول القرآن وانتشار الإسلام، ثم ما لبثت ان تعددت مرة أخرى إلى لهجات، وظلت هذه اللهجات في تطور مستمر إلى يومنا هذا.

والآن تظهر البشائر على تقلص اللهجات وتقاربها وذلك بفضل انتشار الوعي بين المتكلمين بها وبفضل الإذاعات والصحف والكتب العربية وغيرها مما يدعوا إلى التفاضل بشدة تمسك العرب بلغتهم الأم والتي هي سرّ وحدتهم واساس عزتهم.

البَابُ الثَّانِي

الصَّرَاحُ غَيْرُ الطَّبِيعِيِّ

ما هو الصراع غير الطبيعي؟ وكيف فرض على اللغة العربية؟

نقصد بالصراع غير الطبيعي، ذلك الصراع الذي تخوضه اللغات من اجل بقاءها واستمرار حياتها ضد الخطط التي يرسمها ويضعها لها اعداؤها، فهو يختلف عن ذلك الصراع الطبيعي، لان هذا الصراع مفروض عليها، وموضوع ضدها عن قصد ووتصميم وتخطيط مسبق من اجل القضاء عليها، وفرض الهزيمة لها، وذلك لان اللغة لها مظهر سياسي متين لكونها من اسس القومية، ومن عناصر الاتحاد والقوة للامة الواحدة، فاذا استطاع العدو القضاء على لغة عدوه فقد انتصر عليه، واذا به في كيانه، ودبجه مع افراده، وصهره في بودقة حضارته وبهذا ينمحي اثره وتنطمس شخصيته من الوجود.

واللغة العربية قد فرض عليها هذا اللون من الصراع وتعرضت لكثير من الحملات الظالمة والهجمات المعتدية منذ زمن بعيد، ولا تزال تتعرض لذلك حتى يومنا الحاضر فقد تعرضت لمحاربة شديدة من المستعمرين وقاست منهم حركات ابادة منظمة دبرت لاضمحلالها والقضاء عليها لانها لغة القرآن الكريم ولغة الدين الاسلامي الحنيف ولانها مظهر صادق من مظاهر وحدة الامة العربية، والقطب



الذي تدور عليه ربحى توحيد الشعب العربي المنتشر في بقعة واسعة الارحاء من هذه المعمورة. وكلما فرض على اللغة العربية ان تخوض معركة بقاء ضارية يشنها عليها عدواو مستعمر خرجت وهي اقوى عوداً واشد صلابة.

هذا ومن الجدير بالذكر ان نعلم ان اللغة العربية انما قاست ما قاست من المحن والويلات ليس الا باعتبارها لغة هذا الدين ولغة هذا القرآن والحرب التي شنت ضدها هي جزء من تلك الحرب المتعددة الجوانب التي شنت ضد هذا الدين، فان اعداء الاسلام ادركوا خطورة هذه اللغة في توحيد كيان هذه الامة واعتزازها بدينها وصلتها بتراتها الضخم وشدها اليه، فاذا قضي على هذه اللغة فقد قضي على هذه الامة، فان هدم اللغة العربية ليس الا هدماً للاسلام في لغته التي يتعبد بها المسلمون ويقدسونها ايما تقديس.

يقول الشيخ محمد الغزالي: «ولا شك ان الصلة قائمة بين قوة اللغة وقوة اهلها فكلما اتسعت الرقعة التي انتشرت فيها لغة ما، دل ذلك على عظم الشأن وسعة النفوذ». ويقول: «قد تواطأت الدول المستعمرة كلها على وأد اللغة العربية، وتنظيم حرب مستمرة ضد بقائها، وهي تبغي سلخ المسلمين عن دينهم وتأريخهم، ومقوماتهم المعنوية باسرها عن طريق تجهيلهم في لغتهم، وتزهيدهم في قواعدها وتحقير حروفها واملائها، ومن ثم فان المحافظة على اللغة - بدقة بالغة - هي اولى الخطوات للنجاة بانفسنا من مهاوي الضياع، وبقاء العرب في القارتين القديمتين متعصبين للسان العربي ضرورة لا محيص عنها في تمسك كيانهم وضمان مستقبلهم». الى ان يقول: «فان شعوب الارض المحترمة لا تفرط في تراثها اللغوي، فكيف يستنكر ذلك على امة ذات رسالة كبرى لها دين يقدر اللغة العربية ويجعلها لغة التخاطب الرسمي بين مئات الملايين من المسلمين؟ بل لغة المناجاة الاولى في صلوات المسلمين لله رب



العالمين».^(١) لذا يجب علينا ان نصون هذه اللغة لان صيانتها صيانة للقرآن والاسلام كما يجب علينا ان نحافظ عليها من الضياع والاندثار لان بقاءنا كأمة مرهون ببقائها، وسلامتنا متوقفة على سلامتها، ولانها لغة القرآن الكريم والتراث الاسلامي الخالد فهي من احق ما تجب علينا رعايته وتسهيل تعلمه على ناشئتنا ومحبي لغتنا وتراثنا. ان عناية الامم المتقدمة في ميدان الحضارة بلغاتها عناية ظاهرة، وذلك بتدريسها، وابتداع الطرق لتيسير تعليمها وتعلمها، فقد ألقت فيها الكتب الجذابة بصورها ومادتها وسجلت فيها الاشرطة لتوضيح التلفظ وتبيان اللهجات المختلفة، واقامت لها المختبرات اللغوية للتعلم بدراستها وضبط مادنها واصولها، ونشأت فيها اختصاصات عديدة اتصفت بالشمول والعمق ولا يزال هذا الاتجاه العلمي في تعليم اللغات ونشرها وتقويتها لدى الناس آخذاً في القوة والانتساع حتى ان بعض الامم تنفق الاموال الطائلة في الاقطار الاجنبية لكي تبث لغتها بين الناس لانها تعلم ان لغتها من خير العوامل وأقواها في نشر حضارتها وصناعتها وتفهم ارائها ومواقفها وفي اجتذاب الناس لزيارة بلادها، ومن الدول من اخذت باذاعة دروس منظمة لتعليم لغتها، واعدت لذلك اساتذة اكفاء منها امريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا والصين وغيرها.^(٢) واذا اضاعت امة من الامم لغتها وصارت تتكلم بلغة اخرى، تكون قد فقدت الحياة واندمجت في الامة التي اقتبست عنها لغتها الجديدة. كثيراً ما يرينا التاريخ ان بعض الامم تستولي على اخرى وتخضعها لارادتها، وتسير شؤونها كما تشاء، ان هذا الاستيلاء يفقد الامة المغلوبة استقلالها ولكنه لا يمس كيانها ما دامت الامة المذكورة محافظة على لغتها الخاصة بها، وما دامت متميزة

(١) محمد الغزالي - كفاح دين ص ٢١٨

(٢) الدكتور احمد حسن الرحيم - اصول تدريس اللغة العربية والتربية الدينية



عن الامة المستولية عليها بهذه اللغة الخاصة، وقد قال احد المفكرين: «ان الامة المحكومة التي تحافظ على لغتها تشبه السجين الذي يمسك بيده مفتاح سجنه»، انها تستطيع ان تغفل من سجنها هذا فتسترد حريتها واستقلالها في يوم من الايام، لانها تبقى حية بحيات لغتها، وتظل محافظة على كيانها كأمة برغم انها تكون قد فقدت شخصيتها كدولة، ولكن الامة المذكورة اذا فقدت بمرور الزمن لغتها الخاصة واقتبست وتبنت لغة الدولة المستولية عليها تكون قد فقدت الحياة بتاتا، واندجت في كيان الامة التي اعطتها لغتها الجديدة، فلا يبقى ثمة امل لعودتها الى الحرية والاستقلال.

يتبين من ذلك كله: ان اللغة هي روح الامة وحياتها، وانها بمثابة محور القومية وعمودها الفقري وهي من اهم مقوماتها ومشخصاتها.^(١) ومن مستلزمات صيانة اللغة العربية وحفظها ورعايتها يجب علينا ان لا نكتفي بتعلمها وتعليمها، وانما يجب علينا ان نتعرف على ما دبر ويدبر ضدها ونطلع على ما يكيد لها الاعداء في العلن والخفاء وتحت مختلف الشعارات البراقة والاساليب الزائفة الخداعة لكي نستطيع ان نصون هذه اللغة من تلك المخططات الجهنمية التي وضعت ضدها واحكمت لتنفيذ بمختلف الوسائل والاشكال ابتداءً من سياسة تترك العرب الذين كانوا خاضعين للدولة العثمانية ومروراً بسياسة الفرنسة للعرب الذين كانوا محكومين من قبل الاستعمار الفرنسي، وتمشياً مع الدعوة الى اللهجة العامية الدارجة في كل الاقطار العربية والدعوة الى كتابة اللغة العربية بالاحرف اللاتينية والدعوة الى تيسير النحو العربي والدعوة الى حرية الشعر والدعوة الى تطوير الادب العربي وانتهاءً بالدعوة الى ايجاد لغة عالمية واحدة.

(١) ساطع الحصري - آراء واحاديث في الوطنية والقومية ص ٣٠



هذا ولا اظن ان هناك لغة في العالم تعرضت لحرب ابادة ووضعت لها المخططات للقضاء عليها كما وضعت للغة العربية، ولو ان بعض اللغات العالمية تعرضت لمثل ما تعرضت له اللغة العربية لاصبحت اثراً بعد عين ولزال وجودها وانطمس ذكرها، ولكن اللغة العربية صمدت وقاومت كل اساليب الاعداء وكل مخططاتهم، وما ذلك الا لأنها لغة كُتِب لها البقاء الخلود بها تملكه من عناصر القوة والمنعة والثبات فانها لغة القرآن الخالد ولغة الدين الاسلامي الباقي مع بقاء هذا الانسان على هذا الكوكب وانها اللغة التي يقدها المسلمون في كل مكان.

قال محمد رشيد رضا في كتابه (الخلافة او الامامة العظمى): «ان اللغة رابطة من روابط الجنس، وقد حرم الاسلام التعصب للجنس لانه مفرق للامة، ذاهب بالاعتصام والوحدة، واضع للعداوة موضع الالفة. وقد كان من اصلاح الاسلام الديني والاجتماعي توحيد اللغة، بجعل لغة هذا الدين العام لغة لجميع الاجناس التي تهتدي به، فهو قد حُفِظَ بها، وهي حُفِظَت به، فلولاها لتغيرت كما تغير غيرها من اللغات وكما كان يعرفونها التغير من قبله، ولولاها لتباعدت الافهام في فهمه ولصار أدياناً يكفر اهلها بعضهم بعضاً، ولا يجدون اصلاً جامعاً يتحاكمون اليه اذا رجعوا الى الحق وتركوا الهوى».

فاللغة العربية ليست خاصة بجيل العرب سلائل (يعرب بن قحطان) بل هي لغة المسلمين كافة. وما خدم الاسلام احدٌ غير العرب الا بقدر حظهم من لغته، ولم يكن احد من العرب في النسب يفرق بين (سيبوية) الفارسي النسب واستاذه (الخليل) العربي النسب في فضلها واجتهادها في اللغة، ولا بين (البخاري) الفارسي واستاذه (احمد بن حنبل) العربي في خدمة السنة - ولا نعرف احداً من العلماء الاعاجم له حظ من خدمة الاسلام وهو يجهل لغته ولولا ان ظل علماء الدين



في جميع الشعوب الاسلامية مجمعين على التعبد بقراءة القرآن المعجز للبشر بأسلوبه العربي، واذكار الصلاة وغيرها بالعربية، ومدارسة التفسير والحديث بالعربية، لصاع الاسلام منها. وقد ارجع المؤلف محمد رشيد رضا، انهيار الدولة العثمانية الى يقظة العصبية في العصر الحديث وقال: «ان الدولة كانت تستطيع ان تتفادى شر هذه العصبية لو أنها اتخذت العربية لغةً لها وللشعوب التي فتحتها، اذاً لقامت فيها حضارة كحضارة الاندلس، ولأعان توحيد اللغة على اماتة العصبية»^(١).

ويقول الدكتور هيكل في كتابه (ثورة الادب) تحت عنوان (اللغة العربية قديمها وحديثها): «ولولا ما في اللغة العربية لذاتها من قوة قدسها القرآن الكريم وزادها جلالاً واعجازاً، ولولا ما كسبت الحضارة الاسلامية من ثروة لم تنفد ولا سبيل الى نفادها، اذن لرأيت اللغة العربية وقد اصابتها ما اصابت اللغة اليونانية واللاتينية والعبرية والاشورية والهيروغليفية ولأصبحت اليوم لغة تاريخية مستقلة عن وجود هذا العالم وحياته، لغة ندرسها للعلم بعصر من عصور التاريخ الانساني وكفى، لكن قوة اللغة العربية وثروة أدبها التي تكونت منذ الاسلام وعظمة الحضارة الاسلامية قاومت احداث الدهر ودفعت عن اللغة العربية هذا المصاب»^(٢).

ويقول ابوالحسن الندوي: «انتشرت لغة العرب وثقافتهم في بلاد واقطار وبيئات لم تكن تنتشر فيها وترسخ قدميها لولا الاسلام ولولا القرآن واتخذها العلماء والاذكياء لغة دين وعلم وتأليف لم يكونوا فاعلين ذلك لولا انها لغة الاسلام الرسمية ومفتاح المكتبة الاسلامية»^(٣). فالاسلام هو سر بقاء هذه اللغة كما هو سبب

(١) الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ٦٠

(٢) الدكتور محمد محمددي - درس اللغة والادب ص ١٤٢ ج ١ الطبعة الثانية

(٣) ابوالحسن الندوي - العرب والاسلام ص ٦



حفظها من الضياع. ومن الامثلة على ذلك ان الانكليز حين اعادوا في مصر تجربتهم التي نجحت في الهند، وهي نشر اللغة الانكليزية حتى تكون لغة تخاطب ففرضوا التدريس بها لم يقف في طريقهم الا الاسلام الذي يقدس اللغة العربية في حين ان الطريق كان ممهداً في الهند التي لم يكن لها لغة مقدسة.^(١)

وقد كاد الاتراك العثمانيون بعد ان استولى حزب الاتحاد والترقي على مقاليد الدولة العثمانية ان يقضوا على اللغة العربية وتصبح اثرأ بعد عين لولا وجود معاهد دينية في كل مكان من (النجف الاشرف) في العراق و (الازهر) في مصر و (جامع الزيتونة) في تونس وامثالها في سائر انحاء البلاد الاسلامية التي حفظت هذه اللغة وظلت تواكب دراستها وتدريسها والحرص عليها. كما ان فرنسا كادت ان تقضي على اللغة العربية في شمال افريقية وخاصة الجزائر وفي المغرب العربي لولا وقوف المدارس الدينية بوجه الغزو اللغوي الفرنسي.

وكما مر بنا في الباب الاول بان القرآن الكريم والدين الاسلامي هو الذي حفظ هذه اللغة من الاندثار تحت عوامل التطور اللغوي وقوانينه الطبيعية، كذلك نرى ان القرآن والدين الاسلامي هو الذي حفظها من الاندثار والضياع تحت ضربات الاعداء ومخططاتهم التي اعدوها من اجل القضاء على هذه اللغة. واليك بعض هذه المخططات التي اريد بها تحطيم اللغة العربية وابادتها وذلك في ثمان فصول.

(١) احمد شفيق - مذكراتي في نصف قرن ج ٢ ص ٨٨

الفصل الأول

سِيَّاسَةُ التَّهْرِيكِ

ماهي سياسة التتريك؟

التتريك خطة وضعها الاتراك العثمانيون لنشر اللغة التركية وفرضها على مواطني الدولة العثمانية من غير الاتراك ولاسيما العرب، وذلك نتيجة لتدخل الدول الاوروبية في شؤون الحكام الاتراك حيث ضعفت الدولة العثمانية وسيطرت عليها الدول الاوروبية بشكل غير مباشر واخذت تملي عليها توجيهاتها في شتى مجالات الحياة كما سنرى ذلك.

الدولة العثمانية:

كان الاتراك العثمانيون يحكمون اغلب البلاد العربية باسم الدولة العثمانية وهي دولة اسلامية كبيرة، امتدت رقعتها في قسم كبير من قارة اسيا وقارة اوروبا وقارة افريقيا واصبحت من اقوى دول العالم في حينها، وقد تغلغت جيوشها الى قلب القارة الاوروبية ووصلت الى النمسا وحاصرت عاصمتها (فيينا) الا انها تراجعت عن فتحها وعقدت معها معاهدة عرفت باسم معاهدة (زفتاتورك) سنة ١٦٠٦م



وقد كانت هذه المعاهدة نقطة تحول في ميزان القوى بين الدولة العثمانية من جهة وبين الدول الأوروبية من جهة أخرى، لأن هذه أول معاهدة قامت على أساس المفاوضة بين الدولة العثمانية وبين الأمبروطورية النمساوية باعتبارهما طرفين متساويين وقد كانت الدولة العثمانية قبلها هي التي تفرض شروطها وما على الطرف الآخر إلا القبول والرضوخ أو الحرب، يقول المستشرق (برنارد لويس) رئيس قسم التاريخ في كلية الدراسات الأفريقية والشرقية بجامعة لندن: «ثم بدأ التحول في القرن السادس عشر عندما انسحب العثمانيون سنة ١٥٢٩ م بعد فشلهم في فتح فينا». وفي إسطنبول بدأ الممثلون الدبلوماسيون للدول الأوروبية سلسلة طويلة من التسابق والتنافس للحصول على امتيازات تجارية وسياسية.

وفي سنة ١٥٣٥ م وقع السلطان معاهدة تجارة وصداقة مع ملك فرنسا وهذا الأخير كان الوحيد بين ملوك الدول الأوروبية المسيحية الذي حظى من السلطان بلقب (باديشاه) وفي سنة ١٦٠٦ م أعطى هذا اللقب لأمبروطور عائلة (هابسبورج) وذلك نص معاهدة (ستفاتروك) حيث سمت الوثيقة العثمانية الأمبروطور باسم (ملك فينا) وللمرة الأولى لم تكن الوثائق هذه معاهدة صلح فرضها العثمانيون المنتصرون في عاصمتهم بل كانت معاهدة قامت المفاوضة عليها بين طرفين متساويين على حدود الدولتين.^(١)

ومنذ ذلك الحين بدأ الأوروبيون يكيدون للدولة العثمانية ويعملون بشتى الأساليب والوسائل من أجل التدخل في شؤونها والعمل على إضعافها ومن ثم القضاء عليها.

(١) برنارد لويس - الغرب والشرق الأوسط ص ١٨٣ تعريب الدكتور نبيل صبحي



تنافس الاوروبيين على الدولة العثمانية:

واخذت الدول الاوربية تتنافس فيما بينها للتوسع على حساب الدولة العثمانية وتقسيم ممتلكاتها ولا سيما روسيا وفرنسا وانكلترا وكانت سفارات هذه الدول الثلاث تتدخل تدخلاً مباشراً في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية وتعمل على وضع الاقتصاد التركي تحت رحمة الاختصاصيين الاوروبيين وتحت تصرفات الشركات الاحتكارية الاوربية، وكان الاوروبيون يعملون كل ذلك تحت ستار (تجديد الامبروطورية العثمانية) وتحت فكرة (الاصلاحات) وتحت شعار (حماية الرعايا المسيحيين)... الى غيرها من الذرائع. ولكن اصلاح نظام الحكم في الامبروطورية العثمانية كان آخر ما يفكر به الاستعماريون الاوروبيون.

بث النزعات القومية:

واخذ الاوروبيون يعملون على بث الافكار الاقليمية ونشر النعرات القومية بين سكان الدولة العثمانية المترامية الاطراف والمتعددة القوميات بما فيها الاتراك الذين لم يعرفوا لهم هوية غير الاسلام، يقول الكاتب المستشرق (برنارد لويس): «ولقد كان الاتراك اكثر من العرب والعجم نسياناً لتأريخهم الماضي فلقد كانوا لا يفكرون بآية هوية اخرى غير الاسلام، ولكن المستشرقين عن قصد او غير قصد ساعدوا الاتراك على استعادت هويتهم القومية الضائعة^(١) وعلى الدعوة الى حركة

(١) انظر كيف يعتبر هذا المستشرق ان الاوروبيين ساعدوا الاتراك على استعادت هويتهم القومية التي وصفها بالضبايع ويقول ان ذلك صدر منهم عن قصد او غير قصد ولكن ذلك كان عن قصد وتصميم مسبق بتخطيط شامل بذلوا من اجل الوصول الى تنفيذ الجهود الجبارة.



قومية تركية جديدة....». ولقد انتشرت هذه الفكرة أولاً بين تركمان الامبروطورية الروسية حتى قال الشاعر والاجتماعي التركي (زياغوكالب) انذاك: «سنجتاح ارض العدو ونوسع تركيا لنقيم دولة طوران»^(١).

وكان بعض الكتاب في تركيا معجيين بأراء (هيجل) و(بشنر) و(سنبسر) وأمثالهم من الغربيين فظهر منهم شباب تأثروا بهذه الفلسفة المادية الاحادية امثال: (ضياء كوك الب) الذي كان عضواً في جمعية الاتحاد والترقي التي تعمل في السر كالماسون، وكان له شغف وعناية خاصة بالفلسفة الغربية والفرنسية خاصة. وبعد خلع السلطان عبد الحميد، وجد ضياء وزملاؤه فرصة سانحة للعمل واصدر جريدتين وعندما أثر ضياء (سالونيكاً) بالاقامة المستقلة صار زعيماً وطنياً لتركية ووجد هنا في ثغور تركية الغربية فرصة اللقاء والتودد الى المتنورين الاتراك! والافاضل الغربيين! وترعرعت فيه فكرة الوحدة والتنظيم على اساس القومية التركية التي لم يكن للاسلام فيها عنصراً اساسياً. وقد قوي وتوسع نطاق التأثير الفكري لكوكب الب في الجيل التركي الجديد عندما عين استاذاً أولاً لعلوم الاجتماع بجامعة استنبول عام ١٩١٥م. وكان يؤيد مصطفى كمال بقوة وحماس. ورغم انه توفي في المرحلة البدائية لتطوير اتاتورك الثوري لكن توجد في كتاباته افكار تعتبر اسساً لتلك الاصلاحات!^(٢) ... هكذا حتى استطاعوا ان يسلخوا الاتراك عن ولائهم للاسلام ليقيموا لهم ولأهلاً للقومية مكانه، يقول: برنارد لويس: «ولقد وردت كلمة (قومية) بالتركية على لسان (الشبيبة التركية) في كتاباتهم وكانوا يعنون بها القومية التي تعارض الولاء الاوسع لسلطنة العثمانية الكبرى وللإسلام».

(١) الغرب والشرق الاوسط ص ١٢٩

(٢) لاحظ الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية - الندوي ص ٥٠



لذلك في سنة ١٨٧٠م عقد (علي سوافي) اقتراحاً عثمانياً شبه رسمي يطلب ان يتبنى الباب العالي (القومية) مثل ايطاليا وبروسيا ويوحد جميع المسلمين على اساسها ويبن (علي سوافي) بحق ان القومية في اوربا تعني شيئاً آخر مختلف تماماً (فليس عندنا مشكلة قومية والمشاكل القومية تعود لدمارنا وقضية توحيد المسلمين مسألة اسلامية دينية وليست مسألة قومية).^(١)

تأثير الحركة الماسونية على الدولة العثمانية:

ولا ننسى دور الحركة الماسونية في التأثير على سياسة الدولة العثمانية فقد جاء في كتاب اسرار الماسونية تحت عنوان (الماسون في تركيا)، جاء في مجلة المنار الاسلامية لصاحبها السيد (محمد رضا رشيد) في اخر عددها الاول الصادر في سنة ١٣٢٩هـ ما نصه: «كان السلطان عبد الحميد عدواً للجمعية الماسونية. وقد تنفس الزمان للماسون بعد الانقلاب الذي كان لهم فيه اصابع معروفة فاسس شرقاً عثمانياً استاذة الاعظم (طلعت) ناظر الداخلية واركانه زعماء جمعية (الاتحاد والترقي) وانصارها من اليهود وغيرهم ولأجل هذا نرى (طلعت) لا يبالي بسخط الامة ولا برضاها». ^(٢)

(١) الغرب والشرق الاوسط ص ١٣٤

(٢) اسرار الماسونية - الاب لويس شيخو ص ٢٧٨

قيام حركة تركية الفتاة:

وقد كان الاوربيون وراء الاحزاب القومية التركية ويقدمون لهم الحماية اللازمة، كما أيد (كرومر) الحاكم البريطاني في مصر اعضاء حزب (تركيا الفتاة) من الاتحاديين الذين لجأوا الى مصر واصدروا فيها صحفا تهاجم السلطان عبد الحميد، وتدخل لحمايتهم حين طلب السلطان العثماني من الخديوي عباس ملك مصر تسليمهم فمنع ذلك.^(١) كما تدخل لحمايتهم حين ضُبِطت المطبعة السرية التي تطبع فيها منشورات، فامر (كرومر) بكسر الاختام واخذ ما فيها من اوراق منتهكاً بذلك حرمة القضاء المصري، ومتعدياً على سلطته.^(٢) بل تدخل الانكليز لحماية رجال هذا الحزب المناويء للسلطان ضد الخديوي عباس نفسه حين بدا له في بعض فترات حياته ان يحامل السلطان ويتقرب اليه باضطهادهم.^(٣)

وهذا يدل على ان السياسة التي اتبعتها الدولة العثمانية في اواخر عهدها والتي سببت الفوضى لها كانت تُعْمَلُ عليها لأجل ايجاد الثغرات للانقضاض عليها. فاضطلعت حركة (تركية الفتاة) بواجب هَزِّ الامبروطورية وايقظتها من سباتها. وكان حزب (تركية الفتاة) المتألف من عناصر فتيّة متسرعة يستمد وحيه من الغرب.^(٤) وهو حزب مشهور بعصبيته الطورانية وهو نفسه حزب (الاتحاد والترقي) ويُسمّون الاتحاديون او (الجون ترك) كان يضم متفرنجي الترك والذي كان واقعاً تحت سيطرة اليهودية العالمية عن طريق الماسون و (الدونمة) من يهود (سلانيك)

(١) احمد شفيق - مذكراتي في نصف قرن ج ٢ ص ٢٣٣

(٢) احمد شفيق - مذكراتي في نصف قرن ج ٢ ص ٣٩٤

(٣) احمد شفيق - مذكراتي في نصف قرن ج ٢ ص ٣٦٨

(٤) الشرق الاول في الشؤون العالمية - جورج لشوفسكي - ترجمة جعفر الخياط ج ١ ص ٦٥



المتسترين بالاسلام والمتظاهرين باعتناقه.^(١) وكان احد اعضاء هذا الحزب هو (مصطفى كمال) الذي تولد بمدينة سرنيك سنة ١٨٨١ م وهو الذي أقام حكومة في انقرة والغي الخلافة العثمانية وكان أول رئيس لها سنة ١٩٢٤ م واستمر على ذلك حتى توفي سنة ١٩٣٨ م.

يقول عنه (عرفان اوركا) في كتابه (اتاتريك) الذي ألفه عن اخلاص واعجاب بشخصية كمال: «كان قليل الاختلاط، غير محبب بين الاصدقاء في حياته المدرسية، وكان يثور ويهيج بسرعة، وكان شديد الغرام بالاناث، وكان يتسلل بالخمر ويشغل نفسه بها فانه لا يجد ما يسلي به نفسه وروحه كالايان بالله واليوم الآخر لانه كان لا يؤمن بهما، وكان يشعر بفرح وسرور حين يعتدي على الآخر، ولم يكن يعترف بعواطف غيره، وكان يرى ان تُحدد سلطات العلماء والجماعات الدينية وتُحظر الاحزاب المتحمسة للدين لانها - كما يقول - تقع فريسة الشيطان فتتهف بالجهاد، وقد دعا الى الغاء الشريعة، وقد اقتنع بان كفاحه يجب ان يوجه الى الدين فانه منافسه الاكبر، وكان يعتقد من صغره انه لا حاجة الى الله، انه اسم غامض خداع مجرد عن الحقيقة وكان لا يؤمن الا بالمُشاهد المحسوس، وكان يرى ان الاسلام انما ظل عاملاً هداماً في الماضي وانه قد جنى على تركية جناية كبيرة وألحق بها خسائر فادحة، وقد تناسى ان الاسلام وحده هو الذي أسس الامبروطورية العثمانية الواسعة، وكان يبغض الاسلام والعقيدة الصحيحة الراسخة بغضاً شديداً، وقد قرر منع الطربوش وغطاء الرأس وألزم لبس القبعة على الرأس عوضاً عنه وذلك لكي ينصبغ الشعب التركي بصبغة الامم الغربية باسرع ما يمكن ويندمج بها اندماجاً كلياً ولا تبقى ميزة يمتاز بها الشعب التركي عنها، استعمل القسوة النادرة والعنف البالغ في تحقيق هذا

(١) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر - الدكتور محمد محمد حسين ج ١ ص ١١٣



الغرض كأنه لا اصلاح أكبر وأهم من هذا وكأن سعادة الشعب كانت تتوقف على ذلك»^(١).

ومنذ ذلك الحين وضع الاوروبيون الخطط لابعاد تركية عن كل ما له علاقة بالدين الاسلامي. وكان الهدف الرئيس للاصلاحات التركية بالمعنى العام عزل تركية عن دائرة الحضارة الاسيوية العربية القديمة وتقاليدها وقلبها الى امة حديثة أخذة بأسباب الغرب. ولكن هل استطاعت تركية ان تتقدم على اساس من الحضارة الغربية؟ الجواب كلا والف كلا، ان دور الشعب التركي في اقتباس الحضارة الغربية كان دورا تقليدياً يخلو من كل اصالة ومن كل ابتكار ومن كل عصامية ومن كل انتاج، وانما كان دوره دور الاستيراد والاستعارة والتطبيق لا أكثر ولا أقل ولم ينبع منهم نابغة في العلوم ولا عملاق في الاداب ولا مؤسس مدرسة جديدة في الفكر والفلسفة ولا من يمدّ هذه الحضارة بشيء اصيل له قيمته العلمية ولذلك بقيت شعباً متوسطاً يعيش على حاشية الشعوب الاوربية. ولم يكن هذا قيمة ما ضحى به هذا الشعب من السطوة السياسية والحماسة الدينية والدوافع الخلقية والزعامة في العالم الاسلامي.

وهكذا اضاع هؤلاء الاتراك على انفسهم فرصاً لتقدمهم الحقيقي على اساس من الاسلام وها هم اليوم بعد مضي اكثر من قرن لا يزالون يلهثون للالتحاق بالدول الاوربية والانضمام الى الاتحاد الاوربي وهم يشعرون بالدونية من كل ما تقدم يتضح لنا ان الدولة العثمانية لم تتبع سياسة تترك العرب الا بعد ان تدخل الاوروبيون في شؤونها الداخلية وفرضوا عليها سيطرتهم غير المباشرة تحت مختلف الشعارات والوجهات وبمختلف الاساليب والوسائل.

(١) ابوالحسن الندوي - صراع الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ص ٦٦

ولكن بعض الكتاب والمؤلفين يطلقون القول على هذه الدولة بما يدل على انها ارادت تترك العرب وان ذلك جزء من سياستها منذ قيامها وفي ايام قوتها وقبل ان يتدخل الاروبيون في شؤونها، يقول الدكتور احمد حسن الرحيم: «نزع الاتراك في ابان الدولة العثمانية الى تترك العرب وجهروا بذلك في صحفهم واجتماعاتهم السياسية فبدؤوا بمسخ شخصية المواطن العربي وذلك بحرمانه من تعلم لغته العربية وفرض اللغة التركية عليه». وهذا صحيح ولكن لنا ان ننسائل ونقول متى حدث هذا؟ ولدى التحقيق نجد ان هذه السياسة ما تبعتها الدولة العثمانية في ايام قوتها وسيطرت سلاطينها على مقاليد الامور وانما سارت عليها بعد ان ضعفت وتدخلت الدول الاوربيه في شؤونها الداخلية وبعد ان بث الاوروبيون بين شبابها النعرة العنصرية والتعصب للقومية الطورانية وبعد ان ظهرت فيها احزاب تنتمي في واقع امرها الى اعداء العرب والاتراك معاً على حد سواء وهم الاوروبيون واليهود، فقد جاء في كتاب الحرب العالمية الاولى الذي اعده وحققه على اوثق المصادر (عمر الديراوي) ما يأتي بالحرف الواحد: «كانت هناك احزاب تركية منها ما يعطف على امانى العرب وافكار مثقفهم ومنها ما يناصبهم اشد العداة واهم هذه الاخيرة جمعية الاتحاد والترقي التي انقلبت اخر الامر لحمل فكرة الطورانية تلك النزعة القومية المتطرفة التي حاولت جنوناً منها الاخذ بتترك العرب».

الانقلاب العثماني:

وعندما حدث الانقلاب العثماني في عام ١٩٠٨ ونحي السلطان عبد الحميد عن العرش واعلن الدستور خيل للعثمانيين من غير الاتراك ان اعلان الدستور

ومعاضدة الاتحاديين سيحقق المساواة والحرية للجميع بيد ان الحركة الاتحادية خيبت امال العناصر العثمانية من غير الاتراك ولا سيما العرب وولدت فيهم المخاوف على مصيرهم اذ لم تكد جمعية الاتحاد والترقي تتسلم مقاليد الحكم حتى بدت نواياها وهي تفضيل العنصر التركي على غيره من العناصر الاخرى من الدولة العثمانية وشرع كتاب الترك وزعماءهم يثبون القومية التركية ويدعون الى وجوب تترك بقية العناصر وقد لمس العرب اثار هذه السياسة في الانتخابات التي جرت في مجلس المبعوثان اذ كان نوابهم اقل من نصف نواب الترك وعدد ممثليهم في مجلس الاعيان ثلاثة من اربعين وكذلك شعر الطلاب العرب في الاستنابة بتفريق معاملتهم عن الطلاب الاتراك واحسو بالغبن في الوظائف التي اسندت اليهم وقد حدث ذلك رد فعل شديد في نفوس شباب العرب ومثقفهم وولد فيهم روحا قوية للتمسك بقوميتهم وزادت مخاوف رجال العرب خاصة حينما احسو بنوايا الاتحاديين في تطبيق ساسية التترك التي ترمي الى تعميم اللغة التركية وجعل الادارة متمركزة في العاصمة دون ان يكون للولايات صوت في ادراة شؤونها وكان من الطبيعي انه كلما تطرف زعماء الحركة الاتحادية في سياستهم القومية كلما ولد ذلك شعورا منعكسا بين شباب العرب وازدادوا في مطالبتهم لحقوقهم^(١).

سيطرة حزب الاتحاد والترقي:

وبسقوط السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ الت مقالدي الحكم في الدولة العثمانية الى اعضاء حزب الاتحاد والترقي الذين سيطروا على سياسة الدولة ولم

(١) التاريخ الحديث تأليف لجنة في وزارة التربية ص ٢٥٩



يعد للخليفة الى جانبهم الا اسم الخلافة وزخرف السلطان، وبسقوط السلطان عبد الحميد انتهت السياسة الاسلامية في الامبراطورية العثمانية وبرزت العصبية القومية التي حاربها عبد الحميد بكل جهده ايام حكمه واتجهت سياسة الاتحاديين الى تغذية العصبية الطورانية وباحياء تاريخ اجدادهم السابق على الاسلام وتمجيد الغزاة الفاتحين من أسلافهم الوثنيين بعد ان ظل الترك العثمانيون حتى منتصف القرن التاسع عشر لا يكادون يعرفون شيئا عن ماضيهم وتاريخهم واصلهم ونسبهم وبعد ان كانوا بمعزل عن تصفح تاريخ بلادهم وصحف اجدادهم اذ كانت تلاوة الكتب الدينية والسيرة النبوية وتاريخ ابطال الاسلام تلذهم اكثر من تلاوة تاريخ اجدادهم الوثنيين وفتوحاتهم واندفع الاتحاديون في سياسة التريك التي تهدف الى طبع الدولة كلها بطابع تركي وسلح العرب من لغتهم ومن طابعهم الحضاري فهاجت هذه السياسة الطائشة حمية العرب ولا سيما ما يتصل منها بلغتهم.^(١)

وتمادى حكام تركيا من الاتحاديين في خيالهم الذي كان يصور لهم التثام الطورانيين من الترك العثمانيين والتركمان والتتر والمغول والفنلنديين والمجر واصبحوا يرون ان هذه الاجناس اقرب اليهم من العرب ومن سائر المسلمين الذين لا ينتمون الى العنصر الطوراني وحالفوا الالمان في سبيل تحقيق ما يحلمون به من سيادة الطورانيين وذهبوا في هذا الحلف الى ابعد مدى فزجوا بتركيا في حرب لا مصحلة لها فيها على الرغم من معارضة الخليفة محمد رشاد الخامس.^(٢)

وهكذا دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى والصحيح ان يقال ادخلت لانها حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل لتخسر الحرب الى جانب المانيا لتتقاسم

(١) حاضر العالم الإسلامي لوتروب ستوردارد ترجمة عجاج نويهض ج ٢ ص ٨٨

(٢) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر الدكتور محمد حسين ج ٢ ص ١٠٢



دول الحلفاء ممتلكاتها باعتبارها غنائم حرب. ويبدأ العمل لابتعاد الاتراك عن كل ماله علاقة بالدين الاسلامي واللغة العربية لكي لا يستعيدوا مجدهم على اساس الاسلام.

الابتعاد عن كل ماله علاقة بالاسلام:

يقول الاستاذان (الحكم دروزة) و (حامد الجبوري) في كتابهما (مع القومية العربية): «بل بدؤوا يعني الاتراك في اواخر عهد الامبراطورية يغزون اسس الوجود القومي العربي فقاموا بحملات واسعة لتترك العرب بالقوة بمحاولة طمس اللغة العربية ونشر اللغة التركية واجبار العرب على تعلمها وجعلها اللغة الرسمية في الوطن العربي».^(١) انظر الى كلمة في اواخر عهد الامبراطورية لتعرف ان هذه السياسة كانت تملئ ولوبشكل غير مباشر على تلك الدولة المقهورة، ويقول الاستاذ (ساطع الحصري) في رسالته التي وجهها الى جوليان هكسلي مدير اليونسكو سابقا ردا على ما كتبه عن البلاد العربية في التقرير الذي رفعه المؤتمر الثالث ببيروت: «تعرفون جيدا ما يدل على تشابه الثقافة في بلاد الشرق الادنى والايوسط وان سبب ذلك ان بلاد الشرق الادنى والايوسط منقسمة بين ثلاث لغات كبيرة يختلف بعضها عن بعض اختلافا جوهريا واذا كانت هذه البلاد تتشابه الى حد كبير من الوجه الثقافية بالرغم من تخالفها من الوجهة اللغوية فان سبب ذلك يعود الى الفتح العربي القديم وتأثير الدين الاسلامي المستمر والقسم الادنى من هذا الشرق كان ينم عن تشابه اكبر واتم من ذلك».

(١) مع القومية العربية تأليف الحكم دروزة وحامد الجبوري ص ٩٤



وكان هذا التشابه يقترب أحياناً من درجة الوحدة والعينية وذلك انه كان ينضم هناك الى تأثير الدين الحاكم عمل سلطنة دينية منظمة تنظيمياً قومياً واهم العناصر التي كانت تؤلف هذه السلطنة كان العنصر التركي والعنصر العربي وكلاهما كانا يعيشان في حالة تشارك ثقافي يشبه حالة سمبوز المعروف في علم الحياة التركية كانت اللغة الرسمية والعربية كانت اللغة الدينية في هذه السلطنة وكانت التركية لغة التعليم حتى في مدارس الولايات العربية كانت اللغة العربية اللغة الكلاسيكية حتى في الاقسام التركية البحتة من الدولة ان هذه اللغة كان يتدارسها النخبة المفكرة في جميع اقسام المملكة وقواعدها الصرفية كانت تعلم حتى في المدارس الاولى التركية وعددا كبيرا من الكلمات العربية كانت دخلت في صميم اللغة العامية التركية واستولت على اللغة الادبية والعروض العربي كان قد احتكر الادب الراقي التركي وابعده عن اساليب الشعر التركي القديم واما التاريخ فكان يدون ويدرس من الوجهات النظر الدينية البحتة وكان تاريخ الاسلام يعتبر التاريخ القومي لدى العنصرين على حد سواء، وسلاطين ال عثمان كانوا يحترمونه بصفتهم امراء المؤمنين وكانوا يحكمون البلاد العربية بمهابتهم الدينية اكثر مما يحكونها بسطوتهم العسكرية.

ان مجموع هذه العوامل والاحوال كان اوجد ثقافة مختلفة ترضي الطرفين على حد سواء فالأتراك والعرب كانوا يؤثرون بعضهم في البعض دون ان يتدمروا من هذه التأثيرات المتقابلة، واستطيع ان اقول دون ان يشعروا بها غير ان هذه العوامل والاحوال الناجمة عن اوضاع دينية خاصة ما كان يمكن ان تدوم الا بقدر ما تستطيع السلطنة العثمانية ان تسيطر على مبادئ الحكم الديني وبقدر ما تستطيع الازهان ان تبقى متحجرة! في مواقفها الدينية السياسية القديمة وغني عن البيان ان ذلك كان محكوما عليه بالانقلاب رأساً على عقب حالماً تضعف وتترأخى سيطرة الدين على



الدولة وهذا ما حدث فعلاً^(١)، فقد اخذ كلا الفريقين يفقدان الارتياح من اوضاعهما العرب بدؤوا يشعرون بانهم محكومون من الاتراك بالرغم من المظاهر التي كانت تستر وتخفي هذه المحكومية واخذوا يشتكون من ان لغتهم غير معترف بها في دواوين الدولة كما انها لم تكن لغة التعليم حتى في المدارس الابتدائية المؤسسة في الولايات العربية وصار ذلك نقطة بدء لحركات القومية العربية التي بدأت بطلب الحكم الذاتي وانتهت الى النزوع الى الاستقلال التام من الوجهتين الساسية والثقافية. والاتراك ايضاً من ناحيتهم بدؤوا يشعرون بان ثقافتهم بقيت تحت سيطرة شديدة من اللغة العربية والدين الاسلامي واخذوا يعملون للتخلص من هذه السيطرة المزمنة بغية تكوين ثقافة تركية بكل معنى الكلمة وصار ذلك نقطة البدء للحركات القومية التركية التي عرفت تارة باسم التركية وطوراً باسم الطورانية.

ان الحركة القومية التركية تقدمت بسرعة هائلة في ميدان الثقافة الى ان اخذت شكلاً ثورياً تماماً واوجدت انقلاباً كبيراً في اللغة والادب وفي فهم التاريخ ان حذف العربية من مناهج الدراسة الابتدائية ثم الثانوية والعدول عن استعمال القواعد العربية في اللغة التركية والادب التركي والانصراف عن العروض العربي في الشعر التركي واستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية والجهد المتواصل لاجراج الكلمات العربية والفارسية من لغة العوام من لغة الادب والعمل المستمر لايجاد كلمات وتعابير جديدة مشتقة من اصول تركية بحته اعادة النظر في التاريخ بنظرات قومية تركية.

(١) وذلك بعد ان لعب الاروبيون دورهم في قلب الاوضاع الاجتماعية وتغير المفاهيم لا كما يقول ساطع الخصري ويتملق به الى جوليان هكسلي.

كل هذه الامور تظهر صفحات هذا الانقلاب الثقافي وتبين نطاق هذا الانقلاب وعمقه.^(١) فالواقع ان الدولة العثمانية كانت تحرض على الثقافة العربية وتحافظ على اللغة العربية وعلى كل ماله علاقة بالدين الاسلامي ولكنها في عهدها الاخيرة وقد صارت العوبة بايد الاوروبيين، اخذت بتبعد شيئا فشيئا عن الاسلام وعن كل ماله صلة به كاللغة العربية وغيرها.

وعليه يمكن القول بان سياسة التتريك وكل المحاولات التي بذلها الاتراك العثمانيون من اجل القضاء على اللغة العربية هي محاولات اوربية ارادوا تنفيذها بشكل غير مباشر عن طريق الدولة العثمانية لان الاوروبيين ما كان باستطاعتهم ان يباشروا ذلك بانفسهم ولذا فليس غريبا ان نجد هذه الدولة تتبع سياسة تتريك العرب وتعمل على القضاء على اللغة العربية التي هي لغة الدين الاسلامي الذي تحكم الدولة العثمانية باسمه لان الامر كان متوجها الى تفكيك وحدة ابناء هذه الدولة وفصم عرى قوتهم واتحادهم واثارة النعرات العنصرية والطائفية بينهم وتشيت شملهم ليسهل على الاوروبيين الذين كانوا يحسبون لهذه الدولة على ضعفها الف حساب التسلط على المسلمين سواء كانوا عربا او اتراكا او غيرهم.

وليس عجيباً ان تتبع الدولة العثمانية بعد ان سيطر حزب الاتحاد والترقي على مقاليد الحكم فيها سياسة تتريك العرب فكانت اللغة التركية لغة المعاملات الرسمية ولغة المدراس والصحف وصار لزاما على من ينال وظيفة رسمية ان يتقن اللغة التركية حتى نواب الشعب من العرب اشترط فيهم لتمثيل المواطنين العرب ان يتكلموا التركية فاذا لم ينتهيا في منطقة عربية من يعرف التركية تقدم لذلك اتراك بدلاً من العرب ويحدث احيانا ان يتقدم للنيابة عن الشعب العربي في من يعرفون

(١) ساطع الحصري - آراء واحاديث في العلم والاخلاق والثقافة ص ١٤٠



اللغة التركية ولكنهم ليس من ذوي الوطنية الصادقة او الجراءة والافكار النيرة. وقد حدث ان فتحت في البصرة مدرسة عربية سماها صاحبها سليمان فيضي (تذكار الحرية) فاستولى عليها الاتراك وسموها (يادكار حرية) واخذوا ييثون بين العرب ان العربية وان كانت لغة الدين الاسلامي الا انها لغة ميتة، ورغم ذلك فقد عاشت العربية ونمت ودونت فيها اثار رائعة من العلم والادب وكان من حصونها في ذلك العهد الظالم البيغض المدارس الدينية في البلاد العربية كالا زهر في مصر والمدارس الدينية في النجف ودمشق وشمال افريقيا وغيرها.

وعندما هزمت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى تقوضت معها خطة تترك العرب بصورة نهائية بعد ان ثبت عقمها وفشلها وتنصلت السياسة التركية من كل صلة لها بالعربية فترجمت القرآن الكريم الى التركية واستبدلت الحروف الافرنجية بالحروف العربية وحرمت مواطينها مما في تراث العربية من علوم وفنون وبقيت في اللغة التركية كلمات عربية لاسبيل الى الخلاص منها لكثرتها وشدة الحاجة اليها اما الكلمات الحديثة في الادب والسياسة وغيرها فقد اخذها الاتراك من اللغات الاوروبية.^(١)

وهكذا فان تركيا لم تكتف بالتخلي عن الخلافة بل انسلخت من اسلامها وكذلك ارادت لها حكومتها بل لقد امعنت من استدبار الدين حتى حاربت بكل قسوة اي محاولة ترمي الى احياء المبادئ الاسلامية.^(٢) ولكن الشعب التركي المسلم كان يمارس تمسكه بالدين رغم كل المحاولات التي اتخذت بسلخه عنه فقامت في تركية حركات اسلامية سرية واخذت تعمل تحت اسماء مختلفة لتبرهن على شدة

(١) الدكتور احمد حسن الرحيم اصول تدريس اللغة العربية ص ٢٣

(٢) الدكتور محمد محمد حسين الاتجاهات الوطنية في الداب المعاصر ج ٢ ص ١٠

تمسكهم بدينهم. ولما فشل حصار الحلفاء على الدردنيل وتم انسحابهم منه في شهر الاول من عام ١٩١٦ م، يقول شكيب ارسلان: «ان الاتحاديين حصلت لديهم على اثر انتصار الدردنيل نشوة ظفر غير معهودة ولعبت خمرة النصر برؤوسهم فسكروا وابرموا قرارات غريبة عجيبة منها سفور النساء بعد ان كان ذلك ممنوعاً ومنها نقل المحاكم الشرعية من المشيخة الاسلامية الى وزارة العدلية حيث بقيت المشيخة بلا عمل تقريباً ومنها تترك سوريا واقتلاع الروح العربية منها»^(١).

وهكذا راح الاتراك يقطعون كل صلة هم بالاسلام وحضارته وبالعرب ولغتهم في الوقت الذي مالوا فيه الى الغرب ياخذون عنه كل امر من امور حياتهم دون تمييز بين الضار والنافع، يقول اغا اوغلي احمد وهو احد غلاة الكماليين من الاتراك في احد كتبه: «ان عزمنا ان نأخذ كل ما عند الغربيين حتى الالتهابات التي في رئينهم والنجاسات التي في امعائهم»^(٢). ولكن الذي خسروا هم الاتراك انفسهم وذلك لانهم حرموا من هذا التراث العربي الضخم وحرموا من تعاليم الدين الاسلامي الحنيف الذي تكفل للانسان سعادة الدنيا والاخرة.

وهكذا اصبحت تركية تعيش على تقليد الغرب وتتمسك بشعارات ومظاهر سطحية لا تقدم ولا تؤخر في حياتها العلمية والسياسية وحدثت فجوة عميقة بين رجال الحكم والتوجيه وبين الشعب المسلم القوي والفائض بالحب والايان والعاطفة الدينية الذي ملأ قلوب العالم مهابة واجلالاً لقوة هذه العاطفة وتدفعها

(١) شكيب ارسلان - سيرة ذاتية طبع بيروت ١٩٦٩ ص ١٥٥ نقلاً عن كتاب لمحات في تاريخ

العراق - الدكتور علي الوردي ج ٤ ص ٥٧

(٢) مصطفى صبري - موقف العقل والعلم هامش ص ٢٦٩ نقلاً عن الاتجاهات الوطنية ج ٢

واستطاع ان يقف في وجه اوربا وغاراتها الساحقه ومؤامراتها الدقيقة المستمرة التي لم تنقطع ولم تقف يوما واحدا والتي لا قبل لامة عادية بها رغم الضعف الشديد المستمر في الطبقة الحاكمة والخيانة في الضباط وافقد الشعب النشاط والثقة والحماسة التي كانت من ابرز مزايا هذا الشعب المسلم الخالد وحدثت اضطراباً في المجتمع وفوراً في اجابة الدعوات التي تصدر من القيادة ومركز الحكم واحتاجت الحكومات المختلفة الى كبت هذا الشعور وكبح هذه العاطفة وتحويل الامة الى المادية والقومية والحضارة الغربية والانحصار في دائرة التفكير الضيقة والمساحة المحدودة كل ذلك بعنف وقسوة لا نظير لها ذهب ضحيتها رجال كان فيهم الغناء الكبير للامة والخير الكثير للبلاد، ولايزال الصراع قائماً بين العقلية الحاكمة وعقلية الشعب المغلوب على امره ولا تزال الشرارة الايمانية كامنة في النفوس والقلب مستعدة للالتهاب بادنى حركة واضعف اشارة.^(١)

وقد ادرك كتاب اترك معاصرون خطورة ما يرمي اليه الكماليون فقاوموا تلك السياسة وكشفوا للناس ما سيؤول اليه امرهم وتحملوا كثيراً، فذكر الكاتب التركي المسلم (مصطفى صبري) عن الكمالين وتعصبهم لجنسهم: «انهم قد ذهبوا في التعصب لطورانياتهم الى حد العدواة للاسلام ومهاجمته باعتباره ديناً عربياً وحياتهم لعقائد الترك الوطنية السابقة على اسلامهم كالوثن التركي القديم (بزقورت) او الذئب الابيض الذي صوروه على طوابع البريد ووضعوا له الاناشيد والزموا الجيش ان يصطف لانشادها عند كل غروب كانهم يحلون تحية الذئب محل الصلاة مبالغة منهم في اقامة الشعور الجنسي مقام الشعور الاسلامي».

(١) ابوالحسن الندوي - الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الاقطار الاسلامية

وقد ندد المؤلف بهذا المذهب قائلاً: «وانما مرماهم في اعادتنا الى شعائر ابائنا القدماء الذين قطع الاسلام انتسابنا اليهم وعلاقعتنا بهم التي تبيعد الامة باية صوة كانت من شعائرها الاسلامية ووروابطها التي يكرهونها قدر ما يحبون منفعتهم المادية الذاتية».^(١)

ويقول الكاتب التركي (بيامي صفا): «ان تحويل قبلة ثقافتنا من الشرق الى الغرب قد جاوز المائة عام ولكن ماذا نعلم عن هذا الصنم الجديد الذي ننحى له كل يوم وذلك لان محاولة فهمنا له بواسطة حركة الترجمة التي بدانها منذ عهد التنظيمات سنة ١٨٣٩م لم تعطنا الا معلومات ناقصة مفككة الاطراف والاجزاء وان عملية لصق هذه الاطراف والاجزاء ببعضهما على امل الحصول على كل كامل لم ينتج لنا الا ظلا مشوها وتحت ذلك الظل سارت دعوى الشباب الثائر منذ ان دكوا عرش السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨»، الى ان يقول: «وهكذا كان التحول الخطير في تاريخ هذه الامة ولكن هل انسجمت الامة التركية مع هذا؟ هل تحولت كلية واستراحت في تحوها واطمانت اليه؟ ان الواقع لا يقول ذلك فالامة التركية لا تزال الى الان حائرة تقف موقفاً سلبياً ان صب انقلابنا وشكل تطورنا في قالب المفهوم الجامد للغرب جعلنا في موقف سلبي امام مثال ونموذج جامد لا نملك سوى تقليده تلقيد القروود وهذا يؤدي الى حالة عقم خطيرة ما لا يرضاه الشعب التركي المسلم لنفسه».^(٢)

(١) الاستاذ مصطفى صبري النكير على منكري النعمة من ادلين والخلافة والامة ص٧ الى

٩٩ وص ١٩٥

(٢) مجلة الايمان المغربية الرباط العدد ٤ السنة الثالثة ص ٨٣



ولهذا تظهر بين فترة وأخرى حركات إسلامية تدل على تمسك الشعب التركي المسلم بدينه وعقيدته واعتزازه بقيم هذا الدين وعلى النقيض من ذلك يقف العسكريون الأتراك ومن ورائهم القوى الغربية ليعثورا على هذا الشعب التركي المسلم أهدافه ويشتتوا شملهم ويبعدوهم عن كل ما يقربهم إلى دينهم.

الفصل الثاني

سياسة فرنسا



ما هي سياسة الفرنسة؟

الفرنسة سياسة اتبعتها الفرنسيون الاستعماريون لاذابة وصهر الشعوب الخاضعة لهم وطبعها بطباعهم الثقافي واللغوي وكان نصيب الشعب الجزائري بخاصة والشعوب العربية الاخرى التي كانت تحت حكمهم بعامة مثل تونس ومراكش وسورية ولبنان كبيراً وذلك لاذابتهم في الكيان الفرنسي ودمجهم دمجاً كاملاً مع الشعب الفرنسي وذلك عن طريق تعليمهم اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية، ومحاربة اللغة العربية وتعاليم الدين الاسلامي ومحو كل ما يتصل بهم ليضمنوا استمرار حكمهم وسيطرتهم على البلاد المستعمرة ونهب خيراتها واستغلالها لصالحها.

غزو فرنسا للجزائر:

ففي سنة ١٨٢٠م غزت فرنسا الجزائر وبعد ان تم لها القضاء على كل مقاومة قام بها الجزائريون لرد العتاة المعتدين عن بلادهم استقر الغزاة في الجزائر ولما تبين



لهم ان حكمهم للجزائر مهدد بالزوال مادام الشعب الجزائري متمسكا بتعاليم الاسلام ويتكلم اللغة العربية فكروا في وضع خطة لفرنسة الجزائريين ليتسنى لهم بذلك تثبيت حكمهم والاطمئنان على مصالحهم.

كما انها سعت لتنفيذ خطتها هذه في بلاد اخرى التي اخضعتها لسياستها الاستعمارية ففرضت لغتها وتقاليدها على شمال افريقية وسورية ولبنان ولكنها قوت جهودها وضاعفتها في الجزائر واعتبرتها اقليماً فرنسياً، طمعاً منها في دمجها في فرنسا لقربها من بلادها وثروة الجزائر الاقتصادية. يقول الدكتور احمد حسن الرحيم: «وبدأت تعمل لتنفيذ ذلك من جهتين: الاولى: حصر موارد البلاد الاقتصادية بيد الفرنسيين والنازحين الى الجزائر من الاجانب كالايطاليين والاسبان واليهود، وحرمان اهل البلاد من الحصول على عمل عند الحكومة الا باتقان اللغة الفرنسية في كل مجالات الحياة بما في ذلك المعاملات الحكومية كالطلبات الرسمية والمرافعات في المحاكم وغيرها. ومن جهة ثانية: حاربت العربية والدين الاسلامي، وضيقّت عليها منافذ الحياة. وطاردت رجال الدين، كالعالم الديني (عبد الحميد بن باديس) رئيس نادي الترقّي الذي تأسس سنة ١٩٣١م وكان من ابرز من هدف الى صيانة العربية، واذكاء الروح القومية بين المواطنين في الجزائر، وقاوم ما كان يثبته الفرنسيون، من ان اللغة العربية لغة ميتة لا تصلح للحضارة الحديثة، ويرددون ما كتبه عنها الكاتب الفرنسي (دينان) (١٨٢٣ - ١٨٩٢م) في كتابه (تاريخ اللغات السامية) ووصفها ووصف اهلها - عن جهل وتعصب - بالجمود والقصور»^(١) وهكذا وكما حاول الاتراك تتركّيز العرب بطمس اللغة العربية والدين الاسلامي كما رأينا سابقاً، حاول الفرنسيون فرنسة العرب باحلال اللغة الفرنسية

(١) اصول تدريس اللغة العربية - الدكتور احمد حسن الرحيم



محل العربية وبذلوا الجهود للقضاء على تعاليم الدين الاسلامي وابعاد الشعب الجزائري عنها وفرض الطابع الفرنسي لقد بذل الفرنسيون جهوداً كبيرة ووضعوا خططاً دقيقة لتحقيق هذا الغرض، يقول ساطع الحصري:

١. فانهم حظروا التعليم بالعربية في غير الكتاتيب.

٢. سعوا الى نشر لغتهم بين الناس بكل الوسائل الممكنة.

٣. وضعوا الخطط والمناهج اللازمة لتعليم الاطفال والشبان تعليماً ينشئ في نفوسهم حباً قوياً نحو فرنسا.

فمثلاً اذا انعمنا النظر في المناهج التي وضعوها لتعليم اولاد الجزائر وجدناهم جعلوا اللغة الفرنسية فيها محوراً لجميع الدروس وقالوا بصراحة: (ان المدرسة يجب ان تكون قبل كل شيء معهداً لتعليم اللغة الفرنسية كما وجدنا انهم اهتموا بتوجيه دروس الاخلاق نحو غايتهم الاصلية فانهم وضعوا في مناهج هذه الدروس قسماً خاصاً بـ (واجبات الاهلين نحو فرنسة) وخصصوا لهذا القسم من المنهج موقعاً مهماً بين الواجبات الاساسية كالواجبات نحو الله تعالى، والواجبات نحو ابناء البشر). ومما جاء في مفردات هذا المنهج: (ما يترتب على اهل الجزائر من الواجبات نحو فرنسة مقابل الحماية التي تسديها اليهم، والعدل الذي ادخلته الى بلادهم والامن الذي نشرته في ربوعهم، ونعم التعليم والحضارة التي اغدقتها عليهم... والاحترام الذي يجب ان يشعروا به نحو من يدير البلاد باسم فرنسة، والاحترام الذي يجب ان يظهره نحو التعلم الفرنسي).^(١)

وقد بلغ من شدة تأثر الجزائريين بالفرنسية ان المنشورات التي كانت تصدرها جبهة التحرير الوطني الجزائري كانت تكتبها باللغة الفرنسية التي يجيدها جميع

(١) ساطع الحصري - اراء واحاديث في العلم والاخلاق والثقافة (ص ١٥٤)

الجزائريين بينما يندر بينهم من يستطيع القراءة بالعربية وذلك نتيجة سياسة الفرنسية طوال قرن وربع قرن وبعد ان وقفت الثورة الجزائرية على قدميها اصبحت منشوراتها تصدر باللغتين العربية والفرنسية.^(١)

جاء في اول منشور صدر عن جبهة التحرير الوطني الجزائري المؤرخ في (٣١ تشرين الاول عام ١٩٥٤ م) والذي يعلن الثورة ما ترجمته: هدفنا الاستقلال الوطني واقامة حكومة جزائرية ديمقراطية ذات سيادة في نطاق النظام الاسلامي.^(٢)

الازدواجية بين اللغة العربية واللغة الفرنسية:

وقد نشأت عن هذه السياسة الاستعمارية ازدواجية في اللغتين العربية والفرنسية على اللسان الجزائري وامتدت هذه الازدواجية الى جميع المجالات الحياتية. يقول الاستاذ مالك بن نبي عن اثر اللغة الفرنسية على الشعب الجزائري: «ولكن هذه اللغة الاجنبية في هذا البلد وهي الفرنسية لا تقتصر فقط على ميدان العمل الفكري، وانما تمتد حتى مجال الحاجات العادية في الحياة اليومية والازدواج هنا ازدواج شعبي».^(٣) ويقول: «ومع ذلك فقد يتعمق التأثير اكثر من ذلك في بلد اسلامي اخر لا يقوم ازدواج اللغة بدور المفجر لكي يطلق حركة العالم الثقافي الذي كان قد توقف فيه نبض الحياة الفكرية». فمثلاً في الجزائر المستقلة - لم يتوقف الامر عند مجرد دور المفجر وانما امتد الى ما يشبه (الديناميت) الذي القى في العالم الثقافي

(١) صاحب ناصر سعيد - معلم في الجزائر (ص ٢٤٢)

(٢) صاحب ناصر سعيد - معلم في الجزائر (٢٤٤)

(٣) مالك بن نبي - مشكلة الفكر في العالم الاسلامي (١٨٥)



ورغم انه لم ينسق كل شيء فقد احدث شقوقاً فريدة في نوعها. ففي القمة ظهرت طائفتان في الصفوة المتعلمة، طائفة تتكلم العربية وتحاول مع (بن باديس) اعادة الصلة بالاصول الاسلامية او البحث عن فكرة تقليد صادقة خمدت نهائياً بعد فشل حركة الاصلاح وهروب اتباعها للعمل في الوظائف العامة بعد الثورة. وطائفة تتكلم الفرنسية وتتقنع بكل قناع: الكمالية، والمصالية، والحركة المضادة للمصالية، والبربرية، والتقدمية، والوجودية المزيفة، والماركسية المزيفة، لكي تخدم تحت اي عنوان من هذه العناوين الهه اليوم ومساخيط الساعة وهي في الواقع تسعى لخدمة نفسها تحت هذه الاقنعة.

لقد امتد الفاصل الزمني لمدة نصف قرن في عالم ثقافي مزيف لا تستطيع ان تنهض فيه فكرة على قدر من الثقة في نفسها لكي تقود الشعب الجزائري الى قدره المشرق.^(١) وهكذا نجد ان الفرنسية قد نجحت الى حد بعيد في تنشئة جيل جزائري مشوه لا يعرف الا اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية.

اثر السياسة الفرنسية في الجزائر:

وكتب الشيخ عبدالحميد السائح مقالاً بعنوان (الجزائر المسلمة)، جاء فيه: «وليس من ريب في ان الاستعمار الفرنسي، وان خسر مادياً في مغادرته الجزائر تاركاً وراءه جهود سنين من الاعمار والاعمال، في بقعة كان يعتبرها قطعة من فرنسة الا انه ابقى من ورائه رواسب كثيرة ليس من السهل التخلص منها في يوم، وهذه الرواسب تتلخص في ثقافة عميقة هيأ لها جيشاً كبيراً من الذين بنوا حياتهم ووجودهم عليها

(١) مالك بن نبي - مشكلة الافكار في العالم الاسلامي (ص ١٨٨)



واصبحوا يشعرون بان تغيير خط السير سيفقدهم الكثير الكثير من معاني الوجود والسيطرة». وهؤلاء فريقان: احدهما يشعر بان عليه مسؤوليات نحو قومه وامته تقضي بان يتخلص من رواسب الاستعمار بكافة الوسائل والمظاهر ولذلك يشعر هذا الفريق بضرورة دعم فكرة التعريب على جميع المستويات وتذليل ما يكتنفها من مصاعب، حتى يمكن ان يشعر العامل والموظف والفرد الجزائري - مهما كان اتجاهه وثقافته - بعروبته واسلامه، ويرى لهذه الصلة اثرها في حياته اليومية فيتحدث مع قومه بالعربية ويقرأ الجريدة العربية ويستمتع للمذيع العربي ويشاهد المشاهد التلفزيونية العربية ويقرأ برامج بالعربية، وبعبارة اخرى يرى العروبة وقد احتلت مكان الافرنسية في كل تلك المجالات، ويرى العادات والتقاليد والتعاليم الاسلامية وقد تمكنت من المجتمعات الجزائرية مكان مثيلاتها الافرنسية، وهذا الفريق هو الذي يتمثل في عدد من المسؤولين الرسميين وفي الشباب الواعي المخلص. واما الفريق الاخر فانه يرى في ابقاء الثقافة الافرنسية متغلغة نفعاً شخصياً له، واستمراراً في حالة الفها، وان تغيير ذلك سيجعله على هامش الاحداث ويبعده عن مراكز لا يزال عدد غير قليل يحتلونها في دوائر الحكومة ولا ننكر ان بعض هؤلاء متصلون بجهات مريبة، سواء كانت من بقايا الاستعمار الافرنسي في فرنسا نفسها، او بعض العناصر التي تميل الى ابعاد عن خطيرة العروبة والاسلام، وهؤلاء اما صهيونيون او متصلون بهم بسبيل او اخر.

وعلى كل حال فان من واجب المسؤولين الجزائريين خصوصاً الفريق الاول ومن واجب الجامعة العربية وواجب المسؤولين في البلاد العربية والاسلامية ان يقدروا الخطر الكامن في بقاء الفريق الثاني متمكناً، متغلغلاً، فيسهلوا السبيل الى دعم فكرة البعوث العربية والاسلامية، وان يختارها من اصحاب المباديء السليمة،

والعقيدة المستقيمة، التي تحفظ للجزائر عروبتها واسلامه، وان يعتبروا ذلك ضرباً من ضروب الجهاد الذي يجب ان يقوموا به نتيجة تخطيط ودراسة عميقتين.^(١)

يقول احد المعلمين العراقيين الذين اشتغلوا في الجزائر بعد الاستقلال وهو شاهد عيان: «ان سياسة الفرنسة هذه على الرغم من انها لم تستطع ان تحقق غايتها الا انها تركت اثراً في هجة اخوتنا الجزائريين وخصوصاً عند البعض من افراد الطبقة المثقفة منهم، فقد صور لهم المستعمر بان اللغة العربية لا تصلح لغير اداء المراسيم الدينية وقراءة القران وانها متأخرة لا تستطيع ان تواكب ركب الحضارة العلمية الحديثة فان السياسة التعريب في القطر الشقيق هي مشكلة تلاقي الكثير من الصعاب والدعوات المضادة، ولا اخفي امراً اذا قلت بان هناك البعض ممن يدعوا الى عدم اضاءة الجهد في سياسته التعريب هذه وتحويل الجهد الى نواحي البناء الاخرى والاكتفاء باللغة الفرنسية كلغة رسمية تصلح لادارة شؤون البلاد».^(٢)

جمعية العلماء المسلمين:

بقاء اللغة العربية في الجزائر بسبب القران والدين الاسلامي، ولولا القران الكريم هذا الكتاب المقدس، ولولا الدين الاسلامي الذي بقي الجزائريون متمسكون به رغم كل محاولات الاعداء لابعادهم عنه، لما بقي اثر للغة العربية في الجزائر. فلم يقف امام ذلك الغزو الثقافي العاتي الا القران. يقول الاستاذ احمد توفيق مدني: «كان التعليم ايام الحكومة الفرنسية استعمارياً بحثاً لا يعترف باللغة العربية ولا

(١) الوعي الاسلامي - السنة الرابعة - العدد ٤٨ (ص ٤٢)

(٢) صاحب ناصر سعيد - معلم في الجزائر (٧) مختصراً.

يقيم لوجودها اي حساب، فاللغة الفرنسية وحدها هي لغة التدريس في كل مراحل التعليم، وكان الشعب يعتمد على نفسه من اجل المحافظة على القرآن الشريف وعلى اللغة العربية فكان اصحاب المحاضر القرانية ينتشرون على كامل القطر الجزائري. انشأ الشعب تحت اشراف جمعية العلماء المسلمين يومئذ ما يزيد على المائة والخمسين مدرسة عربية حرة أسهمت اسهاماً عظيماً في تنشئة جيل عربي مسلم جزائري شارك في ثورته المباركة وفي قيادتها مشاركة فعالة». ويقول: «كانت المحاضر القرانية ويزيد عددها على خمسة الاف (كتاب) او (مسيد) وهي منتشرة غالباً في البادية والقرى الجبلية وجهات الجنوب ولولاها لاضمحل القرآن والدين اثناء عهد الاستعمار وقد قامت هذه المحاضر بدور عظيم جداً اثناء الثورة وبشرت الكثرة من رجالها تعليم ابناء الشعب تحت ادارة واشراف قادة الجيش الوطني التحريري»^(١).

سياسة الفرنسية على سورية، لبنان، تونس والمغرب:

ولم تقتصر سياسة (الفرنسة) التي اتبعها الاستعمار الفرنسي على الجزائر وحدها بل تعدتها الى غيرها من البلاد العربية التي كانت تخضع لنفوذها. ففي سورية مثلاً ارادت فرنسا ان تفرض معاهدة ثقافية تضمن السيادة للغة الفرنسية والثقافة الفرنسية ولكنها باءت بالفشل. يقول ساطع الحصري: «اجتازت الحكومة السورية ازمة خطيرة جداً من جراء المعاهدة الثقافية التي ارادت فرنسا ان تفرضها عليها فرضاً، قبل ان تسلمها زمام الحكم تماماً، وقبل ان تنسحب جيوشها من اراضيها فعلاً».

(١) احمد توفيق مدني - جغرافية الجزائر.

قدمت فرنسا الى سورية سنة ١٩٤٤م مشروع معاهدة ثقافية مفصله، وطلبت اليها ان لا تقدم على تغيير شيء من نظم المعارف واوضاعها قبل ابرام المعاهدة المذكورة. غير ان المشروع المذكور كان في حقيقة الحال مشروع (حماية ثقافية) تضمن اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية موقعاً ممتازاً في البلاد، فضلاً عن ذلك تشترك المؤسسات الفرنسية القائمة في سورية ولبنان في (السيادة على الثقافة العامة) وفي (توجيه هذه الثقافة) وكان يحتم مشروع المعاهدة على الحكومة السورية مثلاً: ان تسمح للطلاب الذين يتقدمون لامتحانات العامة لنوال شهادة الدراسة المتوسطة والاعدادية ان يجيبوا على اسئلة العلوم الرياضية والطبيعية باللغة الفرنسية.

وكان مشروع المعاهدة مليئاً بامثال هذه الاحكام التي لا تتفق مع روح الاستقلال ومع حق الامة في السيادة على شؤونها الثقافية ولذلك رفضت سورية المشروع المذكور واصدرت (قانون المعارف العام) الذي غير الاوضاع القائمة تغييراً اساسياً. تقدمت فرنسا عندئذ بمشروع ثان، وكان يشبه الاول تمام الشبه من حيث الاساس ولذلك لم يكن جديراً بالقبول بوجه من الوجوه ومع هذا رأت الحكومة السورية ان تدخل مع الحكومة الفرنسية في مفاوضات رسمية لعقد معاهدة ثقافية، ولم يستطع المفاوضون ان يتفقوا على شيء في هذا المضمار.

ونستطيع ان نقول: ان قصة المعاهدة الثقافية التي ذكرناها انفاً كانت من اهم العوامل التي اضرت نيران (الخلاف الدموي) بين سورية وفرنسا سنة ١٩٤٦م. ومن المعلوم ان ذلك الخلاف الدموي انتهى بتخليص سورية من نير الاحتلال، كما ان قصة (معاهدة الثقافية) ايضاً انتهت بانتهاء الاحتلال.^(١) هذا بعد ان كانت اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية قد تغللت في سورية ولبنان كما يقول ذلك القائد

(١) مالك بن نبي - مذكرات شاهد القرن الطالب (ص ٣٠٢)



الجنرال بيير كبلر في قوله عن المعاهدة الفرنسية في لبنان، فالتربية الوطنية كانت بكاملها تقريباً في ايدينا وفي بداية حرب عام (١٩١٤-١٩١٨) كان اكثر من اثنين وخمسين الف تلميذ يتلقون دروسهم في مدارسنا وكان بين هؤلاء فتیان وفتيات ينتمون الى عائلات اسلامية عريقة مما جعل الجمعية المركزية السورية التي تألفت في باريس تعلن عام ١٩١٧ ان جميع ميول السوريين وعواطفهم تتجه نحو فرنسا بعد ان تعلموا لغتها.^(١)

سياسة الفرنسة لابعاد المسلمين عن دينهم:

وعلينا ان نعرف ان الاستعمار الفرنسي الذي حاول (فرنسة) العرب كان كل همه هو ابعاد المسلمين عن دينهم ومحوشخصيتهم وقد صرح الفرنسيون انفسهم بهذه الحقيقة في كثير من المواطن، فقد دعا ذات يوم حاكم مدينة (تبسه) الجزائرية احد رجال الاصلاح فيها وقال له: (انتم تريدون احياء القران ونريد اقباره). وهذا هو كل هم هؤلاء الاستعماريين فهم بعد ان يضمنوا تحقيق هذه الغاية وهي (اقبار القران) على حد زعمهم، لا يهمهم ان يتكلم العرب اللغة الفرنسية او اية لغة اخرى، كما حدث للاستعمار الفرنسي نفسه ان فرض على سكان مراكش اللغة البربرية واصدر بذلك قانوناً وهو الذي عرف بـ (الظهير البربري) و (الظهير) في مصطلح الديوان المراكشي هو اللائحة الثانوية و (الظهير البربري) هو قانون الذي اصدرته السلطة الاستعمارية لفرض اللغة البربرية وتعطيل اللغة العربية في البلاد. وقد كتب محمد عبد الله عنان منبهاً الى خطورة سياسة فرنسة في مراكش التي تجري

(١) مالك بن نبي - مذكرات شاهد القرن الطالب (ص ١٨٩)



على البربر عن العرب واخوانهم من العالم الاسلامي والشرعية الاسلامية وردهم الى ما تسميه (العرف البربري) والتي الغت تدريس الدين واللغة العربية في مناطق هذه القبائل، اخذت تشجع البعثات التبشيرية في كل مكان، وتخصص لاعانتهم من ميزانيتها مبالغ طائلة بحجة نشر الثقافة الفرنسية، وهي تزعم مع ذلك انها دولة لا دينية تفصل فيها سلطة الكنيسة عن سلطة الدولة.^(١)

وهكذا نجد فرنسة تسعى لاشاعة اللغة البربرية ونشرها في الوقت الذي تحارب فيه اللغة العربية. فالاستعمار الفرنسي حارب العربية الفصيحة في شمال افريقية اعنف الحرب وضيق عليها اشد الضيق، ووضع مستشرقوه مختلف الكتب في دراسة اللهجات البربرية وقواعدها لاحتلالها محل العربية الفصيحة.

ومن سياسة (الفرنسة) التي اتبعتها فرنسة في بعض البلاد العربية تشويه التاريخ الاسلامي والحيلولة دون فهم العرب في هذه البلاد لتاريخ الاسلام المشرق وفرض دراسة التاريخ الفرنسي عليهم وذكر الامجاد الفرنسية والابطال الفرنسيين. ليبقى افراد هذه الامة في متاهة من التاريخ فلا يعرفون الا تاريخ الاستعمار وامجاده وهو مكتوب كما يريد الاستعمار نفسه.

يقول الاستاذ رمضان لاوند: «وتاريخ الاستعمار الغربي في البلاد العربية شاهد على هذه الحقيق ولعل استعراضنا لما كان يحدث خلال عهد الانتداب الفرنسي في لبنان ان يكون اقرب الادلة على صحة ما نقول، لقد كنت انا شخصياً موضوعاً لهذا التوجه الاستعماري مع جيلي كلهم. لقد فرض علينا جميعاً ان ندرس التاريخ الفرنسي باللغة الفرنسية معروضاً علينا في ابهى حلله واروع صورته، واجمل مغازيه،

(١) الملحق الادبي للسياسة المصرية عدد (٢٤) شوال عام ١٣٥٠هـ الموافق شباط ١٩٣٢ م نقلاً عن الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر (ج ٢) (ص ١٦٢)



بينما كانت دراسة التاريخ العربي لا تتناول غير حوادث متفرقة سخيفة المبني والمعنى خالية من التشويق، بادية السطحية، وزاد الطين بله ان التاريخ العربي مادة دراسية ثانوية هي في حاشية المنهاج الدراسي فلا غرابة بعد ذلك ان يتنكر طلاب عرب لماضي امتهم لانهم يجهلون هذا الماضي ولا غرابة بعد ذلك ان تنهار اعصاب هؤلاء وتتكون في نفوسهم روح التبعية، وبعبارة اخرى عقدة اشعور بالدونية»^(١).

ومع كل هذه الاساليب التي بذلها الفرنسيون لفرنسة العرب والقضاء على اللغة العربية والثقافة العربية، ومع شدة تأثيرهم في هذا المضمار، الا ان الاحداث كانت تُظهر بين حين وآخر شدة تمسك العرب بلغتهم وتؤكد اعتزازهم بدينهم، وان فرنسة التي استحوذت على الشعب الجزائري وسامتهم الوانا من العذاب بدافع حقد قديم، تقتل من عجزت عن شرائه بالمال، وتشوه من لا يخضع لمغرياتها تمشي وفي يمينها السيف وفي يسارها المال والنساء وسياسة التجهيل، فمن عجزت سياسة المال والنساء والتجهيل عن ترويضه انقض السيف عليه يمحواثره ويحطم منائرهِ. فرنسة هذه لم تستطع توجيه الجيش الجزائري المتكون من ابناء الجزائر في ساحات قتالها ضد الاتراك.^(٢)

فرنسة التي ما تركت وسيلة الا وحاربت بها الاسلام واللغة العربية حتى انها كانت تخشى ان يقرأ العرب الافارقة الصحف العربية كما يقول (اوجين يونغ) وهويبحث سياسة فرنسة في الشرق وآسية: «ان ما نخشى من عواقبه الذميمة ان المسلمين الذين في ممتلكاتنا الافريقية، يقرؤن الصحف العربية ويفهمونها على انه

(١) رمضان لاوند - الامام الصادق علم وعقيدة (ص ١٠)

(٢) حامد مصطفى - الجهاد في الاسلام في ماضيه وحاضره ص ٦١



وان لم تكن ثم جامعة اسلامية ولا جامعة عربية^(١) فان الشعوب الاسلامية في افريقية تشعر شعورا قوياً بما هو جارٍ في أسية ولا يحسن ان نغفل عما يُخشى حدوثه بين هذه الشعوب وما يحدث في الشرق يكون له صدى في كل بلاد^(٢).

وبالفعل فان ما كان يخشاه الاستعمار فقد حدث وادرك الجزائريون المغلوبون على لغتهم وثقافتهم مدى الضرر الذي اصابهم من جرّاء السياسة الفرنسية، وطفقوا يقاومون الاستعمار الفرنسي حتى استطاعوا ان يتخلصوا من الحكم الفرنسي لبلادهم. وعمد الجزائريون الى التخلص مما تركه الاستعمار وخلفه في بلادهم فقاموا بحملة التعريب. ولا تزال الجزائر تعمل بصورة قوية على انعاش لغتها العربية وتقويتها وتوسيعها فقد وجدت سلاحاً ثميناً لجأت اليه حين اعوزتها الاسلحة، كما وجدت في ثقافتها كنزاً ثميناً لا يُفترط فيه.^(٣)

وهكذا صمدت اللغة العربية امام سياسة (الفرنسة) كما صمدت امام سياسة (الترتيك)، وظلت اللغة العربية كالطود الشامخ رغم كل تلك السياسات الخبيثة ورغم كل الجهود الطويلة القاسية.

(١) طُبِعَ كتابه عام ١٩٢٨ اي قبل تأسيس جامعة الدول العربية.

(٢) اوجين يونغ - الاسلام وأسيا امام المطامع الاوربية ص ١٤١ طبع ٩٢٨

(٣) الدكتور احمد حسن الرحيم - اصول تدريس اللغة العربية والتربية الدينية ص ٢٤

الفصل الثالث

الدَّعْوَةُ إِلَى الْعَامِيَّةِ

ان الدعوة الى اتخاذ اللهجات العامية المحلية او ما يسمونها اللغة الدارجة بدلا من اللغة العربية الفصحى في الكتابة والتأليف، هي جزء من المخطط الاستعماري الواسع الذي يهدف الى ابعاد الأمة عن دينها ومقومات شخصيتها. ولقد نشر الاستعمار وعملاؤه هذه الفكرة ودعوا اليها تحت شعارات مختلفة وحجج واهية مثل تسهيل الكتابة وتوحيدها مع لغة الكلام وما شابه ذلك من الشعارات التي تستروا بها من اجل تنفيذ مشاريعهم الخبيثة. وستعرف في هذا الفصل على بداية هذه الدعوة الظالمة والاقلام الاثيمة التي طالبت بها ومن ثم نتعرف على خطورة هذه الدعوة والصدى الذي أحدثته لدى الرأي العام.

بداية الدعوة الى العامية:

عندما أدرك الاوربيون انهم لا يستطيعون القضاء على الامة الاسلامية بالحروب المسلحة والصدام المباشر من خلال الحروب الصليبية التي شنوها على وطننا وأمتنا. ذهبوا يضعون الخطط ويرسمون الاساليب التي عن طريقها يتم لهم



تحقيق اهدافهم. من المعلوم لدى كل متتبع ان الاستعمار الاوربي بدأ قبل الاستيلاء على البلاد الاسلامية بدراسة احوالها والتعرف على ما فيها من احوال وعادات ومن جملة ما ادركه الاستعمار الاوربي هو وجود صلات قوية وروابط متينة تربط بين ابناء هذه البلاد ومن اشد تلك الروابط هو الدين الاسلامي الذي يجمع كلمة المسلمين ويوحد شأنهم واللغة العربية التي هي لغة دينهم وقرآنهم وتراثهم وتاريخهم وعلم انه لا يستطيع ان يستولي على هذه البلاد الا بعد ان يقضي على هذه الروابط الوثيقة او يُضعفها.

الدول الاستعمارية تفتح مدارس خاصة لتعلم جواسيسها اللهجات العامية في البلاد العربية:

وهنا يهمننا ان نتعرف على ما يتعلق باللغة العربية، فرأى خير وسيلة للقضاء عليها هو التمييز بينها وبين اللهجات المحلية ولذا قام بدراسة موسعة لهذه اللهجات وخصص لها مدارس يتخصص بها عدد من تلاميذه الذين يعتمد عليهم في بثهم في تلك البلاد الاسلامية.

واليك ما دونته الدكتور (نفوسة زكريا سعيد) في كتابها القيم (تاريخ الدعوة الى اتخاذ العامية وأثارها في مصر):^(١) «ففي النمسا انشأت مدرسة في عاصمتها (فيينا) سنة ١٧٥٤م اطلقوا عليها اسم (مدرسة القناصل) لانها كانت تعلم القناصل لغات الشرق ومنها العربية مهتمة بلهجاتها العامية وكان من مدرسيها في القرن الماضي حسن المصري الذي ألف كتاباً في العامية المصرية سنة ١٨٦٩م هو (أحسن

(١) وهواطروحتها لنيل الدكتوراه. ص ١١٦٩

النخب في معرفة لسان العرب) ثم اسست مدرسة سنة ١٨٥١م للهجات الشرقية. وفي ايطالية دُرست العامية في (مدرسة نابولي للدروس الشرقية) التي أُسِّت سنة ١٧٢٧م وجُددت سنة ١٨٨٨م. وفي فرنسا درست اللهجات العربية العامية في اواخر الثلث الاول من القرن الماضي في مدرسة (باريس للغات الشرقية الحية) التي أُسِّت سنة ١٧٥٩م، وكان اول من قام بتدريسها المستشرق الفرنسي (سلفستردى ساسي) مستعيناً بميخائيل الصباغ السوري. وفي روسيا أُسِّت مدرسة (لازارف اللاكليرية للغات الشرقية) في مدينة موسكو الروسية سنة ١٨١٤م وكانت تُعلم العربية ولغات الشرق الاخرى. وكانت هذه المدرسة فرعاً من الجامعة الامبروطورية في بطرسبرغ (لينينغراد) الآن. وفي المانيا أُنْشِئ مكتب كبير في برلين لتدريس اللغات الشرقية ومنها العربية ولهجاتها المحلية. وفي المجر أُسِّت الكلية الملكية لعلوم الاقتصاد الشرقية ودرس اللهجات ومنها العربية وذلك سنة ١٨٩١م. وفي انكلترا اُنْشأت جامعة لندن في أوائل القرن التاسع عشر فرعاً فيها لتدريس العربية الفصحى والعامية، وكان من مدرسيها حبيب انطوان السلموني اللبناني. ولما ذهب احمد فارس الشدياق الى لندن اقترحت عليه المدرسة تأليف كتاب في العربية المحكية أي العامية فوضعه بالانكليزية في لندن وهو (اصول اللغة العربية المحكية) سنة ١٨٥٦م.

بدأت الدعوة الى اتخاذ اللهجات العامية في البلاد العربية لغة كتابة وأدب وثقافة في اواخر سنة ١٨٨١م في مصر على اقلام الساسة الانكليز، وقد جاء في كتاب (الدعوة الى اتخاذ العامية وأثارها في مصر) للدكتورة نفوسة زكريا سعيد: «ان الدعوة الى اتخاذ العامية اداة للكتابة بدل العربية الفصحى نودي بها تحت ظلال الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٠م».



فقد دعت مجلة (المقتطف) المصرية الى كتابة العلوم باللغة التي يتكلم بها الناس في حياتهم العامة، ودعت رجال الفكر الى بحث هذا الاقتراح ومناقشته.^(١) وظهرت مؤلفات اجنبية غطت معظم البلاد العربية تدعوا الى اتخاذ اللهجات المحلية بدلاً من الفصحى مثل كتاب (لهجة بغداد العامية) تأليف (لويس ماسينوت) المستشرق الفرنسي والموظف في قسم الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية^(٢) طبع في مصر سنة ١٩١٢م وترجمه الى العربية في بغداد الدكتور اكرم فاضل وسماه (تعليقات على لهجة بغداد العامية) واصدره مركز الفولكلور العراقي في وزارة الارشاد عم ١٩٦٢م. وكتاب (لغة بيروت العامية) تأليف (أمانويل ماتسون) بالفرنسية سنة ١٩١١م وكتاب (لغة مراکش العامية وقواعدها) تأليف Smail Ben بالفرنسية سنة ١٩١٨م. وفيه نبذ عربية. وكتاب (قواعد العامية الشرقية والمغربية) تأليف (كوسان دوبرسفال) بالفرنسية وفيه نبذ عربية سنة ١٨٥٨م. وكتاب (عربية مراکش) تأليف Mercier Louis بالفرنسية طبع باريس سنة ١٩٢٥م. وكتاب (عامية دمشق) تأليف Jetraser Ber بالالمانية طبع هانوفر سنة ١٩٢٤م. وكتاب (قواعد العربية في مصر) للدكتور (ولهلم سبيتا) ومؤلفه هو الرائد الاول لكل من كتب في العامية المصرية من الاجانب وكان ذلك عام ١٨٨٠م حيث ظهر كتابه هذا بالالمانية ومن هذا الكتاب انبثقت الدعوة الى اتخاذ العامية لغة ادبية ومنه انبعثت الشكوى من صعوبة الفصحى وفي هذا الكتاب ايضاً وضع اول اقتراح لاتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العامية. وكتاب (اللهجة العربية الحديثة في مصر) للدكتور (كارل فولرس) وهو من زملاء (سبيتا) وكان قد ظهر كتابه هذا بالالمانية سنة ١٨٩٠م ثم ترجم

(١) الدكتور محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ج ٢ ص ٣٥٩

(٢) التبشير والاستعمار ص ٢٢٤



الى الانكليزية سنة ١٨٩٥ م. وقد نهج فيه نهج زميله فاستنبط حروفاً لاتينية لكتابة العامية ودرس قواعدها وأورد كثيراً من نصوصها. وكتاب (العربية المحكية في مصر) (لسلدن ولمور) الذي ظهر سنة ١٩٠١ بالانكليزية حيث كان مؤلفه قاضياً بالمحاكم الاهلية بالقاهرة. وكتاب (المقتضب في عربية مصر) لـ (فيلوت، باول) بالانكليزية ظهر في مصر سنة ١٩٢٦ حيث كان احد مؤلفيه قاضياً بالمحاكم الاهلية بالقاهرة وكان نهجهما في هذا الكتاب هو ذكر الكلمة العامية مكتوبة بالعربية ثم بحروف لاتينية مع ترجمة لها بالانكليزية. وكانت هذه محاولة عملية لتسهيل دراسة ما يدعوان اليه. وكتاب (سورية ومصر وشمال افريقية ومالطا تتكلم البونية لا العربية) للمبشر الانكليزي (وليم ولكوكس).^(١)

ثم هاجت المسألة مرة اخرى في اوائل سنة ١٩٠٢ م حين أُلِف أحد قضاة محكمة الاستئناف الاهلية في مصر من الانكليز وهو القاضي (ولمور) كتاباً عما سماه (لغة القاهرة) وضع فيه قواعد واقتراح اتخاذها لغة للعلم والادب، كما اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية.^(٢) وتنبه الناس للكتاب حين اشاد به (المقتطف) في باب (التقريب والانتقاد) فحملت عليه الصحف، مشيرة الى موضع الخطر في هذه الدعوة التي لا تقصد الا محاربة الاسلام في لغته وفي ذلك الوقت كتب الشاعر المصري حافظ ابراهيم قصيدته المشهورة التي يقول فيها متحدثاً بلسان اللغة العربية:^(٣)

(١) راجع الدعوة الى اتخاذ العامية - الدكتور نفوسة زكريا وراجع مجلة رسالة الاسلام العدد الاول والثاني السنة الثانية - الدعوة الى اللغة العامية - سعدي الطويل.

(٢) الدكتور محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ج ٢ ص ٣٦٠

(٣) ديوان حافظ ابراهيم ج ١ ص ٢٥٣



رجعت لنفسي واتهمت حصاتي
رموني بعقم في الشباب وليتني
ولدت ولما لم اجد لعرائسي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
كيف اضيق اليوم عن وصف آله
انا البحر في احشائه الدر كامن
فيا ويحكم ابلى وتبلى محاسني
فلا تكلوني للزمان فانني
ارى لرجال الغرب عزاً ومنعة
اتوا اهلها بالمعجزات تفننا
أيطربكم من جانب الغرب ناعق
ولوتزجرون الطير يوماً عرفتم
سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً
حفظن ودادي في البلى وحفظته
وفاخرت اهل الغرب والشرق
ارى كل يوم بالجرائد مزلقاً
واسمع للكتاب في مصر ضجة

وناديت قومي فاحتسبت حياتي
عقمت فلم اجزع لقول عداقي
رجالاً واكفاءً وأدثُ بناقي
وما ضقت عن آي به وعِضات
وتنسيق اسماء لمخنرات
فهل سألوا الغواص عن صدفاقي
ومنكم - وان عَزَّ الدواء - اساتي
اخاف عليكم ان تحين وفاتي
وكم عَزَّ اقوام بعزل لغات
فيا ليتكم تأتون بالكلمات
ينادي بوأدي في ربيع حياتي
بما تحته من عشرة وشتات
يعز عليها ان تلين قناتي
هَن بقلبٍ دائم الحسرات
مطرقَ حياءَ بتلك الاعظم النخرات
من القبر يدنيني بغير أناة
فاعلم ان الصائحين نعاقي

وهكذا وبسبب وعي الامة ووقوفها امام هذا الخطر خمدت تلك الاصوات
وتوقفت ولولفترة قصيرة من الزمن لتعود مرة ثانية.

عود الدعوة الى العامة من قبل اجانب وعرب:

وعادت مسألة الدعوة الى العامة مرة اخرى على يد السير (وليم ولكوكس) الذي كان مهندساً للري في مصر سنة ١٩٢٦م حيث دعا الى هجر اللغة العربية الفصحى وقام بترجمة اجزاء من الانجيل الى ما سماه (اللغة المصرية). ونوّه (سلامة موسى) بالسير (وللكوكس) وايده على فكرته فثارت لذلك ثائرة الناس من جديد، وعادوا المهاجمة الفكرة والتنديد بها يكمن وراءها من الدوافع السياسية.

ولكن الدعوة استطاعت ان تجتذب نفراً من دعاة الجديد في هذه المرة فاتخذت من القومية والشعبية ستاراً لدعوتهم حين كان لمثل هذه الكلمات رواج وكان لها بريق خداع يعشي الابصار، وحين كان الناس مفتونين بكل ما يحمل هذا العنوان في اعقاب ثورة شعبية تمخضت عن (الفرعونية)^(١)، وحين كانوا يتحدثون بها صنع الكماليون من استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وترجمه القرآن الى اللغة التركية، والزام الناس بالتعبد به، وتحريم تدريس العربية في غير معاهد دينية محدودة وضعت تحت الرقابة الشديدة وقد مضى من بعد في مطاردة الكلمات العربية الاصل ينفونها من اللغة التركية كلمة بعد كلمة. ثم بدا ان الدعوة اخذت في الانتشار حين اتخذت اللهجة السوقية في المسرح الهزلي^(٢)، ثم انتقلت الى المسرح الجدي حين تجرأت عليه وقتذاك فرقة تمثيلية تتخذ اسماً فرعونياً وهي فرقة (رمسيس) فوجدت مسرحياتها

(١) الفرعونية: حركة روجها الاستعمار البريطاني في مصر وهي تدعويان تسير مصر على نهج الفراعنة وقد اشتدت في اعقاب ثورة ١٩١٩م، راجع ج ٢ ص ١٤٢ وما بعدها من كتاب الاتجاهات الوطنية المعاصرة.

الدكتور محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ج ٢ ص ٣٦١.

(٢) راجع النظرات للمنفلوطي (ح ٣) (ص ٣٧) الملاعب الهزلية.



اقبالاً ولقيت رواجاً عند الناس، وظهرت الخيالة (السينما) من بعد فاتخذت هذه اللهجة، ولم يعد للعربية الفصحى وجود في هذا الميدان، ثم ظهرت هذه اللهجة السوقية التي تسمى بـ (العامية) في الادب المكتوب فاستعملها كثر من كتاب القصة في الحوار ولا يزال دعائها يمكتون لها في الميدان ويجدون في ذلك جاهدين.^(١)

ضمن كل ما تقدم يمكن القول انه لم يسمع لداع بالدعوة الى العامية صوت قبل القرن الاخير، وكل ما كان قبل ذلك من اشارة الى العامية او ما كان يسميه قد ماء المؤلفين (خطأ العوام)^(٢) فقد كان المقصود به تقويم تسجيلها والدعوة الى معارضة القران بها. فالدعوة الى العامية لم تنشأ الا في استبعاد الغرب لبلاد العرب والمسلمين وفي ايام سيطرته من ناحيه، وفي حضانه التبشير من ناحيه اخرى. ويكفي ذكر اسماء (سبتا) spitta wilhem، (فولارز) vollers.K و(باول) Powell.A و(فيلوت) Phillott.C.D و(بوريان) Bouriant.M و(ماسبيرو) Masperou.C.M الذين قادوا هذه الدعوة في مصر منذ سنة ١٨٨٠ م فظهر صداها في صحيفة (المقتطف) الشهرية التي كانت تابعة لأكبر مؤسسة تبشيرية في بيروت وهي (الكلية السورية الانجليزية) والتي تعرف اليوم باسم (الجامعة الامريكية) وصاحب صحيفة المقتطف (فارس نمر) صلته بالاحتلال البريطاني مشهورة معروفة فقد كان المستر (سمارت) مستشار السفارة البريطانية في مصر زوجاً لابنته كما ظهر صداها على السن بقية السماسرة^(٣) من امثال (سلامة موسى) واسمه الحقيقي (شليمو موشي) الد اعداء العرب وقوميتهم وادابهم ودينهم، وهو من اوائل الدعين الى التخلص من

(١) محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية (ح ٢) (ص ٣٦٢).

(٢) صوت الاشارة الية في الفصل الرابع من الباب الاول من هذا الكتاب.

(٣) الدكتور محمد محمد حسين - حصوننا مهددة من داخلها (ص ٢٣١).



اللغة الفصحى لانها لغة العرب لا المصريين! والى التحلل من قواعد الرفع والنصب والخفض، والى الكتابة باللغة العامية كما نتكلمها، والى نبذ الاساليب البلاغية والاقتصار على الاسلوب التلغرافي اي خبر وايجاز، وكان صوته اعلى الاصوات واقواها في الاتجاه الى الغرب ونبذ هذا الشرقي الموبوء بالكتب الصفراء، والرؤوس المعجمة! والادب الجنسي، والشعر النواصي وحكايات الف ليلة وليلة، وكل ذخائر العرب لانها كلها نواسية!^(١)

سلامة موسى الذي يعتبر من انشط هؤلاء الدعاة الى العامية وهو يمتدح الاوربيين ويتنقص الشرقيين ويقول: «الرابعة الشرقية سخافة، والرابعة الدينية وقاحة، والرابعة الحقيقة هي رابطتنا باوربا».^(٢) ويقول: «ينبغي ان لا نغرس في ذهن المصري انه شرقي، فانه لا يلبث ان ينشأ على احترام الشرق وكراهة الغرب، وينمو في كبرياء شرقي ويحس بكرامة لا يطيق ان يجرحها احد الغربيين بكلمة».^(٣) فهو لا يريد ان يحس الانسان المصري بكرامة بل يريد ان يعيش ذليلاً خنوعاً خاضعاً للغرب، فهل من ذل اكثر من هذا الذل الذي يريده سلامة موسى للشعب؟ ثم هو بعد كل هذا لا يستحي ان يتباكي على الشعب ولكنه تباكي التماسيح ويقول: «الادباء الأوربيون لا يكتبون في الخواء، وانما يعالجون المشكلات الاجتماعية الانسانية وهم يكتبون للشعب بلغة الشعب».^(٤) ويقول: «في وقتنا الحاضر في مصر والاقطار العربية يجب ان يكون الادب كفاحاً نحارب به رواسب القرون المظلمة،

(١) محمد بدر الدين ابوصالح - المدخل الى العربية (ص ١٨٢)

(٢) محمود محمد شاكر - اباطيل واسمار (ج ١) (ص ١٦٥)

(٣) محمود محمد شاكر - اباطيل واسمار (ج ١) (ص ١٦٥)

(٤) سلامة موسى - الادب للشعب (ص ١) (طبع ١٩٥٦)



وندعوفيه الى حرية المرأة ومساواتها التامة في الحقوق والواجبات بالرجال، كما ندعو الى الحضارة العصرية اي حضارة اوربا اذ نحن على يقين بانه اذا كانت الشمس تشرق من الشرق فان النور يأتي الينا من الغرب وان ندعوالى العلم والصناعة لزيادة الثراء وان نحارب الغيبيات والخرافات التي اسن بها الشرق وتعفن حتى كاد يموت»^(١) ولذلك فهو يعتبر الاديب المجهود من يكتب مقلداً للكتاب الغربيين في اسلوبهم وفي افكارهم واخلاقهم واذواقهم وهم القدوة الصالحة في نظره. ومن يقرأ (البلاغة العربية واللغة العربية) يرى فيه دعوة حاقدة على لغة العرب والتأليب على نبذها. هذا واحد من دعاة العالمية وغيره كثيرون مثل (بولس غانم) الذي كان يعلن كراهيته وحقده الاسودين على (ابي الطيب المتبني) لا لشئ الا اعجاباً منه بـ (لا لفردي موسيه) و(فيكتور هيجو) و(لامارتين) ويقول: «وددت والله ان اكون فرنسياً لحماً ودماً اسمي (ادمون) او (شارل) من ان اكون الشيخ بولس غانم الشاعر سليل مشايخ لبنان حتى لا اقف جنباً مع المتبني الشاعر العربي الجلف»^(٢) و(يعقوب صنوع) اليهودي الذي كتب بالعامية وانشأ المسرح العالمي وكان الى جانب ذلك يدعي الوطنية. وحسين فوزي ويوسف ادريس وابراهيم المصري ومحمود عبد الحليم وانيس منصور واحسان عبد القدوس ويوسف السباعي وسواهم من هم على شاكلتهم^(٣) و(احمد لطفي السيد) الذي يسميه سلامة موسى (منشئ الوطنية المصرية الحديثة) يدعوالى العامية وكتابة العربية بحروف لاتينية. و (لويس عوض) الذي عرف بحقده على اللغة العربية الفصحى وكان يدعوالى احلال العامية محلها

(١) سلامة موسى - الادب للشعب (ص ١٢) (طبع ١٩٥٦)

(٢) محمد بدرالدين ابوصالح - المدخل الى العربية (ص ١٨٢)

(٣) محمد بدرالدين ابوصالح - المدخل الى العربية (ص ١٨٣)

وكان يبش بان استخدام اللهجة المصرية كأداة للكتابة قد ينتهي بعد قرن او قرنين بترجمة القرآن الى اللهجة المصرية، كما حدث للانجيل اذ ترجم من اللغة اللاتينية الى اللغات الاوربية الحديثة، وقال في عام ١٩٥٤ م مفتخراً ومتبهجاً: «بانه عرف بدعوته للادب العامي في صدر حياته الادبية».

و (طه حسين) الذي يسمونه عميد الادب العربي، يحاضر في اللغة العربية والادب العربي فينكر ويشكك الامة بلغتها وادبها ودينها.^(١) نراه يدعو الى الاقليمية ويناهض فكرة الوحدة العربية بقوله: «ان الفرعونية متأصلة في نفوس المصريين وانها ستبقى كذلك بل يجب ان تبقى وتقوى...»^(٢)، ويقول: «ان المصري مصري قبل كل شئ فهو لن يتنازل عن مصريته مهما تقلبت الظروف».^(٣) ويقول: «لا تطلبوا من مصر ان تتخلى عن مصريتها والا كان معنى طلبكم: اهدمي يا مصر ابا الهول والاهرامات وتغاضي عن جميع الاثار التي تزين متاحفك ومتاحف العالم، وانسي نفسك واتبعينا».^(٤)

هولا يختلف عن سلامة واشباهة في الدعوة الى اقتفاء اثر الغربيين والاخذ عنهم كل شئ من امور حياتهم خيرا وشرها فهو يرى ان سبيل النهضة واضح بين مستقيم ليس فيه عوج ولا التواء وهوان نسير سيرة الاوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم انداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرا وشرها، حلوها ومرها وما يجب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب.^(٥)

(١) محمد بدرالدين ابوصالح - المدخل الى العربية (ص ١٨١)

(٢) ساطع الحصري - الوطنية والقومية (١١٧)

(٣) ساطع الحصري - الوطنية والقومية (١١٩)

(٤) ساطع الحصري - الوطنية والقومية (١٢٠)

(٥) طه حسين مستقبل الثقافة في مصر (٤١)

وهو يدعو الى اخضاع اللغة العربية لسنة التطور ودفعها الى طريق ينتهي باللغة الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم الى ان تصبح لغة دينية فحسب كالسريانية والقبطية واللاتينية واليونانية^(١) حيث يقول: «ان العربية عسيرة لان نحوها مازال قديماً عسيراً، ولان كتابتها مازالت قديمة عسيرة»^(٢). فهو وان لم يدعو الى العامية صراحة لكنه يدعو الى تطوير اللغة الذي يجرها شيئاً فشيئاً الى العامية. ويقول: «وفي الارض امم متدينة كما يقولون، وليست اقل منا ايثاراً لدينها ولا احتفاظاً به ولا حرصاً عليه ولكنها تقبل من غير مشقة ولا جهد ان تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التي تفكر بها وتصطنعها لتأدية اغراضها، ولها الوقت نفسه لغتها الدينية الخاصة التي تقرأ بها كتبها المقدسة وتؤدي منها صلاتها»^(٣).

وقد حاول (طه حسين) في اوائل الخمسينيات كتابة الحروف العربية حسب النطق بها فكتب: طاهما حسين بدلاً من طه حسين، وهاذا بدلاً من هذا... وهكذا، وكتب بعض مقالات بالفعل على هذه الصورة، ولكنه لم يواصل ولم يستمر ولم يكرر المحاولة بعد ذلك.

والشيء الخطير في افكار طه حسين انه محل ثقة عند كثير من الناس وان افكاره استطاع ان يغلغلها من خلال المناصب التي اسندت اليه ومكنت من تنفيذ برامجها وارساء اسس تنفيذها على الاقل فقد كان عميداً لكلية الاداب بالقاهرة وكان مديراً لجامعة الاسكندرية وكان اخر الامر وزيراً للتربية والتعليم ثم ان شهرته وكثرة المعجبين به وتأثر الكثرة الكبيرة من تلاميذه بارائه ومناهجهم وافتتاحهم بها قد زاد

(١) الدكتور محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية (ج ٢) (ص ٢٢٩)

(٢) طه حسين - مستقبل الثقافة في مصر (١٩٥)

(٣) طه حسين - مستقبل الثقافة في مصر (٢٠٠)

في خطورة اثره ولم يكن هذا الاعجاب والافتتان به وبارائه راجعاً الى شخصه وحده
والى ما احيط به من دعاية ولكنه كان يرجع ايضاً الى ظروف البيئة انذاك.^(١)

جمع هؤلاء المؤلفين - وكلهم ممن شغل وظائف عامة في ظل الاحتلال
الانكليزي لمصر - طائفة من الامثال والاغاني والمرددات السوقية في مختلف
الموضوعات ونادوا باتحاد اللهجة التي كتبت بها هذه الاثار لغة للتدوين والتأليف
والادب الرفيع، ووضع بعضهم الآخر كتباً استنبط فيها قواعد للهجة مصر العامية
وقد اقتصر معظمهم على هجة القاهرة محاولاً اقناع المصريين بان لهجتهم هذه لها
كل مقومات اللغة الراقية، ولاك الناس كلامهم من بعده فردده كل ببغاء وكل بوق
وكل سمسار وكل فاسد العقيدة مزعزع الايمان وليس في كلام هؤلاء جميعاً على
اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم من لطفي السيد وحزبه الى طه حسين وشيعته فكرة
جديدة فكل ما يقولونه تريد لما قاله هؤلاء حتى الذين اكثروا من الكلام فيما سموه
بالادب الشعبي وادعوا انهم جمعوا فيه ما جمعوا من اثار لم يكونوا الا ناقلين مما جمعه
امثال (ماسبيرو) و(بوربان).^(٢)

وبهذا نكون قد تعرضنا على بداية الدعوة الى اتخاذ العامية بدل الفصحى وانها
بدأت في مصر وعلى ايدي كتاب من الانكليز واتباعهم الذين لا يمكن ان نحسن
بهم الظن بحال من الاحوال. كما ان الفرنسيين في شمال افريقيا عملوا على احياء
اللهجات المحلية لاحتلالها محل العربية الفصحى.

يصف الدكتور حسين الهراوي تقريراً من لجنة العمل المغربي الفرنسية وقع في
يده فيقول: «فرايت هذا التقرير يتبع السياسة الاستعمارية، ويصف مقاومة الاسلام

(١) الدكتور محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية (ج ٢) (ص ٢٢٨)

(٢) الدكتور محمد محمد حسين - حصوننا مهددة من داخلها (ص ٢٣٢)

والتقارير السرية التي يرسلها المستشرقون في البلاد المستعمرة الى حكوماتهم لمقاومة الاسلام. لان روحه تتنافى مع الاستعمار. وان اول واجب في هذا السبيل هو التقليل من اهمية اللغة العربية وصرف الناس عنها باحياء اللهجات المحلية في شمال افريقية واللغات العامية حتى لا يفهم المسلمون قرائهم ويمكن التغلب على عواطفهم»^(١).

العامية في مجمع اللغة العربية في مصر:

تقدم الكلام في الباب الاول ان المجمع اللغوية في البلاد العربية انها اسست لصيانة اللغة العربية والمحافظة عليها، وهذا هو اهم واجباتها فهل يعقل ان يتخذ هذا الحصن سبيلاً لهدم هذه اللغة؟ ان هذا لشيء عجاب، فان الدعوة الى العامية قد تسللت الى (مجمع اللغة العربية) في مصر فظهرت في مجلته الناطقة باسمه سلسلة من المقالات عن (اللهجة العربية العامية) كتبها عضو من اعضاء هذا المجمع اسمه (عيسى اسكندر المعلوف) وان مما يدعو الى العجب حقاً ان يختار المجمع لعضويته رجلاً معروفاً بعداؤه الصريح للعربية وهو عداء عريق ورثه عن ابيه الذي اعلنه وجهر به حين سجله في مقال له نشرته (الاهلال) سنة ١٩٠٢ دافع فيه عن اللهجات السوقية، وقال انه يشتغل بضبط احوالها وتقييد شواردها لاستخدامها في كتابة العلوم.^(٢)

- (١) الدكتور محمد محمد حسين - الاتجاهات (ج ٢) (ص ٣٦٥) (هـ ١) نقلاً عن الاهلال عدد يناير ١٩٣٤ (ص ٣٢١) - (ص ٣٢٨) تحت عنوان (هل ضرر المستشرقين اكبر من نفعهم).
(٢) راجع مجلة مجمع اللغة العربية: الجزء الاول شعبان (١٣٥٣ هـ) - تشرين الاول (١٩٣٤) من (ص ٣٥٠) - (ص ٣٦٥)، الجزء الثالث شعبان ١٣٥٥ - تشرين الاول ١٩٣٦ من (ص ٣٤٩) (١٩٣٧ من (ص ٢٩٤) - (ص ٣١٥) وراجع كذلك مقالاً لعضواخر من



وقد اكد هذا المقال ان اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة هو اهم اسباب تخلفنا الثقافي! وزعم ان من الممكن اتخاذ اي لهجة عامية لغة للكتابة كالمهريّة والشامية اسهل وانها ستكون على سائر المتكلمين بالعربية - على اختلاف لهجاتهم - من العربية الفصحى^(١)، كما زعم ان تعلق المسلمين باللغة الفصيحة لا مبرر له! لان هناك مسلمين كثيرون لا يتحدثون بالعربية ولا يكتبون بها. ولان اللغة العربية التي يتكلمها المسلمون هي غير العربية الفصحى على كل حال وقال: «ان كل ما يطالب به هو وضع قواعد هذه اللغة التي يتكلم الناس بها فعلاً وواقعاً»، وختم المقال بقوله: «وما احرى اهل بلادنا ان ينشطوا من عقابهم طالبين التحرر من رق لغة صعبة المراس قد استنزفت اوقاتهم وقوى عقولهم الثمينة وهي مع ذلك لا توليهم نفعاً بل اصبحت ثقلاً يؤخرهم عن الجري في مضمار التمدن وحاجزاً يصدّهم عن النجاح ولي امل بان ارى الجرائد العربية وقد تميزت لغتها وبالاخص جريدة الهلال الغراء التي هي في مقدمتها وهذا اعظم خطوة نحو النجاح وهو غاية املي ومنتهى رجائي».^(٢)

هل تعرف عداءاً للعربية التي لم ينشأ هذا المجمع الا لحياتها اعرق من هذا العداء الصريح في الولد وابيه على السواء؟! فلاي شئ اختيار هذا العضو وامثاله ومن المعروفين بالكيد للعربية وللعرب.^(٣)

اعضاء المجمع وهو عبد القادر المغربي تحت عنوان (دراسة في اللهجة المصرية) من الجزء الثالث (ص ٢٩٠) - (ص ٣٠١). * ولكن خيب الله امله .

(١) الهلال عدد (١٥) اذار ١٩٠٢ تحت عنوان اللغة الفصحى واللغة العامية - اسكندر معلوف.

(٢) الهلال عدد ١٥ اذار ١٩٠٣ تحت عنوان اللغة الموضحة واللغة العامية اسكندر معلوف

(٣) الدكتور محمد محمد حسين الاتجاهات الوكنية في الادب المعاصر ج ٢ ص ٣٦٣

كما تقدم عضواً آخر وهو من ابرز اعضاء المجمع المدعو (عبد العزيز فهمي) باقتراح كتابة العربية بالحروف اللاتينية وشغل المجمع يبحث اقتراحه عدة جلسات امتدت خلال ثلاث سنوات ونشر في الصحف وارسل الى الهيئات العلمية المختلفة وخصصت الحكومة جائزة مقدارها الف جنيه لاجسن اقتراح في تيسير الكتابة العربية.^(١)

وليس هذا هو كل ما يدعو للعجب من امر هذا المجمع فقد كان من اعضاءه من ليس عربياً منهم المستشرق جب المعروف بصفته الاستعمارية على ان المستشرقين كلهم من مستشاري وزارة الخارجية والمستعمرات في بلادهم^(٢)، اليس يدعوا ذلك الى ان نتساءل هل انشئ هذا المجمع لينظم جهود حماة العربية؟ ام انشئ ليكسب الهدم والهدامين صفة شرعية؟ وليضع على بيت حفار القبور لوحة نحاسية كتب عليها بخط عريض (طيب)، وعلى ذكر القاتل السفاح اسم (جراح) ! اليس يرضى الاستعمار عن مثل اقتراح المعلوم واقتراح عبد العزيز فهمي؟ اليس يرضى عنه العضو الانكليزي الموقر (هـ. ا. ر. جب) الذي يقرر في كتابه (الى اين يتجه الاسلام؟) عند كلامه عن الوحدة الاسلامية ان من اهم مظاهرها الحروف العربية التي تستعمل في سائر العالم الاسلامي واللغة العربية التي هي لغته الثقافية الوحيدة والاشترك في كثير من الكلمات الاصطلاحية العربية الاصل. اليس يرضى عنه الاستعمار الفرنسي الذي حارب العربية الفصحى في شمال افريقيا اعنف الحرب وضيق عليها اشد التضييق ووضع مستشرقوه مختلف الكتب في دراسة اللهجات البربرية وقواعدها لاجل حلها محل العربية الفصحى؟ اليس يرضى عنه المستشرق الالماني (كامفير) الذي

(١) الدكتور محمد محمد حسين الاتجاهات ج ٢ ص ٣٦٤

(٢) الدكتور محمد محمد حسين الاتجاهات ج ٢ ص ٣٦٣



يقرر في شماته ان تركية لم تعد بلداً اسلامياً؟ فالدين لا يدرس في مدارسها وليس مسموحاً بتدريس اللغتين العربية والفارسية في المدارس، ثم يقول ان قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الاسلامية قد اصبحت الان مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية.^(١)

الدعوة الى العامة في جامعة الدول العربية:

اسست جامعة الدول العربية في عام ١٩٤٥م وقد كانت الجهود منصبة على تأسيس جامعة الدول الاسلامية ولكن الغرب ودوله المنتصرة في الحرب العالمية الثانية حالت دون ذلك وسعت الى تأسيس جامعة الدول العربية لان الهيمنة عليها اسهل وشبيهة بموقف مجمع اللغة العربية موقف جامعة الدول العربية حيث اصدرت لجنتها الثقافية في عام ١٩٥٥م كتاباً في اللهجات واسلوب دراستها لـ (انيس فريجة) جمعت فيه المحاضرات التي القاها في معهد الدراسات العربية العالمية في ذلك العام وموضع العجب في ذلك ان الجامعة العربية هي جامعة اللغة العربية، وان اللغة العربية المقصودة هي اللغة العربية الفصحى التي تشترك فيها سائر الدول العربية وهذه اللغة العربية الفصحى هي وحدها الجامعة التي لا يستطيع ان ينكرها دعاة الشقاق ولا يستطيع ان يماري فيها اصحاب الاهواء والاغراض فاذا تفرق الناس فيها ن وذهب اكل بلد بلهجته على ما يريد المؤلف لم يستطيع بعضهم ان يفهم عن بعض فينفرط عقدهم علة ما يردي المؤلف لم يستطيع بعضهم ان يفهم عن بعض فينفرط عقدهم وهل وجد الكومون ويلث الان نتيجة اللغة الانكليزية المشتركة بين

(١) الدكتور محمد محمد حسين الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ج٢ ص ٣٦٥

دوله، ليس عجباً أن يستغل منبر الجامعة العربية لهدم الجامعة العربية، أو ليس في ذلك التناقض ما يدعوا إلى الرثاء؟^(١)

ونشرت جامعة الدول العربية محاضر جلسات المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية الذي انعقد في دمشق عام ١٩٥٦م والذي اجتمع فيه منتدبون من المجامع اللغوية العلمية في مختلف البلاد العربية فقد حضره وفد من مجمع اللغة العربية في القاهرة ووفد من المجمع العلمي العراقي ووفد من المجمع العلمي العربي في دمشق كما حضره مراقبون من الدول العربية التي لم يؤسس فيها مجامع وهي الاردن والسعودية ولبنان وليبيا وتونس وحضره وفد يمثل الامانة العامة لجامعة الدول العربية ومندوب يمثل هيئة اليونسكو (شفيق شماس).

الاعجب ان هذا الكتاب تجد فيه مواضيع مختلفة بالدعوة الى العامية والى تبديل الخط العربي وقواعد النحو والصرف والبلاغة اذ اعوزك ان تجد ذلك سافراً صريحاً فستجده مستوراً خفياً يلبس زي الناصح الغيور في مثل مقال (احمد حسن الزيات) عضو مجمع القاهرة عن مجمع اللغة العربية الفصحى والعامية ص ٨١-٨٨، ومقال (علي حسن) مندوب الاردن بين العربية الفصحى والعامية ص ١٨١ ص ١٨٤، ومحاضرة (منير العجلاني) عضو مجمع دمشق عن اثر اللغة في وحدة الامة ص ٢١٧-٢٧٧، واقتراح (ابراهيم مصطفى) في كتابة الهمزة والالف اللينة ص ١٦٠-١٦٥، ومقاله عن تيسير قواعد اللغة العربية ص ١٦٦-١٧١، ومقال (طه حسين) مدير الادارة الثقافية عن تيسير القواعد في اللغة ص ٢٢٨-٢٤٠.

ولم يشذ عن هؤلاء الاصوات الا واحد بدا وسط هؤلاء غريباً في دعوته الى الالتزام الفصحى في المدارس وفي القضاء وفي الصحافة وفي المجالس النيابية، منبهاً

(١) الدكتور محمد محمد حسين الاتجاهات ج ٢ ص ٣٦٤



الى ان هذا هو السبيل الوحيد الى علاج ما يسمونه مشكلة الفصحى والعامية ذلك بحثه اللغة العربية بين الفصحى والعامية ص ٨٩ ص ١٠٤^(١) والذي يفضح هؤلاء الناس ويكشف عن مصدر هذه الوسوس في نفوسهم وحقيقة الذي القى هذه الاوهام في رؤوسهم وحرك من الستهم ودفعتهم الى ترويجها هوانك تجد فريقاً منهم يفكرون بالانكليزية او بالفرنسية ثم يترجمون تفكيرهم الى العربية تجد ذلك في محاضرات اليس فريجة عن اللهجات واسلوب درستها التي نشرها في محاضرات (أنيس فريجة) عن اللهجات واسلوب درستها التي نشرها معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية حين يفكر للغة العربية باللغة الانكليزية ويريد ان يلبس لغتنا اثوابا لم تقدر على قدرها لم نجعل لها اذ ثبت الاصطلاح الانكليزي ثم يصطنع له اصطلاحا عربيا يقابله.

وتجده كذلك في محاضرة منير العجلاني التي القاها في هذا المؤتمر عن رابطة اللغة والامة ص ٢١٧ ص ٢٢٧ حين يصب تفكيره في قوالب فرنسية فلا يكاد ياخذ في تعريف الدولة او الحكومة او الامة او الشعب او اثر اللغة في وحدة الامة حتى يبني كلامه على راي اهيرو اورينان او ماتسيني اوفلان وفلان من اصحاب المذاهب الغربية عموما والفرنسية خاصة. و(منير العجلاني) هذا لا يعترف بان الاسلام رحم وصلة بين المسلمين وانه جامعة من اوثق الجامعات لانه يجري في تعريف القومية العربية على قياسها بمقاييس اوربا اللادينية التي روجها اليهود منذ الثورة الفرنسية اليهودية بقول عند كلامه عن الدين بوصفه عنصرا من مقومات القومية كان الدين في العصور الوسطى يجمع الشعوب ويفرقها ولكن اثره في تكوين الامم تضاعف في الزمان الحاضر وربما أسقطه غلاة القومية من حسابهم ص ٢٢٤.

(١) الدكتور محمد محمد حسين حصوننا مهددة من داخلها ص ٢٠٣.



وترديد المحاضر لاصطلاح العصور الوسطى هو اثر من اثار الاستعباد الغربي الذي يخضع له تفكيره فتعبير العصور الوسطى تعبیر اوربي يقترن في اذهان اصحابه وبالتخلف والهمجية لانه يقترن بالظلم والنظام الاقطاعي وبالرق وباستبداد الكنيسة وطغيانها والذين يفكرون برؤوس اوربية يستعملون هذا الاصطلاح بمعناه ذاك رغم الاختلاف الواضح بين ظروفنا وظروفهم فالعصور الوسطى تتقابل عندنا عصر الرسالة المحمدية وازهى عصور الاسلام فهي بالقياس الى العربي والى المسلم عصر النور والمجد والعدل في الوقت الذي يعتبرها الاوربي فيه عصر الظلام والظلم والتخلف اليس ذلك ضربا من ضروب الاستبعاد الفكري وهو شر الوان الاستبعاد؟ بل هو اخطر ما خلفه الاستبعاد الفرنسي والاستبعاد الانكليزي في الشعوب الاسلامية التي استعبدها.^(١)

خطورة الدعوة الى العامة:

ان الدعوة الى اتخاذ العامة اداة للكتابة بدلاً عن الفصحى التي مر علينا انها نودي بها في ظل الاحتلال البريطاني لمصر كانت ولم تزل من اخطر الدعوات التي يتعرض لها التراث العربي والاسلامي ذلك اذا عرفنا ان منطق الاستعمار هو (قطع صلة الشعب بماضية فعله ينسى لك الماضي ويألف الحاضر).^(٢) وان اول واجب في هذا السبيل هو التقليل من اهمية اللغة العربية وحرف الناس عنها باحياء اللهجات

(١) الدكتور محمد محمد حسين حصوننا مهددة من داخلها ص ٢٠٩

(٢) الدكتور عمر فروخ وثبة المغرب ص ٧٩

المحلية واللغات العامية حتى لا يفهم المسلمون قرآنهم.^(١) ذلك لان الدعوات التي تستهدف هدم الدين او الاخلاق قد تضل جيلا من الشباب ولكن الامل في انقاذ الجيل القادم يظل كبيراً مادام القرآن حياً مقروءاً وما دام الناس يتذوقون حلاوة اسلوبه وجمال عبارته اما الدعوة الى العامية، هذه الدعوة الخطيرة فهي ترمي الى قتل القرآن نفسه وهيئات والحكم عليه بان يصبح اثرا ميتا كاساطير الاولين اوبان يصبح اسلوبه عتيقا بالياً بتحويل اذواق الاجيال الناشئة عنه وتنشئتهم على تذوق اللوان اخرى من الاساليب المستجلبه من الغرب، بينما نجح اليهود في احياء لغتهم العبرية الميتة واتخاذها لغة للادب والحياة.

كان بعض المفتونين من العرب ينادون ولا يزالون بان اللغة العربية الفصيحة لغة ميتة وينشرون في ذلك المقالات الطوال المكتوبة بالعربية الفصيحة التي يزعمون موتها.^(٢) فالدعوة الى العامية معناها فصل الامة عن ثرائها لان اللغة العربية الفصيحة هي التي تصل الامة الاسلامية بالقران الكريم والحديث الشريف وهما المصدران الاساسيان للشريعة الاسلامية فالدعوة الى العامية اذن تستهدف في المدى البعيد فصل الامة عن دينها وشريعتها التي هي سر اصالتها وقوتها كي يتمكنوا عن هذا الطريق من اذلالها ابداً.^(٣)

يقول المبشر المسيحي (ويليم بلجراف): «متى توارى القرآن ومدنية مكة من بلاد العرب يمكننا حينذ ان نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة يعني الحضارة المسيحية التي لم يبعده عنها الا محمد وكتابه فكان بيناً انه لا يمكن ان يتوارى القران

(١) الهلال عدد يناير ١٩٢٤ ص ٣٢١

(٢) الدكتور محمد محمد حسين الاتجاهات ج ٢ ص ٣٦٥

(٣) سعدي الطويل كلمة بعنوان الدعوة الى العامية وعلاقتها بالتبشير والاستعمار



حتى تتوارى لغته ومن هنا نعرف سبب هذه الحملة الضخمة على ابعاد الفصحى واحلال العامية محلها».

ولكي ندرك خطورة الدعوة الى العامية ونفهم حقيقة مغزاها لابد لنا ان نقرنها الى امثالها من دعوات التطوير، فهم يقولون ان اللغات الاوربية قد تطورت فيجب ان تتطور لغتنا كما تطورت لغاتهم وهناك فرق بين التطور والتطوير تتطور اللغة بان تفرض عليها قوانين قاهرة هذا التطور اما التطوير فهو سعي مفتعل الى التطور هو ارادة احداث هذا التطور دون ان تكون له مبررات تستدعيه والتطور لا يسعى اليه ولا يصطنع ولكنه يفرض نفسه فلا نجد بداً من الخضوع له واي نعمة واي ميزة في تطور اللغات الاوربية حتى نسعى الى افتعال نظيره في لغتنا؟

ان هذا التطور كان نكبه على اصحابه، قطعهم امماً بعد ان كانوا امة واحدة فما زالوا في خلاف وحروب منذ ذلك الوقت ثم انه لم يحكم على تراثهم القديم المشترك وحده بالموت بل هو لا يزال يقضي بين الحين والحين على التراث القومي لكل شعب من هذه الشعوب بالموت حتى ما يستطيع الانكليزي اليوم من عامة الشعب ان يفهم لغة شكسبير الذي مات في القرن السابع عشر بينما لا يستطيع الانكليزي المثقف ان يقرأ ما قبل شكسبير مثل تشوسر ولا يقدر عليه الا القلة من المتخصصين ومثل ذلك في الفرنسية والايطالية وسائر اللغات الاوربية الحديثة.

اما نحن العرب على اختلاف اقدارنا من الثقافة فنقرأ القرآن ونفهمه الا قليلا مما ترجع صعوبته الى دقة المعاني في اغلب الاحيان ونقرأ رسائل الجاحظ واغاني الاصفهاني فلا نكاد نحس فارقاً بين اسلوبها وبين اسلوب بعض المعاصرين، فلماذا نسعى الى ان نفقد انفسنا هذه المزايا التي لم تفرض علينا فقدانها ضرورة من الضرورات؟ لماذا نحسد اوروبا التي ابتليت بذلك على مصابها ونصنع صنيع اليهود



الذين قالو لنبيهم حين مروا بقوم من الكفار عاكفين على اصنام لهم يعبدونها (اجعل لنا الها كما لهم الهة)؟^(١) ثم النظر الى الدعوة الى العامة في ظل ما نسمعه من الدعوة الى تطوير عاداتنا وتقاليدنا وتطوير ادبنا شعره ونثره شكلاً وموضوعاً واسلوباً وتطوير الحاننا واغانينا وتطوير زينا نساء ورجالا واسلوبنا وتطوير قيمنا ومثلنا الاخلاقية والاجتماعية وتطوير تشريعنا بل تطوير اسلامنا نفسه.

من اجل النظر في هذا كله وقرن بعضه الى بعض عرف ان اصل هذه الفروع واحد وان روح الدعوة فيها واحدة وان اصحابها لا يقتنعون الا بقطع كل مايربطنا باسلامنا وعروبتنا وشرقيتنا من وشائج وصلات عند ذلك نفقد طابعنا الذي يميزنا بوصفنا جماعة او قوماً او امة واذا فقدنا طابعنا فقدنا كياننا وفقدنا القدرة على التكتل والتجمع واصبح من اليسير على الشرق والغرب او كائناً من كان من خلق الله ان يلحقنا به ويجعلنا تابعين له ندور في فلكه ونسبح بحمده من دون الله.^(٢)

الصدى الذي احدثته الدعوة الى العامة:

احدثت الدعوة الى العامة صدى كبيراً في مختلف الاوساط الثقافية والادبية وتصدى لها كثيرون بالرد والاستهجان، وكان ممن كتب حولها الاستاذ (علي عبد الواحد وافي) حيث قال: «المشكلة كما يصورها بعضهم هي اننا نستخدم الفصحى في الصورة التي كانت عليها في بلاد نحد والحجاز وقت نزل القرآن على حين اننا في شؤوننا العادية نستخدم اللغة العربية في الصورة التي انتهى اليها التطور الطبيعي

(١) الدكتور محمد محمد حسين الاتجاهات ج ٢ ص ٣٦٨

(٢) الدكتور محمد محمد حسين حصوننا ص ٢٣٠



في لهجات المحادثة العامية». ولما كانت هاتان الحالتان او هاتان اللغتان تختلف كل منهما عن الاخرى اختلافاً بيناً في كثير من مظاهر اصواتها ومفرداتها ودلالة الفاظها واساليبها وقواعدها وتصريف مشتقاتها فقد ترتب على ذلك اننا نستخدم في تعبيرنا وتفاهمنا ادايتين لغويتين نلجأ الى احدهما في بعض شؤوننا والى الثانية في الشؤون الاخرى وازدواج كهذا يبدو في نظر بعض الناس بمظهر حالة شاذة لا يصح السكوت عليها وينبغي تدبير وسيلة لعلاجها هذا الى ان احدى هاتين الاداتين وهي العربية الفصحى ولا تنتقل من السلف الى الخلف في سن الطفولة عن طريق التقليد كما تنتقل العامية، وانما نتعلمها تعلماً في مراحل دراستنا كما نتعلم لغة اجنبية تقريباً ونقضي سنين طويلة في سبيل الامام بمفرداتها مناهج اصواتها وقواعدها واساليبها ولا يحتاج لنا الانتفاع بها على الوجه الكامل الا بعد ان نجتاز معظم مراحل التعليم واللغة كما نعلم وسيلة للتفاهم والثقافة والعلم لا غاية مقصودة لذاتها واضطرارنا الى قضاء هذا الوقت الطويل وبذل هذه الجهود الجبارة في سبيل الامام بالوسيلة يبدو في نظر بعض الناس اسرافاً كبيراً في الوقت والمجهود وحالة شاذة ينبغي ان تتضافر الجهود على علاجها.

وقد انقسم الناس في تدبير حل لهذه المشكلة الى فريقين يرمي كل منهما الى توحيد لغة الكتابة ولغة الحديث، اما احدهما فيرى ان تسمو بلغة الحديث الى لغة الكتابة فنعمل بخلاف الوسائل التعليمية وغيرها على ان يتكلم جميع الناس في البلاد العربية في جميع شؤونهم بالعربية الفصحى او نهذب على الاقل من لغتهم حتى تقرب من العربية الفصحى وبذلك تتوحد لغة الكتابة ولغة الحديث او تكاد. ويرى الفريق الثاني ان نهبط بلغة الكتابة الى لغة الحديث فنستخدم العامية في الشؤون التي نستخدم فيها الان العربية الفصحى ونقضي بذلك على هذا التعدد الشاذ في



اداة التفاهم ونسير على الطريق نفسها التي تسير عليها الامم المتحضرة الاوربية ونذلل امام جمهور الشعب سبل التعلم والثقافة ونوفر على المتعلمين قسطاً كبيراً من الاوقات والجهود التي يبذلونها في الاحاطة بلغة غير اللغة التي انتقلت إليهم من آباءهم في مراحل الطفولة. وكلا الحالتين يتعذر تحقيقه اوينطوي على اضرار بليغة:

أولاً: اما المهبوط بلغة الكتابة الى لغة الحديث واستخدام العامية في الشؤون التي نستخدم فيها الان العربية الفصحى فهو حل ساذج هدام لا يكاد يستحق عناء المناقشة هو الثقافة في الامم العربية، فاللغة العامية لغة فقيرة كل الفقر في مفرداتها ولا يستعمل متنها على اكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي وهي الى ذلك مضطربة كل الاضطراب في قواعدها واساليبها ومعاني الفاظها وتحديد وظائف الكلمات في جملتها وربط الالفاظ والجمل بعضها ببعض، فهي لا تقوى مطلقاً على التعبير عن المعاني الدقيقة ولا عن حقائق العلوم والادب والانتاج الفكري المنظم، ولا ادل على ذلك من اننا في حديثنا العادي نفسه كثير ما نضطر الى استخدام الفصحى عندما نكون بصدد التعبير عن حقائق منظمة وافكار متسلسلة لا نفعل ذلك للمباهاة او اظهار القدرة على التعبير الفصيح وانما نفعله مضطرين اضطراراً لاننا نرى ان العامية لا تسعفنا في مفرداتها ولا في قواعدها بما يضبط تفكيرنا وينقله نقلاً صحيحاً الى الازهان. فاذا لم نجد امامنا لا قدر الله الا اللغة العامية نستخدمها في جميع شؤون تفكيرنا وتعبيرنا لتقطت بنا اسباب الثقافة ونكصنا الى الوراء قروناً عديدة وقضي على نشاطنا الفكري قضاءً مبرماً لان الفكر اذا لم تسعفه اداة مواتية في التعبير خمدت جذوته وضعف شأنه وضاق نطاقه واقتصر نشاطه على توافه البحوث وسفاسف التأملات. هذا الى ان اصطناع العامية في الاداب والعلوم والكتابة من شأنه ان يحول بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربي المدون بالفصحى



ولسينا بحاجة الى بيان الكارثة التي تصيب الثقافة العربية بضياح هذا التراث وعدم استطاعة الانتفاع به لمعظم المتعلمين.

فضلاً عن هذا كله فان اللغة العامية في بلد ما غير ثابتة على حال واحدة بل هي عرضة للتطور الطبيعي في اصواتها ومفرداتها ودلالاتها وقواعدها. فاذا فرضنا اننا اصطنعنا في الكتابة اللغة العامية التي نستخدمها في العصر الحاضر فاننا لا نلبث بعد وقت غير طويل ان نرى انفسنا امام المشكلة نفسها التي التجأنا في حلها الى هذه الوسيلة وذلك ان لغة الحديث سوف تتطور وسوف ينالها كثر من التغيير في اصواتها ودلالاتها وقواعدها واساليبها ولن تزال كذلك حتى يبعد بعداً كبيراً عن لغة الكتابة فنصبح واذا بنا نكتب بلغة ونتخاطب بلغة اخرى فاذا صبرنا على هذا الازدواج ذهب كل ما عملناه في هذا السبيل ادراج الرياح واذا اخذنا على انفسنا العمل على القضاء عليه كلما ظهر باستخدام الوسيلة نفسها التي استخدمناها في المرة الاولى كان معنى ذلك اننا نضطر على رأس كل خمسين سنة او كل قرن على اكثر تقدير الى تغيير لغة الكتابة بلغة اخرى وهذا هو اقصى ما يمكن ان تصل اليه الفوضى في شعب انساني.

يضاف الى ذلك كله ان اللغة العامية تختلف باختلاف الشعوب العربية وتختلف في الشعب الواحد باختلاف مناطقه فالقضاء على الازدواجيه لا يكون اذن الا بان تصطنع كل منطقة بل كل مدينة بل كل قرية لغة كتابة تتفق مع لغة حديثها وبذلك يصبح في البلاد العربية الاف من لغات الكتابة بمقدار ما فيها من مناطق ومدن وقرى ولا اظن عاقلاً ينصح بمثل هذه الفوضى واذا لجأنا الى جعل لغة الكتابة في العالم العربي كله مماثلة للهِجَة واحدة من اللهجات العامية الحاضرة. فاننا بذلك لا نكون قد قضينا على الازدواج الا في منطقة واحدة من المناطق وهي المنطقة التي

جعلتنا لغة الكتابة متفقة مع لغة حديثها اما ما عداها من المناطق فستظل مشكلة الإزدواج قائمة فيها وذلك انها ستكتب بلغة غير اللغة التي يجري بها حديث اهلها.

ثانيا: واما الحل الثاني وهو الصعود بلهجة الحديث الى العربية الفصحى فهو امنية غالية ومثل اعلی يحقق التوحيد في صورة لا تنطوي على اي ضرر من الاضرار التي ينطوي عليها الحل الاول. غير ان هذه الامنية على ما بها من فضل وسمو بتعذر تحقيقها لسببين رئيسين:

السبب الأول: ان لغة المحادثة لا تفرض فرضاً، لان من سنتها التطور والتبدل ومن طبيعتها ان تختلف في كل عصر عن الحالة التي كانت عليها في العصر السابق له ولانها لا تسير في تطورها هذا وفقاً لارادة الافراد اوتبعاً للاهواء والمصادفات وانما تسير وفقاً لنواميس ثابتة صارمة لا يستطيع الافراد سبيلا الى تعويقها اوالتعلم عليها اوتغيير مجراها.

السبب الثاني: اننا اذا استطعنا ذلك وجعلنا الناس في البلاد العربية يتحدثون بالفصحى او بما يقارب منها فاننا لا نلبث ان نرى الناس وقد ابتعدوا عنها وذلك لخضوعها الى القوانين اللغوية.

فما هي الطريقة المثل اذن حل هذه المشكلة؟

الطريقة المثل: هي ان ندع الامور تجري في مجاريها الطبيعية فللغة قوانينها وللظواهر الاجتماعية نواميسها التي تسير عليها ومن ضياع الوقت في غير جدوى ان نحاول تغيير مجرى هذه القوانين اوصداها عن عملها اذ لا نستطيع الى تغييرها سبيلاً ولن نجد لستها تبديلاً، على ان اختلاف لغة الكتابة عن لغة الحديث لا ينطوي



على شيء من الشذوذ حتى نلتمس علاجاً له بل هو السنة الطبيعية في اللغات.^(١) وهكذا فان الدعاة الى العامية فشلوا وفشلت محاولاتهم الخبيثة التي طبلوها وزمروا وبقيت اللغة العربية صامدة اذ هي الوسيلة الوحيدة التي يتفاهم فيها العرب في كل مكان وزمان ويفهم بعضهم بعضاً وان تعددت هدايتهم وان تعددت لهجاتهم المحلية ويظهر هذا جلياً من اقطار شتى في مكان واحد فانهم يستعلمون العربية الفصحى للتفاهم بينهم كما شأنهم عندما يلتقون في الديار المقدسة في مكة المكرمة ومنى والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة وغيرها.

(١) مختصراً عن الدكتور علي عبد الواحد وافي فقه اللغة ص ١٤٨ وما بعدها

الفصل الرابع

محاولة كتابة العربية

بالأحرف اللاتينية

عرف الاستعمار الاوربي وَرِث الحقد الصليبي بان تقطيع اوصال العرب
والمسلمين لا يمكن ان يتم ما دام هناك عرب ومسلمون يكتبون بالحروف العربية،
ويعبرون بها عن آرائهم، وتشدد حاضرمهم بماضيهم وتجعلهم يتفهمون تراثهم من
القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة وتاريخ امتهم الطويل بما فيه من عظماء
وعلماء وعلوم وفنون وآداب وغيرها من التراث الضخم الذي خلّفته لنا الاجيال
السالفة على مختلف مراحل التاريخ والعصور. فاذا استطاعوا ان يحملوا العرب
والمسلمين على ترك الكتابة بالحروف العربية واستعمال الحروف اللاتينية مكانها
انقطعت الصلة بينهم وبين كل ذلك التراث الجم وانفصمت العلاقة تماماً بينهم
وبين الثقافة الدينية والتاريخية والادبية واللغوية، واصبحوا امة مبتورة عن كل
ماض زاهر ومجد تليد، فلا يعرفون سوى ماضي الغرب وحضارته، وبهذا يسهل
صهرهم في الفكر الاستعماري والثقافة الاستعمارية.

وستتعرف في هذا الفصل على جملة من اساليب الاستعمار في محاولة تغيير
الرسم العربي الى الرسم اللاتيني بعد ان نتعرف على اصل الرسم العربي ومحاسنه
واللغات التي تكتب بهذا الرسم.

لما كانت اللغة العربية من اللغات الحية الخالدة كان لها رسم خاص بها وهو هذه الحروف التي تكتب بها في حين ان كثيراً من اللغات البشرية عاشت حياتها معتمدة على التناقل الشفوي، ولكن ماهو اصل هذه الحروف ومن اين جاءت؟

اصل الرسم العربي:

استخدم الانسان في مجال التدوين الرسم المعنوي وهو وضع صورة خطية خاصة لكل معنى، ولكن هذا الاسلوب متعذر في كثير من المعاني المجردة وهو بطيء يتطلب وقتاً كبيراً وجهداً كثيراً، فانتقل الانسان الى استعمال الرسم الصوتي وهو وضع صورة خطية لكل صوت، وتدرج في استعمال هذا الرسم حتى استقر استعماله للحروف الهجائية.

اول من اخترع الحروف:

اما من هي اول امة استخدمت الحروف فقد وقع الاختلاف في ذلك، وهناك روايات واردة تذكر ان اول من وضع الخطوط والكتابة آدم عليه السلام، وقيل: النبي ادريس عليه السلام، وقيل: النبي سليمان عليه السلام، وقيل: أول من كتب النبي موسى عليه السلام، وحكى ان اول من كتب بالعربية ووضعها هو النبي اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام. وهناك اقوال اخرى....

يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: «ومن الراجح ان الفينيقيين هم اول من استخدم الاسلوب الهجائي. فقد اضطرهم الى ذلك نشاطهم التجاري وكثرة تنقلهم

وتعدد علاقاتهم بمختلف الشعوب فقد كانت هذه الشؤون تقتضيهم في جميع اعمالهم السرعة في الحركة والاقتصاد في المجهود وتحري وجوه الدقة. والاسلوب الهجائي هو اسرع اساليب الرسم وايسرها وادناها الى الكمال وليس من شك في انهم قد حاكوا في اسلوبهم هذا بعض ما كان يشتمل عليه الخط الهيروغليفي من صور هجائية بل انه قد ثبت انهم اخذوا اخذاً من هذا الخط ثلاثة عشر حرفاً من حروفهم البالغة اثنين وعشرين حرفاً. وقد انتشرت حروف الهجاء الفينيقية في معظم انحاء العالم القديم واستخدمها كثير من شعوبه ومنها تفرعت بشكل مباشر او غير مباشر جميع حروف الهجاء التي استخدمت فيما بعد في مختلف اللغات الانسانية»^(١).

بينما يعتبر الدكتور احمد سوسة ان الكنعانيين هم اول من استخدم الحروف الهجائية ومنهم انتقلت الى الفينيقين وغيرهم، فقد كتب تحت عنوان (العرب مخترعوا الحروف الهجائية (الابجدية)): «لقد اعتبر العلماء اختراع الحروف الهجائية (الابجدية) من اعظم المخترعات التي اوجدها العقل البشري بل من اجل البركات التي هبطت على البشرية في مسيرتها نحو التقدم الحضاري...»، الى ان قال: «والفضل في ذلك كما ثبت يرجع الى الثقافة العربية التي نمت وازدهرت على يد الاقوام العربية التي نزحت من جزيرة العرب واستقرت في بلاد الهلال الخصيب منذ اقدم العصور».

ومن المتفق عليه الان ان الكنعانيين كانوا اول من استعمل الحروف الهجائية في الكتابة ومنهم انتقلت الى الفينيقين الذين نقلوها بدورهم بين سنة ٨٥٠ - ٧٥٠ ق.م. الى الاغريقية واللاتينية^(٢). وصارت تعرف في اليونانية باسمها العربي

(١) علم اللغة ص ٢٤٨، فقه اللغة ص ٣١ وكلاهما للدكتور علي عبد الواحد وافي

(٢) T.H.Gaster, «Canaan» Enc.Brit, ١٩٦٥, ٤, ٧٠١, PV٢٨.

(الالفباء) Alphabet وقد احتفظ اليونانيون بنفس الترتيب الذي وضعه الفينيقيون من حيث تسلسلها ومن حيث طريقة كتابتها من اليسار الى اليمين وفق الطريقة الفينيقية الاصلية.^(١) ويؤكد (داير نجر): ان مصدر اختراع الابدجية Alphabet يرجع الى منطقة فلسطين وسورية وهي تنفرد بين جميع مناطق الشرق الادنى في هذا الاختراع الذي يمثل شبه جسر يجمع بين حضارتي مصر وبلاد الرافدين.^(٢)

ويعبر الخبراء كيفية نشوء فكرة الاخذ بالاحرف بدلاً من الصور هو ان الكنعانيين الذين كانوا يعملون في مناجم طور سيناء اهتموا الى التدوين بالاحرف الابدجية بان اختزلوا الكتابة الهيروغليفية التي تشير الى المعاني ومقاطع الكلمات بصور واشارات واكتفوا بالحروف الاولى من اسماء الصور فتكونت عندهم مجموعة من الحروف كوّنت الابدجية الاولى، فاخذوا مثلاً صورة رأس الثور عن الهيروغليفية، فاغفلوا لفظها في اللغة المصرية واطلقوا عليها ما يقابله في لغتهم الخاصة بهم فصارت هذه العلامة الالف، وعلى هذا النمط عاجلوا صورة البيت فاطلقوا عليها ما يقابله في لغتهم واعتمدوا على الحرف الاول من اسمها وهو الباء، وهكذا دواليك فتكونت من هذه الحروف الابدجية وهي مؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً وقد انتشرت هذه الابدجية التي تعد اقدم ابدجية معروفة حتى الآن شرقاً وشمالاً وجنوباً فصارت اصل الابدجيات في هذه الاماكن بعد ان تطورت في كل منها حسبما اقتضته طبيعة لغة اهله، فمنهم من حافظ على شكلها الاصلي كما وضعت في الاصل، ومنهم من غير فيها وازاد اليها او نقص منها.^(٣)

(١) الدكتور احمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ ص ١٣٠

(٢) Diringer, «Writing» P.I. ٢٠. نقلاً عن اليهود في التاريخ ص ١٣١

(٣) الدكتور احمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ ص ١٣٢



وبعد ان انتقلت في ارجاء الجزيرة واطرافها تطورت الى عدة ابجديات ثم عادت فاستقرت في قلب الجزيرة في شكلها الاخيرة (عربية القران الكريم) الماخوذة عن النبطية المتاخرة لان العرب الشماليين اخذوا خطهم من الخط النبطي الذي هو شكل من اشكال الخط الارامي وهذا هو الخط الذي كتب فيه القران الكريم وتطور عنه الخط العربي الحديث، يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: «وقد انبثقت هذه الحروف من الخطب النبطي والخط السرياني»^(١)، وهناك رأي يقول ان سلسلة الخط العربي على رأي رواة العرب كما يأتي:

١. الخط المصري

٢. الخط الفينيقي

٣. الخط الارامي

٤. الخط المسند وهو اربعة انواع الخط الصفوي نسبة الى صفا، الخط الثمودي بالنسبة الى ثمود، الخط اللحياني نسبة الى بني لحيان والخط السلمي او الحيري.

وباجماع رواة العرب ان الخط العربي ماخوذ من الخط الحيري والانباري وهذان مأخذوان من الخط المسند المذكور.^(٢)

ولا شك ان الرسم العربي قد تناولته يد الاصلاح اكثر من مرة من قبل الاسلام ومن بعده وقد مر بادوار عدة من التطورات حتى بلغ ما هو عليه الان من سهولة والجمال وهو اصلح الخطوط للزخرفة والزينة وقد رأينا من آيات واحاديث وحكم واشعار كتبت بصورة فنية اخاذه بالخط الكوفي او النسخ أو غيرهما فجمعت الى

(١) علم اللغة ص ٢٤٩

(٢) المعلم الجديد م ٢٦ حراه سنة ١٩٦٢ كلمة بعنوان الخط العربي يحي سلوام العباسي

جمال المعنى جمال الشك والتأثير النفسي.^(١) وإياً كان قول المؤرخين والرواة فهذه المسألة مسألة الابدعية من المسائل التي لا حاجة بها الى التاريخ والرواية لان اسماء الحروف واشكالها ومعانيها شاهدة بانتقالها من المصادر العربية سواء كانت فينيقية او ارامية او يمنية من الجنوب فالابدعية تسمى عند اليونان بـ (الافاييتا) وتبدأ بالاف والباء والتاء ثم تتوالى فيها حروف كثيرة بلفظها العربي في العصر الحاضر على وجه التقريب وليس لاسماء الحروف معان مفهومة في اللغة اليونانية فضلاً عن اللهجات العربية الغابرة واقرب هذه الحروف الى المعاني العربية الشائعة في ايامنا حرف الباء من بيت وحرف الجيم من جمل وحرف العين من عين وحرف الفاء من فم وحرف الكاف من كف وحرم الميم من ماء وحرف الياء من يد واشكالها المرسومة قريبة من اسمائها الاولى كما يرى في شكل البيت وشكل رقبة الجمل وشكل العين وشكل الفم وغيرها من الاشكال. واذا رجعنا الى نطق اسماء الحروف كما شاعت اول استعمالها في البلاد العربية تبين العلاقة بين اشكالها ومعانيها جميعا بغير استثناء حرف واحد من الحروف فكلها اوائل كلمات مفهومة من بقايا الكتابة التصويرية التي ترسم الشكل كله وتاخذ من الكلمة حرفها الاول عند الكتابة بالحروف.^(٢)

اللغات التي تكتب بالحروف العربية:

ليست اللغة العربية هي وحدها التي تكتب بهذه الحروف العربية بل ان اكثر لغات المسلمين وغيرهم تكتب بالحروف العربية نفسها وما ذلك الا لسهولة

(١) الدكتور احمد حسن الرحيم اصول تدريس اللغة العربية والتربية الدينية ص ٩٢

(٢) عباس محمود العقاد - الثقافة العربية ص ٢٩.



وجماها ودقتها. ولهذا فليس اعتباطاً ان سبعة وثلاثين بلداً في آسيا وافريقيا واوروبا تكتب لغاتها بالحروف العربية.^(١) منها مجموع اللغات التركية ومجموع اللغات الهندية ومجموع اللغات الفارسية ومجموع اللغات الافريقية واللغة العربية وهو خاص بها، والكتابة بالخط العربي عامة بين سائر المسلمين الذي يقرأون القرآن وكانت اللغة العربية تنتشر مع فتوحات العرب فاينما حل العرب حلت لغتهم وبادت اللغة الاصلية والخط العربي ينتشر معها جنب الى جنب.^(٢)

وان كثرة اللغات التي تكتب بالحروف العربية دليل على مكانتها العظيمة في قلوب تلك الامم المنتشرة في اسيا وافريقيا واوروبا واليك قائمة باسماء اللغات التي تكتب بالحروف العربية: في قارة آسيا: (١) اهندستانية (٢) الداخينية (٣) الكشميرية (٤) البنجابية (٥) البلتية (٦) السندية (٧) الليلية (٨) الاوردية (٩) الميلاامية (١٠) الكورازية (١١) الملاتانية (١٢) الازبكية تركستان واسيا المركزية (١٣) الجاكاتية تركستان الروسية (١٤) الكرغيزية تركستان الصينة واسيا المركزية الروسية سييرية الغربية (١٥) الكشغرية تركستان الصينية (١٦) الجاوية (١٧) السندانية جاوة الغربية (١٨) المالائية ماليزيا والجزر الفلبينية (١٩) السولية (٢٠) التركية القديمة (٢١) الايرانية (٢٢) الازرباجانية (٢٣) الكردية (٢٤) الافغانية (٢٥) البالوتشية (٢٦) البراهوية. في قارة افريقية: (١) الهوسائية نيجرية وغيرها (٢) الغولية غينيا (٣) البحارية (٤) السواحلية افريقيا الشرقية (٥) الشلهائية جنوب مراكش (٦) القبائلية في انحاء من الجزائر (٧)

(١) المعلم الجديد م ٢ ج ٣ سنة ١٩٦٢ ص ٦٣ كلمة بعنوان اللغة العربية وفاعليتها في عالم اللغات

صادق عبد الصاحب التميمي

(٢) المعلم الجديد م ٢٦ ج ١٠، ٢ سنة ١٩٦٣ ص ١٥٠ كلمة بعنوان الخط العربي تاريخه وانواعه

يحيى سلوم العباسي

الفاديجية في حوض النيل بين در وكرمة (٨) الغينية في الفريقيا القغربية . في قارة
اوروبه: (١) القازانية روسيا الشرقية (٢) النوكائية روسيا الجنوبية (٣) الكوموكية
ساحل بحر الخزر.^(١)

قال السيد رونلدستور: «وأثار اللسان العربي موجود في كل لسان تقريباً واعظم
ما تكون ظهوراً في اللغة الاسبانية وخصوصاً في الاعلام ان اللغة العربية تأخذك
من حدود ايران الى المحيط الاطلسي مارة في بلدان من اعجب البلدان وفي رواق
لعله اعظم الاروقة شأناً وهذه اللغة من اغنى اللغات ثروة وادقها ترتيباً واعظمها
رنة وجرساً وواقعها تعبيراً من بين وسائل التفكير التي افرغت على شفاه الناس
والعرب يفخرون بلغتهم البديعة ولا سيما بالقران الكريم الذي يلغت به اوجها
ويعده المسلمون والمسيحيون على السواء غاية البلاغة العربية».^(٢)

وقال (ه.ا.ر. جب) الانكليزي في كتابه (الى اين يتجه الاسلام؟) عند كلامه عن
الوحدة الاسلامية ان من اهم مظاهرها التي هي لغته الثقافية الوحيدة والاشترك
في كثير من الكلمات الاصطلاحية العربية الاصل.

ولقد ظهرت شماتة الاعداء عند ما خرجت تركية الكمالية على الكتابة بهذه
الحروف العربية كما جاء على لسان المستشرق الالماني (كامفماير) الذي يقرر في شماته
ان تركية لم تعد بلداً اسلامياً فالدين لا يدرس في مدارسها وليس مسموحاً بتدريس
اللغتين العربية والفارسية في المدارس ثم يقول: «ان قراءة القران العربي وكتب
الشريعة الاسلامية قد اصحبت الان مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية
بالحروف العربية».

(١) امين الله عيروض اللغة الخالدة نقلا عن المدخل الى العربية ص ١٥-١٦

(٢) المدخل الى العربية محمد بدر الدين ابوصالح ص ١٦



قول طاهر احمد الطناحي في مقال له عنوانه (هل يمكن اصلاح الحروف العربية): «وقد انتشرت الحروف العربية بانتشار الحضارة الاسلامية وكتبت بها اللغات التركية والفارسية والاوربية والافغانية والكردية والتترية والمغولية والبربرية والسودانية والزنجية والساحلية كما كتبت بلها لغة اهل الملايو وغيرهم ممن يبلغون نحو ٢٥٠ مليون ماعدا نحو تسعين مليوناً يكتبو اللغة العربية بالخط العربي واذا استثنينا اتراك الاناضول الذين استخدموا الحروف اللاتينية بدلا الحروف العربية الان بقي عندنا هذه الامم الكثيرة التي تكتب بالحروف العربية الحالية منذ نحو الف سنة، وقد دونت بها ادابها وعلومها وفنونها»، ثم يتساءل الكاتب: «فهل يمكن اصلاح الحروف العربية بعد هذا التطور الذي انتهت اليه بالحضارة الاسلامية؟ لقد رأيت كيف اشتقت هذه الحروف وكيف تطورت حتى وصلت الى ما هي عليه الان وقد كتبت بها العلوم والاداب وسائر الفنون في الامة العربية وفي تلك الامم التي انتشرت فيها الحضارة الاسلامية منذ ذلك التاريخ. وكيف تطورت حتى وصلت الى ما هي عليه الان، وقد كتبت بها العلوم والاداب وسائر الفنون في الامة العربية وفي تلك الامم التي انتشرت فيها الحضارة الاسلامية منذ ذلك التاريخ»^(١).

وتعتبر اللهجة المالطية وهي لغة عربية مشتقة من اللهجة العامية المغربية السائدة في شمال (افريقية) هي اللهجة العربية الفذة التي تدون بحروف لاتينية.^(٢)

وقد بلغت الحضارة الاسلامية في عواصم اسيا الوسطى في سمرقند وطاشقند وبخارى وخوارزم في العهد العباسي مكاناً رفيعاً ها هي معاهد العلم في كل بقعة،

(١) الدكتور محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر (ج ٢) (ص ٣٧٩)

(٢) الدكتور علي عبدالواحد وافي - فقه اللغة (ص ١٥٧)

وها هي الاربطة^(١) لتعليم الاولاد في كل حي وضيفة واما حلقات الدروس فهي في كل محل، ولقد بنيت المساجد يرتفع من ماذنها نداء التوحيد، كما انتشرت اللغة العربية انتشاراً واسعاً بين السكان حتى اليوم يتقن اللغة العربية اتقاناً ويجيدها اجادة تامة كما ان السكان اصبحوا يفضلون التحدث بهذه اللغة الشريفة.^(٢)

جمال الحروف العربية والعناية بها:

تمتاز الحروف العربية بجمالها وسهولتها ودقتها وابداعها وتفتننها الى حروف منفصلة وحروف متصلة فالحرف الواحد يتخذ اشكالا حسب موقعه في اول الكلمة او في وسطها او في اخرها. يقول احمد شوقي:

ان الذي ملأ اللغات محاسنا
جعل الجمال وسره في الضاد

قال الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام لكاتبه عبيد الله بن ابي رافع: (اللق دواتك، واطل جلفه قلمك^(٣))، وفرج بين السطور، وقرمط بين الحروف، فان ذلك اجدر بصباحة الخط).

وقد بلغ من عناية العرب بالحروف العربية انهم اذا كتبوا كلمة اجنبية تحتوي على بعض الحروف التي لانظير لها في العربية، ابقوا ذلك الحرف مهماً عن الدلالة

(١) الاربطة جمع رباط

(٢) محمد اسد شهاب - كفاح تركستان ضد الاستعمار الروسي ص ١٦ طبع بيروت ١٩٧١ م.

(٣) الاقة الدواة: وضع اللققة فيها جلفه القلم: بكسر الجيم ما بين مبراه وستة القرمطة بين الحروف: المقارنة بينها وتضييق فواصلها.



الكتابية، وبعضهم يرسمه بشكل الحرف الذي يكتنفه من العربية قبله وبعده، وفي ذلك تغيير للحرف من اصله، واخرون يرسمون الحرفين الذين يكتنفانه ليتوسط القارئ بالنطق به بين مخرجي ذينك الحرفين فتحصل تأديته.

قال ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان (تصوير الحروف التي لا مقابل لها في العربية): «اعلم ان الحروف في النطق هي كيفيات للاصوات الخارجة من الحنجرة، تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة واطراف اللسان مع الحلق، والحنك، والاضراس، او بقرع الشفتين ايضاً. فتتغير كيفيات الاصوات بتغير ذلك القرع، وتجيء الحروف متميزة في السمع، وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر. وليست الامم كلها متساوية في النطق بتلك الحروف فقد يكون لامة من الحروف ما ليس لامة اخرى، والحروف التي نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفاً كما علمت، ونجد للعبرانيين حروفاً ليست في لغتنا، وفي لغتنا ايضاً حروف ليست في لغتهم، وكذلك الافرنج، والترك، والبربر، وغير هؤلاء من العجم. ثم ان اهل الكتاب من العرب اصطلحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة باوضاع حروف مكتوبة متميزة باشخاصها، كوضع الف وباء وجيم وطاء الى اخر الثمانية والعشرين. واذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم، بقي مهملاً عن الدلالة الكتابية، مغفلاً عن البيان. وربما يرسمه بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يكتنفه من لغتنا قبله وبعده، وليس ذلك بكاف في الدلالة، بل هو تغيير للحرف من اصله». ثم يواصل ابن خلدون كلامه فيقول: «ولما كان كتابنا مشتملاً على اخبار البربر، وبعض العجم وكانت تعرض لنا في اسمائهم او بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا، ولا اصطلاح او ضاعنا، اضطررنا الى بيانه. ولم نكتف برسم الحرف الذي يليه، كما قلنا، لانه عندنا غير واف بالدلالة عليه، فاصطلحت في كتابي هذا على

ان اضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين الذين يكتنفانه، ليتوسط القارئ بالنطق به بين مخرجي ذينك الحرفين، فتحصل تأديته، وانما اقتسبت ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاشام (كالصراط) في قراءة (خلف)، فان النطق (بصاده) فيها مفخم متوسط بين الصاد والزاي. فوضعوا (الصاد) ورسموا في داخلها شكل (الزاي) ودل ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين. فكذلك رسمت انا كل حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا، كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم او القاف مثل اسم (بلكين) فاضعها كافاً وانقطها بنقطة الجيم واحدة من اسفل، او بنقطة القاف واحدة من فوق او اثنين^(١) فيدل ذلك على انه متوسط بين الكاف والجيم والقاف، وهذا الحرف اكثر ما يجيء في لغة البربر. وما جاء من غيره. فعلى هذا القياس اضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا، بالحرفين معاً، ليعلم القارئ انه متوسط فينطق به كذلك، فنكون قد دللنا عليه ولو وضعنا برسم الحرف الواحد عن جانبيه لكننا صرفنا من مخرجه الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا لغة القوم. فاعلم ذلك، والله سبحانه الموفق لا رب غيره^(٢).

وكانت عناية المسلمين من غير العرب بالحروف العربية بادية فضلاً عن عناية العرب انفسهم فقد عرف العثمانيون الاتراك بتحسين الخط العربي ونقشه وتذهيبه حتى ان سلاطينهم اتخذوا لانفسهم خطاطين خاصين بهم وكان الخطاط يتقاضى

(١) الاشام: مصدر اشم الحركة اي اشار اليها دون ان بصوت بها ويختص عند القراء والنحاة بالحركات وذلك بان تضم الشفتان بعد الاسكان في المرفوع والمضموم للإشارة الى الحركة من غير صوت، وقد يقابل ذلك ما يمثلونه في اللغة الفرنسية بحرف (لاتيني) اي خرساء. اما ابن خلدون فهو يطبق الاشام على الحروف فيكون المقصود في عبارته: الاشارة الى حرف دون لفظه كما يشرح في المثل اعلاه. (من الاصل)

(٢) الروائع - سلسلة - ١٣ - ابن خلدون مقدمة المقدمة، طبع بيروت عام ١٩٢٧ (ص ٣٥)



راتباً عالياً، واشتهر منهم (يسار افندي) و (مصطفى الراقم) و (الحافظ عثمان) الذي كتب خمسة وعشرين مصحفاً... وغيرهم. واستمرت بهم الحال كذلك الى ان استبدل (أتاتورك) الخط العربي بالحروف اللاتينية سنة ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٨ م دون ذنب جناء الخط العربي.^(١)

بداية الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية:

بدأت الدعوة الى كتابة العربية بالحروف اللاتينية جنباً الى جنب مع الدعوة الى العامية واول ما قام بذلك مستشرقون غربيون، وقد اقترحوا كتابة العامية التي يدعون اليها بحروف لاتينية، واول اقتراح في ذلك قام به الدكتور (ولهم سيبتا) المستشرق الالماني الذي كان مديراً لدار الكتب المصرية في عهد الاحتلال البريطاني لمصر في كتابه (قواعد العربية في مصر) الذي ظهر سنة ١٨٨٠ م باللغة الالمانية وفيه وضع اول اقتراح لاتخاذ الحروف اللاتينية للكتابة العامية. تلك الحروف التي نودي باستخدامها فيما بعد بكتابة العربية الفصحى.^(٢) وكذلك الدكتور (كارل فولرس) وهو من زملاء (سيبتا) في كتابه (اللهجة العربية الحديثة في مصر) الذي ظهر بالالمانية سنة ١٩٨٠ م ثم ترجم الى الانكليزية سنة ١٨٩٥ م وقد نهج فيه نهج زميله فاستنبط حروفاً لاتينية لكتابة العامية، ودرس قواعد واورد كثيراً من نصوصها.^(٣)

(١) المعلم الجديد (م ٢٦)، (ج ١٠٢)، (ص ١٥٢) كلمة بعنوان الخط العربي تاريخه وانواعه ل (يحيى سلوم العباسي).

(٢) الدكتور نفوسة ذكريا سعيد - تاريخ الدعوة الى اتخاذ العامية واثارها في مصر (ص ١٨)

(٣) الدكتور نفوسة ذكريا سعيد - تاريخ الدعوة الى اتخاذ العامية واثارها في مصر (ص ١٨).

وكذلك (ولمور) في كتابة عن اللغة المصرية (لاتيني) ذ سبوكن اريك اف ايجيبت) الذي صدر سنة ١٩٠٢م واقترح فيه الى جانب الاخذ بالعامية كتابة هذه العامية بالحروف اللاتينية.^(١)

وكان زعيم الحركة الرامية الى الكتابة بالعامية وبالحروف اللاتيني الاستعماريون الفرنسيون وعلى رأسهم المستشرق الفرنسي والموظف في قسم الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية (لويس ماسينيوس) الذي حاول ان ييث دعوته في الغرب وفي مصر وفي سورية ولبنان خاصة.^(٢) وكذلك (فيلوت) و (باول) في كتابها (المقتضب في عربية مصر) الذي ظهر في مصر سنة ١٩٢٦ م حيث كان احد مؤلفيه قاضياً بالمحاكم الاهلية بالقاهرة، وكان نهجها في هذا الكتاب هو ذكر الكلمة العامية مكتوبة بالعربية ثم بحروف لاتينية مع ترجمة لها بالانكليزية مثل: ربطة: (لاتيني) زائتا: (لاتيني) نويس، وهكذا فعلا في الجمل، فكانت هذه محاولة عملية لتسهيل دراسة ما يدعون اليه.^(٣) وكذلك الاب (روفائيل نخلة) في كتابه (قواعد اللهجة اللبنانية السورية) حاول وضع قواعد ثابتة لهذه اللهجة والكتاب موضوع بالفرنسية والنصوص العربية منسوخة بالحرف اللاتيني والكتاب طبع بالمطبعة اليسوعية ورقمه في قائمة المطبوعات اليسوعية ٢٩٦ (ص ٣٣)، قائمة ١٩٥٠.^(٤) وبعد ذلك تلقفها كتاب (عرب) ولكنهم لم يتصلوا بالعروبة بسوى الاسم اما ثقافتهم واما ميولهم واتجاهاتهم، واما اذواقهم فهي غريبة محضة.

(١) مجلة المقتطف (ص ١٨٧).

(٢) التبشير والاستعمار (ص ٢٢٤).

(٣) تاريخ الدعوة الى اتخاذ العامية - الدكتور نفوسة (ص ١٨).

(٤) التبشير والاستعمار (ص ٢٢٤).



ومن هؤلاء الدكتور انيس فريجة^(١) في كتابه (تبسيط قواعد العربية وتبويبها على اساس منطقي جديد)، اما الاساس الجديد الذي يقترحه انيس فريجة فهو موضع جدال كبير، وانا اعتقد انه في بعض الاماكن يعقد ما كان الى الان سهلاً في الصرف والنحو، فنحن المتشددون نقتصر في ادوات الجواب على كلمتين: (نعم ويلي) لما بينهما من الاختلاف في المعنى، ولان لهما قائدة عملية في قراءتنا وكتابتنا، اما الدكتور انيس فريجة فيدخل هاتين الاداتين في باب (حروف تشترك بين الاسم والفعل) ثم يعدد منها ستاً هي: نعم، بلى، اي، اجل، جير (مماثلة)^(٢)، جلل (مماثلة)^(٣).

ولكن يبدو ان الدكتور انيس فريجة يريد امراً اخر، انه يريد ان يجعل من اللغة العربية الفصحى والحرف العربي مشكلتين يستحيل حلها، ولذلك فهو يرى ان ينتقل العرب الى الكتابة في العامية وبالحرف اللاتيني، انه يبسط رأيه هذا على منحنى كبير وبشيء من التهكم كان يجب ان يترفع عنه من يدعوا الى (اساس منطقي)! انه يقول: «يطالب مثلاً، بعض الناس بتبني الحرف اللاتيني تسهلاً للقراءة وتخفيفاً لفنقات الطباعة، ونحن من المؤمنين بهذه الطريقة، ولا نرى حلاً للكتابة الا بتبني الحرف اللاتيني وضبط الكلمات فيه مرة واحدة (!)».

واما الذين لا يرون مشكلة في الامر، وهم من لم يارسوا التعليم (!) فيقولون: «هؤلاء جماعة خارجون على العروبة والاسلام». ويطالب بعض الناس بتيسير قواعد اللغة لتقرب من العامية، او لرفع العامية لتقرب من الفصحى، فيتساءل البعض الاخر: «وهل العربية معقدة لنبسطها او عسيرة لنسهلها؟! انها انتم جماعة

(١) احد اساتذة التاريخ واللغات السامية في الجامعة الامريكية في بيروت

(٢) يقصد بكلمة (مماثلة) انها لا تستعمل اليوم.

(٣) الدكتور انيس فريجة - تبسيط قواعد العربية وتبويبها على اساس منطقي جديد (ص ٧)



خارجون على العروبة والاسلام!». (١) وهناك اخوان لنا في الجامعة الامريكية يرون رأي الدكتور فريجة، ولكننا لن نثبت رأيهم هذا لانهم لم يكتبوه بعد، فالدعوة الى العامة والى الحرف اللاتيني قد انتقلت الان من اليسوعيين الى الجامعة الامريكية. (٢) ومن هؤلاء (عبد الرحمن بدوي) الذي يدعوبدعوة مجرمة لقطع الصلة بين الامة ودينها فينادي: «يجب ان نبدل حروف لغتنا العربية بحروف لاتينية، بحجة تسهيل تعلمها وتبسيط قراءتها وكتابتها». (٣) ومن هؤلاء (عبد العزيز فهمي) (٤) الذي تقدم باقتراح على المجمع كتابة العربية بالحروف اللاتينية وشغل المجمع ببحث اقتراحه عدة جلسات امتدت خلالت ثلاث سنوات ونشر في الصحف وارسل الى الهيئات العلمية المختلفة، وخصصت الحكومة المصرية جائزة مقدارها الف جنيه لأحسن اقتراح في تيسير الكتابة العربية. (٥) ومن هؤلاء (احمد لطفي السيد) (٦) فهو وان لم يدع الى كتابة العربية بالحروف اللاتينية ولكنه خطى خطوة الى ذلك، حيث اقتراح سنة ١٨٩٩م لاصلاح الخط العربي بادالة بالحروف على الحركات فتكتب (ضرب) ضاربا، وبأثبات التنوين ورسمه بالكتابة فتكتب (سعد) هكذا: (ساعدون) بالرفع و(ساعدان) بالنصب و(ساعدين) بالجر، وبفك الادغام فتكتب (محمد) هكذا:

(١) انيس فريجة - تبسيط قواعد اللغة

(٢) التبشير والاستعمار (ص ٢٢٦)

(٣) محمد بدرالدين ابو صالح - المدخل الى اللغة العربية (ص ١٨١)

(٤) عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة تقدم بهذا الاقتراح في جلسة ١٩٤٣/٥/٣

(٥) راجع مجلة مجمع اللغة العربية في مصر (ص ١٨)، (ص ٨٥)، (١٧٠) من الجزء السادس الطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٥١ م.

(٦) من اول الداعين الى تمصير اللغة العربية. ومن اعجب العجب انه اصبح رئيساً لمجمع اللغة العربية في مصر. لاحظ الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر (ج ٢) (ص ٣٧١)



(محمادون) في الرفع و(موحامادان) في النصب و (موحامادين) في الجر.^(١) وهذه الطريقة التي يقترحها (احمد لطفي السيد) معناها مجارات الطريقة اللاتينية في الكتابة، لان الحركات الاعرابية في اللاتينية تكتب على شكل حروف ضمن الكلمة. ويظهر من (احمد لطفي السيد) ومن على شاكلته انهم يخافون الرأي العام ضدهم، ان هم صرحوا بالدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية، لذا فانهم يقترحون تطوير الكتابة بالشكل الذي مر آنفاً، والدليل على ذلك قول (محمد احمد خلف الله) في صدد ما اسماه مشكلة الخط العربي: «ويبدو من المحتمل ان يقبل الرأي العام اقتراحاً للاصلاح يقوم على الاحتفاظ بالطريقة العربية في الكتابة مع اضافة احرف جديدة للحركات القصيرة، تدخل بها الحركات في صلب الكلمة على نظام الكتابة الغربية».^(٢) ولكن الحروف العربية ليست في حاجة الى كثير من الاصلاح فهي من اكثر الحروف سهولة ودقة وضبطاً في القواعد، ومطابقة للنطق.^(٣)

ان لجمود الرسم العربي على حالته القديمة او ما يقرب منها بعض فوائد جديدة بالتنويه فهو يوحد شكل الكتابة في مختلف العصور ويسهل تناقل اللغة، ويمكن الناس في كل عصر من الانتفاع بمؤلفات سلفهم واثارهم فلو كان الرسم يتغير تبعاً لتغير اصوات الكلمات لاصبحت كتابة كل جيل غريبة على الأجيال اللاحقة له، ولاحتاج الناس في كل عصر الى تعلم طرق النطق والامام بحالة اللغة في العصور السابقة لهم حتى يستطيعوا الانتفاع بمخلفات ابائهم. هذا الى ان جمود الرسم على

(١) الاتجاهات (٢) (ص ٣٧٩)

(٢) الدكتور محمد محمد حسين - حصوننا (ص ٢٧٢)، الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة (ص ٥٤٧).

(٣) علم للغة (ص ٢٥٣) فقه اللغة (٢٣٥) وكلاهما للدكتور علي عبدالواحد وافي



حالته القديمة يفيد الباحث في اللغات اكبر فائدة فهو يعرض له صورة صحيحة لاصول الكلمات ويقفه على ما كانت عليه اصواتها في اقدم عصور اللغة فالرسم للالفاظ اشبه شيء من هذه الناحية بالمتحف لللاثار.^(١)

هذا والدعوة الى كتابة العربية بالحروف اللاتينية لقيت اعراضاً في اول الامر ولما كثر الكلام فيها، وظهرت خطورتها، وهاج الناس ضدها، وهاجموا الداعين اليها هجوماً شديداً، فعندها سألت مجلة الهلال^(٢) في سنة (١٩٣٢) ثلاثة من المشتغلين بالدراسات العربية هذا السؤال: هل ينبغي تغيير الحروف العربية؟ وقدم المحرر الاجاباتهم بقوله: «وفد على مصر في الشهر الماضي العلامة اللغوي الاب انستاس الكرمل^(٣). فataحت الفرصة لاحد محرري الهلال الاجتماع به، فدار الحديث حول شؤون كثيرة تتعلق باللغة العربية، وكان اهم ما تناوله الحديث مسالة اصلاح الحروف العربية حتى تسهل القراءة بها (!) فاطلعنا جنابه على طريقة ابتكرها لاصلاح هذه الحروف فاحببنا ان نطلع القراء عليها، وطلبنا ان يوافينا برأيه في هذا الموضوع، كما طلبنا الى عالين جليلين ان يقولوا كلمتهما في هذا الموضوع ايضاً وهما الاستاذ (محمد فريد وجدي) والاستاذ (محمد مسعود) وسيرى القارئ في هذه الردود الثلاثة اراء مختلفة، له ان يجذب منها ما يشاء».

اما (انستاس الكرمل) فهو يبدأ اجابته بانه يرفض كتابة اللغة العربية بحروف غير حروفها لان ذلك يقطع الصلة بيننا وبين تراث اجدادنا ولكنه لا يلبث ان يقترح

(١) علم اللغة (٢٥٤).

(٢) الهلال (س ٤٠) (ص ١٣٨٥) - (ص ١٣٨٩)

(٣) انستاس الكرمل - ولد ١٨٦٦ توفي ١٩٤٧ وهو راعب وعضوالمجمع العلمي العربي صاحب مجلة (لغة العرب)



بعد ذلك وضع الحركات في صلب الكتابة وتصوير الفتحة والكسرة والضمة بالف وياء وواو مشطورة بخط، كما يقترح اشكالا جديدة للحركات الاوربية التي لا نظير لها في العربية مثل حروف ((لاتيني) او ، اي ، يو) وبذلك نرى انتهى الى مخالفة ما بدأ به. اما محمود مسعود، فهو يعارض انستاس اشد المعارضة ويرى ان في الحروف العربية ميزة لا تتوافر في غيرها من اللغات وهي الاختصار فيقول: «ان اقل المام بقواعد اللغة يغني القارئ عن الشكل الكامل، فلا يحتاج الا الى بعض الحركات توضع على حرف واحد او حرفين في كل بضع كلمات مرشداً الى الصواب في النطق وواقعياً على كل حال من مزالق الاخطاء». وهو يبين ما يترتب على تنفيذ اقتراح انستاس من تعقيد واضرار فمن ذلك تضخيم الكتب المطبوعة، والاضطرار الى تغيير حروف الطباعة، وهو بعد ذلك لا يرى ضرورة لمحاولة ايجاد مصطلحات كتابية لتصوير الحركات الاوربية التي لا مقابل لها في العربية، فالعربية نفسها فيها من الحروف ومن الاصوات ما لا يوجد له نظير او مقابل في اللغات الاوربية. ثم يقول متسائلاً: «دع كل اولئك وقل لي فيما لو اخذ باسلوب الاب المحترم ما يكون الشأن بازاء القرآن الكريم؟ يطبق عليه وهو حرم مقدس منيع لا تتناوله طوارئ التبديل والتغيير؟ ام لا يطبق فتكون في اللغة طريقتان لتصوير الكلمات العربية ولفظها لا ائتلاف بينهما ولا اتصال فتقطع بلغة العرب الاسباب وينثلم جدار القومية العربية وتحل اواصر الدين بل وتعمل فيه معاول الهدم والتدمير؟».

أما فريد جدي فهو يسلم بان الكتابة العربية تحتاج الى تعديل يحفظ قراءها من ان يذهب كل قارئ منهم مذهباً خاصاً به في قراءة كلماتها. وهويبين صعوبة الشكل على عمال المطابع، وما يستنفد من جهدهم وجهد المصححين. والكتاب لا يدعوصراحة للاخذ بالحروف اللاتينية ولكنه لا يعارضها في الوقت نفسه ويحس

قارئ اجابته ان الخوف من الناس وحده هو الذي يمنعه من الجهر به.^(١) وكثيرون هم الذين لم يدعوا صراحة الى الكتابة بالحروف اللاتينية ولكنهم دعوا اليها تحت شعار الاصلاح مثل ابراهيم حمودي الذي الف كتاب: (طباعة اللغة العربية بالحروف اللاتينية) وهو مملؤ بالمغالطات والاختفاء النحوية يقع في ٤٢ صفحة بالقطع الصغير طبع مطبعة الاهرام ببغداد ١٩٥٦ وقد الفه بدعوى الاصلاح.

وبدعوى الاصلاح والتطور ومجارات الزمن فقد وضع (نصري خطار) اللبناني الاصل والمتخرج من جامعة بيروت الامريكية كتاباً باسم (الابجدية الموحدة) وسجلها عالمياً في امريكا. وكان اول سؤال وجه له هو: «ارجوا يا استاذ خطار الا تكون من الدعاة الى الغاء الحروف العربية الحاضرة واستبدالها بحروف لاتينية؟». فكان الجوابه: «ابدا ابدا ! بل على العكس انني رسمت هذه الحروف الجديدة لكي اقاوم تلك الحملة التي تنادي باستبدال حروفنا بالحروف اللاتينية فنحن فخورون بحروفنا وثقافتنا التي درجنا عليها قروناً طويلة واذا اقتبسنا الحروف اللاتينية فاننا سنحدث انقلاباً كلياً في الادب العربي وسنقطع الصلة بين قديمه وحديثه فالطريقة التي توصلت اليها تنقذنا من هذه الافكار، فقد توقفت باذن الله (!) الى ايجاد حروف عربية مبسطة تجمع كل حسنات الابجدية اللاتينية وافضل منها في بعض الالوجه على خصائص الاحرف المعتادة واشكالها، وبهذا يمكن لكل من يقرأ العربية ان يقرأها بسهولة لأول مرة».^(٢)

ومن دعا بهذه الدعوة الظالمة (سعيد عقل) وهو مسيحي من لبنان ومن اهم اعضاء الجمعية اللبنانية، التي تأسست في لبنان قبل اعلان الدستور العثماني وغايتها

(١) الدكتور محمد محمد حسين - الاتجاهات (ح ٢) (ص ٣٧٨).

(٢) مجلة صوت امريكا ديسمبر - اكتوبر ١٩٥١



تمهيد السبيل لاستيلاء فرنسة على سورية ووضعتها تحت حمايتها^(١)، وكان معظم الجالية اللبنانية يعتقد مبادئ هذه الجمعية وسعى لتحقيق غايتها وما غايتها الا تمهيد الطريق لاستيلاء فرنسة على سورية ووضعتها تحت حمايتها.^(٢) (سعيد عقل) هذا كان يدعو الى كتابة اللغة العربية العامية وبالحروف اللاتينية، واتخذ خطوات واسعة في سبيل تحقيق هذه الفكرة وتحويلها الى واقع عملي، فأنشأ مطبعة تطبع بالحروف الجديدة التي اقترحها واصدر سلسلة من الكتب سماها (اجمل كتب العالم) ! وطبع هذه الكتب بالحروف الجديدة التي يدعو الى استخدامها ومن هذه الكتب:

١. روميو وجوليت، مسرحية (شكسبير) المعروفة وقد ترجمها الى الشعر العامي اللبناني (كمال شرابي) وقدم لها سعيد عقل.

٢. ايات وصور، وهونماذج من الشعر الفينيقي القديم.

٣. مرجيحة القمر، شعر شعبي لبناني للشاعر صلاح لبكي.

هذه وغيرها من الكتب التي زج بها الى الاسواق وكتب على اغلفت بعضها انها (الطبعة الثانية)، الامر الذي يوحي ان هذه الكتب قراء يهتمون بها وان هناك مطبعة متخصصة لها وتجدد تمويلها كافياً يضمن لها الاستمرار رغم انها المطبعة الوحيدة في العالم التي تطبع الكتب بهذه الحروف التي اقترحها واطلق عليها اسم (ابجدية سعيد عقل) المتكونه من ستة وثلاثين حرفاً بعضها معروف في الحروف اللاتينية وبعضها غير معروف.

ويزعم سعيد عقل انه بحروفه الجديده يستطيع ان يلغي الامية من البلاد العربية في نصف ساعة اما مع الحروف العربية الراهنة فنحن معها بحاجة الى عشرين سنة

(١) مجلة المعرض - السنة الاولى رمضان ١٣٤٤ - اذار ١٩٢٦ (ح ٥) (ص ٢٣٣)

(٢) احمد عزت الاعظمي - القضية العربية (ح ٤) (ص ٧٣) بغداد ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

حتى يمكننا ان نقضي على الامية. واهم الامراض في الحروف العربية في نظر سعيد عقل هي:

١. في الحروف العربية نطقيات وهي الحروف العادية المعروفة (أ ب ت ث ...) وفيها صوتيات وهي الفتحة والضمة والكسرة ويمكن حذف الصوتيات من الكتابة العربية الراهنة. وهو يجعل الصوتيات في اهمية النطقيات.
٢. بالامكان الاستغناء عن الصوتيات دائماً وذلك بتحويلها الى حروف حتى تصبح جزءاً اساسياً من الكلمة فلو كانت الضمة مثلاً هي الحرف اللاتيني ((لاتيني) او) لما امكن الاستغناء عنها على الاطلاق.
٣. الحرف العربي الواحد متعدد الاشكال حسب موقعه من الكلمة ويرى ان الواجب ان يكون على شكل واحد لذا يرى استقلال كل حرف عن الاخر حتى نتخلص من تعدد صور الحرف الواحد.
٤. يعتبر النقط في الحروف العربية سبباً للخطأ ويطالب بالغائها ويزعم ان معظم علماء العربية منذ سيبويه حتى اليوم انتقدوا النقط.
٥. يرى ان الحروف العربية تختلف بالحجم فالفرق بين حرف (ط) وحرف (ب) كبير، ولو صغرناها الى النصف لكان حرف (طاء) ظاهراً وحرف (الباء) غير ظاهر الاطلاق وعيب الحجم في الكتابة العربية عموماً يتضح بشكل بارز جداً في كتابة الارقام فالصفر في الكتابة العربية هو مجرد (٠) اما الصفر عند الاوربيين فيظهر بوضوح على هذا الشكل (0).
٦. واخيراً يرى سعيد عقل ان خلو الحروف العربية الاوربية من حرف كبير وحرف صغير عيب فهو يريد لها ان تكون كاللغات الاوربية تبدأ الكلام بحرف كبير كما تبدأ اسماء الاعلام كذلك.



وقد اخذت على سعيد عقل بعض الملاحظات منها:

١. ان دعوته الى استخدام اللهجات المحلية والكتابة بالحروف اللاتينية ليست دعوة علمية وهي تعمل على هدم الوحدة اللغوية الموجودة بين ابناء اللغة العربية وهذا يعني انه يدعوللانفصال ويقف في وجه حركات التوحيد العربي وان الاخذ بنظريته يعني ان يصبح في الوطن العربي عشرات اللغات.
 ٢. ان دعوته هذه تقضي على التراث العربي الثقافي الذي يزيد عمره الان على الف وخمسمائة سنة منذ ايام المملكات الى عصرنا هذا الامر الذي يجعل هذه الامة مبتورة عن ماضيها المجيد وترثها الفخمة وهذا يعني قتل الامة ووأدها.
 ٣. وللمرء ان يتساءل من الذي يمول مطبعته؟ ومن الذي يقف مادياً وراء هذا المشروع الكبير؟ هل هي امكانياته الخاصة؟ ان هذا بالطبع افتراض غير معقول؟ لابد ان وراء جهة ما فما هي هذه الجهة وما هي مصلحتها؟
- وقد كتب الاستاذ حسن الامين مقالاً بعنوان: (الخطر في دعوة سعيد عقل) يقول: «لم تدرك الخطر في هذا الذي يدعو اليه الاستاذ سعيد عقل من التخلي عن اللغة العربية والاخذ بالعامية الايوم القبي فيه محاضراته الاولى في الندوة اللبنانية وكشف عن الهدف الذي ترمي اليه دعوته والغاية التي يريد الوصول اليها^(١) والغاية هي فصل الامة عن ماضيها».
- وفي مجلة الرسالة البيروتية جاء ما نصه: «ولكن ما من احد تجرأ على تجاوز البحث النظري الى تطبيق هذا القول كما فعل الاستاذ سعيد عقل فقد قدم بالعامية لديوان (جلنار يبحث عن الجمال)»^(٢).

(١) مجلة العرفان العدد السابع مجلد ٤٢ رمضان ١٣٧٤ / أيار ١٩٥٥ (ص ٩١١)

(٢) مجلة الرسالة العدد الثاني السنة الثانية شباط ١٩٥٦

وقد أطرت اذاعة اسرائيل يوم الخميس ٢٩/٦/١٩٦١ كتابا لسعيد عقل وقد كان باللهجة العامية وبحروف لاتينية.
إن الحروف العربية لا تخلو من عيوب ولكن هذه العيوب ليست بشيء يذكر ولا يمكن ان تكون سبباً لاجتنابها والاخذ بغيرها.

عيوب الحروف العربية: (١)

اولاً: ان الكلمات تدون غالباً عارية عن حركات حروفها.

وهذا يترتب عليه ما يلي:

١. انه لا يستطيع احد ان يقرأ نصاً عربياً قراءة صحيحة الا اذا كان ملماً بقواعد اللغة واوزانها مفرداتها الماماً تاماً.

٢. ان النص العربي الواحد عرضة لان يقرأ قراءات متعددة بعيدة عن الفصحى.. فالنص العربي المجرد عن الشكل عرضة لان يقرأ اهل كل فجوة حسب منهجهم في وزن الكلمات.

٣. من المتعذر قراءة اسماء الاعلام قراءة صحيحة، لذلك تضطر بعض المعجمات الى تهجيء حروف الكلمات التي من هذا القبيل والنص على حركة كل حرف منها فيقول مثلاً: (صفيف) بكسر الصاد المهملة وتشديد الفاء الموحدة بالكسر.

ان رسماً كهذا من شأنه ان يشيع هذا الرسم صوراً على انحلال العربية الفصحى.

(١) الدكتور علي عبدالواحد وافي - فقه اللغة - ملخصاً (ص ٢٥٣).



ثانياً: ان للحرف الواحد بحسب هذا الرسم صوراً مختلفة، فله صورته اذا كان مفرداً واخرى اذا كان متصلاً بغيره وله صورة اذا كان في اول الكلمة واخرى اذا كان في وسطها وثالثة اذا كان في اخرها وقد ترتب على ذلك اضرار كثيرة من اهمها ما يلي:

١. ان تعدد هذه الصور يحدث الارتباك عند المبتدئين من المتعلمين..
٢. انه يكلف المطابع نفقات باهضة في الحصول على عدة نماذج لكل حرف.
٣. انه يخلق صعوبات في الطباعة ويرهق العمال على صف الحروف.
٤. يكون مدعاة لكثرة الاخطاء المطبعية.

ثالثاً: ان رموز هذا الرسم تنقسم الى طوائف تشتمل كل طائفة منها على حروف متحدة في صورتها (ب ت ث، ج ح خ، د ذ...) وقد ترتب على ذلك اضرار منها:

١. ان رسم كلمة العربية يقتضي الكاتب بعد الفراغ من كتابتها اوفي اثنائها ان يضع ما يجب وضعه من نقط فوق معظم حروفها او تحتها.
٢. ان القلم كثيراً ما يزل في تدوين هذه النقط، فتصبح الكلمة عرضة لان تقرأ على وجوه متعددة، ويقع القارئ في الحيرة.

هذه هي اهم العيوب التي يمكن ان تذكر في الحروف العربية على انها ليست بذى بال. ولايكاد يخلو من مثل هذه العيوب بل مما هو اشد منها اي نوع من انواع الرسم فاللبس الذي يحدثه احياناً الرسم العربي ليس شيئاً مذكوراً بجانب اللبس الذي يحدثه الرسم الانكليزي مثلاً وخاصة في النطق باصوات المد (لاتيني)، فكثيراً ما يختلف النطق بالصوت الواحد من هذا النوع وغيره، تبعاً لاختلاف الكلمات التي يرد فيها حتى انه لا يستطيع قراءة معظم الكلمات الانكليزية قراءة صحيحة بمجرد

النظر الى حروفها بل لا بد في ذلك ان يكون حفظ حروفها من قبل عن ظهر قلب.^(١) كذلك في اللغة الانكليزية لا يوجد نوع موحد ثابت في كتابة الحروف. كما يوجد فرق شاسع بين الخط المطبعي وهو النوع الذي يستعمل في المواد المطبوعة، والخط اليدوي الذي يستعمل في الكتابات الخاصة، وهذا الاختلاف يتمثل بكون الخط المطبعي يعتمد على حروف تتميز بخطوطها المستقيمة والخط اليدوي يعتمد على الخطوط المنحنية المقوسة. والخط المطبعي حروفه منفصلة عن بعضها البعض بينما الخط اليدوي حروفه متصلة ببعضها. والخط اليدوي يشتمل على حروف يسودها الميلان وبعض هذه الحروف تختلف في شكلها وطبيعتها عن الحروف المطبعية.

وقد قدمت اقتراحات لاصلاح الرسم العربي تنحصر في قسمين:

القسم الاول: يكتفي باصلاحات شكلية لا تمس جوهر اللغة ولا صورة الرسم.

القسم الثاني: يرمي الى ادخال تغيير جوهري في اللغة نفسها اوفي صورة رسمها.

اهم اقتراحات القسم الاول:

١. ان يلتزم شكل الكلمة التي من شأنها ان تثير اللبس عند عدم وضع الحركات عليها.

٢. ان يلتزم شكل جميع الحروف. كما يتبع ذلك في تعليم النشئ المباديء القراءة والكتابة.

٣. ادخال الشكل في بنية الكلمة حتى لا يتحطا نظر القارئ. وهذا هو المنهج الذي يسير عليه الرسم الاوربي (كتب (لاتيني)) ويتنصر لهذا الاقتراح عدد من الباحثين منهم احمد لطفي السيد.

(١) فقه اللغة - (ص ٢٥٨) ملخصاً



اهم اقتراحات القسم الثاني:

١. إن تستبدل الحروف اللاتينية ومناهج الرسم اللاتيني (التي الى اصوات المدة القصيرة بحروف تدون في صلب الكلمة) بالحروف العربية ومناهج الرسم العربي وعلى رأس من تقدم بهذا الاقتراح عبدالعزيز فهمي باشا.
٢. ان يكون لكل حرف من حروف اهجاء العربي اربع صور مختلفة، صورة في حالة تحركة بالفتح واخرى في حالة تحركة بالكسر وثالثة في حالة تحركة بالضم ورابعة في حالة تسكينة وهذا في مجمله هو المنهج الذي يسير عليه الرسم الحبشي.
٣. الغاء الاعراب والزام السكون او اخر الكلمات حتى تضيق مسافة الخلف بين رسم الكلمة ونطقها في اللهجات العامية المستخدمة في المحادثة، فتسهل على الناس القراءة ويتخلص الرسم من بعض عيوبه.^(١)

هذا وبالرغم من الجهود التي بذلها الاعداء ضد هذه الحروف العربية فان جهودهم لم تثمر ولم تنتج وظلت الحروف العربية كالطود الشامخ خالدة حية ولا يمكن ان يقال ان هذه الجهود اثمرت في تركية وفي بعض البلاد الاخرى التي كانت تكتب لغتها بحروف عربية حيث استبدلوا الحروف اللاتينية بالحروف العربية في تركية، واستبدلوا الحروف الروسية بالحروف العربية في بعض البلاد الاخرى، وذلك لان الحروف اللاتينية والروسية فرضت على الشعب التركي المسلم وعلى تلك الشعوب المسلمة بالقوة ولوان هذه الشعوب اعطيت الحرية في اختيارها لما اختارت الآ الحروف العربية.

(١) فقه اللغة - وافي (ص ٢٥٩)

وفيما يلي نرى كيف فرضت الحروف اللاتينية على اللغات التركية:

لقد عقد مؤتمر في (باكو) باسم (مؤتمر اللغات التركية) دعت الى عقده الحكومة السوفيتية بين ٢٦ شباط - ٦ اذار عام ١٩٢٦ فبدعوة من الحكومة السوفيتية لانها غير علمية (!) ومضرة باللغات ذات الاصل التركي فأقرت تركية توصياته في سنة ١٩٢٨ ثم ادخلت الحروف اللاتينية واشرفت الحكومة على دراسة متواصلة كان هدفها العمل على احياء اللغة التركية وتنقيتها من شوائب التراكيب الاجنبية ^(١) ويعني بالاجنبية العربية طبعاً. حتى اصبحت الدعوة الى الكتابة بالاحرف العربية جريمة يعاقب عليها وقد قاضت احدى المحاكم التركية خمسة عشر عضواً من اعضاء حزب الامة (ملت) في تركية بتهمة الدعوة للعودة الى العامة الحجاب وتعدد الزوجات والتعليم بالالفباء العربية ^(٢) هذا حكم اعضاء حزب الامة ناهيك عن حكم سائر افراد الامة.

وقد امر شاه ايران (بهلوي رضا) ايضاً باصلاح اللغة الفارسية وكان غرضه من ذلك تطهيرها من التأثيرات العربية. ^(٣) ولولا وقوف العلماء والمراجع - رحم الله الماضين منهم وحفظ وسدد الحاضرين - بوجهه لحل بايران ما حل بتركية من كتابة اللغة الايرانية باحرف لاتينية.

ومن الاعمال الخطيرة التي قام بها السوفييت بعد احتلالهم بلدان اسيا الوسطى انهم منعوا استعمال الحروف العربية منعاً باتاً وابدلوها بالاحرف الروسية، وتختلف الاحرف الروسية عن الاحرف اللاتينية ولا تشبهها ولا يعرفها ولا يقرؤها الا

(١) (١)، (٢) الشرق الاوسط في الشؤون العالمية (ج ١) (ص ١٧٤)،

(٢) (ص ٢١٤) تأليف جورج لنشوفسكي ترجمة: جعفر الخياط.

(٣) الشرق الاوسط في الشؤون العالمية (ج ١) (ص ٢٣٧)

الروسيون وحدهم. وبعد ذلك اصدرت حكومة البوشفيك قانوناً ينص على ان كل من وجد لديه كتاب بغير الاحرف الروسية او علّم أبناءه غيرها كان جزاؤه اشد العقوبة. وكان من نتيجة ذلك ان نشأت جماعة من الجيل الصاعد ابعدهم الروس عن ديارهم وفرقوا بينهم وبين اباائهم وامهاتهم وذويهم حين جعلوهم لا يفهمون الاحرف العربية ولا يقرؤون الا الاحرف الروسية ثم ان السوفييت اعلنوا ان كل من يجهل القراءة بالاحرف الروسية فهو امي، والقصد الاول من هذا قطع الصلة التاريخية والثقافية بين الجيل الحاضر وبين تاريخهم المجيد تمهيد البلشفتهم ثم القضاء بعد ذلك على الدين الاسلامي قضاءً نهائياً. ذلك لان الكتابة بالحروف العربية في اكثر البلاد الاسلامية هي بمثابة رباط متين بين اولئك المسلمين وبين الامة العربية واللغة العربية، لان وحدة الحروف تجعل اللغة العربية سهلة التعلم على غير العرب ممن يكتبون لغتهم بالحروف العربية، فاذا كتبت لغتهم بحروف لاتينية ابتعدوا عن العربية وبذلك يكون القضاء على الوحدة الاسلامية وعلى اخر أمل لعودتها بطابعها السياسي بعد تحطيم قاعدة الاسلام الحصينة بشكل نهائي وبالغاية التي يسعون لاجلها هم طريق الضغط على الشعوب الاسلامية التي تكتب بحروف عربية لاجل ان تتخلى عنها كما فعلوا ذلك في تركيا حيث استبدلوها باللاتينية، وكما فعلت فرنسا مع البربر في المغرب العربي عندما الغت تعليم الدين الاسلامي واللغة العربية في مدارسهم واغلقت المساجد والكتاتيب القرانية في اراضيهم وكتبت لغتهم باللاتينية بعد ان كانت عربية لتقطع علاقتهم بالاسلام وبكل ما هو اسلامي او متصل بالاسلام.^(١)

(١) الدكتور عمر فروخ - وثبة المغرب (١٣٣)

الفصل الخامس

الدَّعْوَةُ إِلَى تَيْسِيرِ

النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ

الكلام عند العرب:

كان العرب يتكلمون فيعربون كلامهم دون أن يعرفوا أن هذا فاعلاً وهذا مفعولاً، وذاك حالا وهذا مبتدأ وذاك خبر... الخ. وهذا يدل على سمو أذواقهم وعلو فصاحتهم، ورهافة حسهم، وهذه الظاهرة دعت بعض المستشرقين أن ينكروا أن العرب بأجمعهم كانوا يعربون الكلام، ولكن الواقع أن هذا كان حالهم، والكلام المعرب سليقتهم على حد قول الشاعر:

ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن سليقي أقول فاعرب

وهذا لا يعني أنهم كانوا بأجمعهم بدرجة واحدة من النطق الصحيح ولم يكن بينهم تفاوت ولكن هذا شيء واعراب الكلام شيء آخر فقد كانوا يتكلمون فلا يخطئون ويعربون فلا يلحنون.

يقول ابن خلدون: «وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور اعني المضاف، ومثل الحروف

التي تقضي بالأفعال الى الذوات من غير تكلف الفاظ أخرى، وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب، وأما غيرها من اللغات فكل معنى أوحال لابد له من الفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطبتهم أطول مما نقدره بكلام العرب. وهذا هو معنى قوله ﷺ: (أوتيت جوامع الكلام) و (اختصر لي الكلام اختصاراً) فصار للحروف في لغاتهم والحركات والهيئات أي الأوضاع اعتباراً في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها، إنما هي ملكة في ألسنتهم يأخذ الآخر عن الأول، كما تأخذ صبياننا هذا العهد لغاتنا»^(١).

نفسي اللحن في الألسن:

استمر الحال عند العرب على هذا المنوال من السليقة الصافية في نطقهم حتى ظهور الاسلام وانتشاره فقد كان يصدر من بعضهم وعلى ندرة لحن في كلامهم لم يكن ذلك منتشرًا ولم يشكل خطراً على لغتهم، الى أن انتشر الاسلام ودخلت فيه أمم كثيرة وشعوب متعددة واختلط العرب بغيرهم وخاصة بعد الفتح الإسلامي لكثير من البلاد التي يتكلم أهلها بغير اللغة العربية ودخولهم في الإسلام وتعلمهم اللغة العربية وأصبحت جزيرة العرب مرتاداً للأعاجم، فحاضرة الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين هي المدينة ومقصد المسلمين كلهم في الحج مكة فكان الناس من الأعاجم يأتون أفواجا للحج أحياناً ولقضاء مصالحهم في حاضرة الخلافة أحياناً، وعرب الحجاز بحكم الفتح قد ملكوا رقيقاً كثيراً سكنوا مع سادتهم في الحجاز وغيره، فاختلط العجم بالعرب في البيوت وفي الأسواق وفي المناسك وفي المساجد،

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٢

فتطرق من ذلك الخلل في لسان العرب وكانوا يتكلمون عن سليقة فأخذ الفساد يدب في تلك السليقة وظهر اللحن، وكذلك كان حال الأمصار الأخرى، خالط عرب مصر القبط، وعرب الشام الشاميين، وعرب العراق الفرس والنبط، وهكذا فدب اللحن اليهم أيضاً وكان مما ساعد على هذا اللحن ان اللغة العربية لغة معربة، وهذا يجعلها من أصعب اللغات ويجعل الفساد يسرع اليها، وكان هذا اللحن قديماً حتى روي: أن رجلاً لحن في حضرة النبي ﷺ فقال ﷺ: (أرشدوا أخاكم). ورووا أن كاتباً لأبي موسى الأشعري كتب الى عمر: (من أبو موسى)، فكتب عمر الى أبي موسى: عزمت عليك لما ضربت كاتبك سوطاً. ورووا أن ابن عمر كان يضرب بنيه على اللحن، وسرى هذا اللحن الى البادية فقال الجاحظ: أول لحن سمع بالبادية (هذه عصاتي)، ولحن محمد بن سعد بن أبي وقاص لحنه فقال: حس! اني لأجد حرارتها في حلقي، وكان الحجاج بن يوسف يلحن أحياناً وفشا اللحن في العصر العباسي أكثر مما كان قبل لكثرة الاختلاط، كل هذا حمل العلماء الى وضع قواعد لحفظ اللغة العربية فكان النحو وكان علم اللغة.^(١)

وقد ذكروا أن أول من وضع قواعد اللغة العربية هو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قال ابن الاثير في المثل السائد في ابتداء وضع النحو: ان ابنة لأبي الأسود الدؤلي قالت له يوماً: يا أبت ما أشد الحر، فضمت الدال وكسرت الراء، فظنها أبوها مستفهمة فقال: شهر أب، فقالت: يا أبت انما اخبرتك ولم أسئلك، فأتى ابوالأسود الى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: يا أمير المؤمنين: ذهبت لغة العرب، وأخبره بخبر ابنته، فقال عليه السلام: هلم صحيفة ثم أملى علي أصول النحو.^(٢)

(١) ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٥٢

(٢) الأنوار النعمانية ج ١ ص ٤٨



الامام علي بن أبي طالب عليه السلام يضع علم النحو:

قال السيد حسن الصدر في أول من وضع علم النحو: فاعلم أن أول من ابتدعه وانشأه واملا جوامعه واصوله هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد حكى على ذلك الاجماع جمال الدين علي بن يوسف القطفي في كتابه تاريخ النحاة والمرزباني في المقتبس وقال ابن جني في الخصائص في باب الصدق النقلة ما لفظه: اولا تعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو البادي به المنبه عليه، والمنشيه والمشير اليه. ^(١)

قال أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي المتوفى سنة ٣٥١ في كتابه مراتب النحويين: كان أول من رسم للناس النحو أبو الاسود الدؤلي وكان أبو الاسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقال ابن قتيب في كتاب المعارف أبو الاسود الدؤلي هو ظالم بن عمرو، أول من عمل كتاباً في النحو بعد علي بن أبي طالب عليه السلام. وقال ابن حجر في الاصابة في ترجمة ابي أسود قال ابو علي القالي حدثنا ابو اسحاق الزجاج حدثنا ابو العباس المبرد قال: اول من وضع العربية ونقط المصحف ابو الاسود وقد سئل ابو الاسود عمن نهج له الطريق فقال: تلقيته من علي بن أبي طالب عليه السلام. ^(٢)

وقال ابو هلال حسن بن عبدالله العسكري في كتاب الاوائل: اول من وضع النحو علي بن ابي طالب عليه السلام. وقال ابن أبي حديد في شرح النهج: ابتكره علي بن أبي طالب واملا على أبي الاسود جوامعه واصوله، وقال ابو الفضل بن أبي الغنائم في شرح المفصل: روي أن ابي الاسود أخذ النحو من علي عليه السلام فامر به بوضعه في الكلام،

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام او الشيعة وفنون الاسلام ص ١١٦

(٢) المصدر ص ١١٨



وقال عبد القادر البغدادى في خزانة الأدب عند ذكره لابي الاسود: وهو واضع علم النحو بتعليم علي {رضي الله عنه}، ومثله الدميري في حياة الحيوان في (دئل) قال: «أنه أول من وضع النحو بتعليم علي بن أبي طالب عليه السلام»^(١)

وقد ذكروا عن ابي الاسود الدؤلي قال: دخلت على علي بن أبي طالب فرأيتَه مطرقاً مفكراً، فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: اني سمعت ببلدكم هذا لحناً فاردت أن أضع كتاباً في أصول العربية، فقلت: ان فعلت هذا حبيتنا وبقيت لنا هذه اللغة، ثم أتيت بعد ثلاث فالتقى الي صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله: اسم وفعل وحرف، فالاسم ما انبأ المسمى، والفعل ما انبأ عن حركة المسمى، والحرف ما انبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل، ثم قال: تتبعه وزد فيه ما وقع لك، واعلم يا اباالاسود: ان الأشياء ثلاثة: ظاهر، ومضمّر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمّر، وانما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمّر. قال أبو الاسود فجمعت منه الأشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت فيها (إنّ) و(أنّ) و(ليت) و(لعل) و(كأن) ولم أذكر (لكن) فقال لي: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها، فقال: بل هي منها فزدتها فيها^(٢)... انتهى

(١) المصدر ص ١٢٠

(٢) الأنوار النعمانية ج ١ ص ٤٨ نقلاً عن امالي ابو القاسم الزجاج

أهمية هذه القواعد لحفظ اللغة:

النحو العربي هو أهم علو اللغة العربية، إذ به يتبين اصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أهل الافادة^(١) ولما انتشر اللحن في كلامهم، خاف المسلمون على القرآن ان يتسرب اليه اللحن فوضعوا النحو وحملهم وضع النحو على مشافهة الأعراب والاخذ عنهم حتى يصلوا الى قاعدة في الرفع والنصب والجر والجزم يضعونها، وكانت حركة عنيفة ومجهود كبير توج بكتاب سيبويه وما كان يكون لولا القرآن^(٢) قال ابن خلدون: «لما فسدت اللغة بما القى ايها مما يغيرها خشي اهل العلم ان تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم استنبطوا من مجاري الكلام قوانين لتلك الملكة المطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر انواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب...»^(٣) فكان علم النحو من أجل حفظ هذه اللغة وبقاءها كما هي وبالفعل عملت قواعد (اللغة العربية) على بقاء هذه اللغة حية يتدارسها ابناءؤها وابناء من نطق بها وتعلمها.

محاولات الاعداء للقضاء على هذه اللغة:

ولكن اعداء هذه اللغة لم يرق لهم ان يروها تسائر الحياة وتستوعب حاجياتها وتقرض وجودها فاخذوا يشرعون ويثيرون الأكاذيب والافتراءات على هذه اللغة

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٢

(٢) ضحى الاسلام ج ١ ص ٣١٠

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٠

ويعتقدون بأنها لغة قديمة ونحوها صعب ومعقد، ويضعون الاقتراحات من أجل تطويرها واخضاعها لمناهج غريبة عنها. والمشكلة التي واجهتها هذه اللغة هي أن علماء النحو والمتخصصين لدراسته قد أدخلوا فيه ما ليس منه واستعملوا فيه القياس والمنطق والفلسفة واخضعوه الكثير من الأمور التي ليس لها صلة باللغة العربية فاضفت هذه الأمور على النحو العربي صعوبة.

محاولات تيسير النحو:

في سنة ١٩٣٨ قررت وزارة المعارف المصرية تيسير تعليم (النحو) في المدارس الحكومية فالفت لجنة لتيسير قواعد اللغة العربية مكونة من (طه حسين) و(أحمد أمين) و(ابراهيم مصطفى) و(علي الجارم) و(محمد ابي بكر ابراهيم) و(عبدالمجيد الشافعي) فوضعت هذه اللجنة قواعد وأصولاً لهذا التيسير وارسلتها الى المجمع اللغوي والى بعض المشتغلين باللغة من الأفراد والجماعات، وقد أحدثت هذه الفكرة أخذاً ورداً وقبولاً ورفضاً وانكاراً وثار عليها البعض ودعا اليها البعض الآخر. وأخيراً وافق المجمع اللغوي عليها بعد اجراء بعض التعديلات وأوصى بان الأناة فيما يتعلق بالمناهج والمواد التي تعلم للشبان وهي أهم شيء، اذ مهما تكن ظننا حسناً بهذا الإصلاح الذي نقترحه، فاننا نريد أن تتأني الوزارة في الأخذ به وأن تهنيء له أسبابه.^(١) ومن المعلوم أن مصر في هذا التاريخ كانت مرتبطة بالنفوذ البريطاني فالدعوة التي تنبت الثورة والتمرد على قواعد اللغة العربية واصولها لم تكن مخلصه ولنا الحق أن نشك فيها، اذ هي من جملة الاساليب التي وضعها الأعداء

(١) الاتجاهات الحديثة في النحولسنة ١٩٥٧ من محاضرة للاستاذ محمد احمد برانق



لقطع صلة الامة بماضيها وتراثها الفكري الذي يشدها الى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وهذا لا يعني أن النحوالعربي غير محتاج الى تيسير، كما لا يعني أن كل من دعا الى التيسير انما يرمي الى القضاء على اللغة العربية، لأن الدعوة الى تجديد النحو وتيسيره لم تكن وليدة هذا العصر، ولا هي ثمرة اذهان المحدثين وانما هي قديمة قدم النحو نفسه، ولعل أول صوت ارتفع قديماً مطالباً بتيسير النحو وتجديده هو صوت (ابن مضاء القرطبي اللخمي المتوفى سنة ٥٩٢ هـ) في كتابه (الرد على النحاة) الذي دعا فيه الى الغاء (نظرية العامل) وبين فسادها، كما دعا الى الغاء العلل والثالث في باب التنازع والاشتغال والقياس وانتقد التمارين والأمثلة والشواهد غير العلمية. وابن مضاء في رده على النحاة كان متأثراً بالمذهب (الظاهري) الذي يؤمن بظواهر الأمور ولا يلجأ الى التعليقات والتأويلات والدعوة الى التيسير من طبيعة الحياة لا سيما وان النحاة تكلفوا في توسيع النحو وتوغلوا في الخلافات النحوية والآراء المتطرفة فيما بينهم الامر الذي جعلهم يدرسون النحو للنحو نفسه وفاتهم ان دراسة النحو وسيلة لتقويم اللسان عن الخطأ في المقال وفي فهم النصوص العربية. وعليه فلا بد من التيسير والتطوير للأساليب الدراسية لهذا العلم المتعلق باللغة العربية.

ولكن يد التخريب لهذه اللغة امتدت عن طريق التيسير لتعمل عملها في هدم هذا العلم بحجة أو بغير حجة. فالف الاستاذ ابراهيم مصطفى عضوالمجمع للغة العربية كتابه (احياء النحو) سنة ١٩٣٧ دعا فيه الى تجديد النحو. ورد عليه احد علماء الأزهر هو الاستاذ (محمد عرفة) المدرس بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر في كتابه (النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة) سنة ١٩٣٧ تناول فيه ما جاء في كتاب (احياء النحو) مسألة مسألة.



وألف الاستاذ عبد المتعالي الصعيدي كتابه (النحو الجديد) سنة ١٩٤٧. وألف الاستاذ أحمد عبدالستار الجواري كتابه (نحو التيسير) سنة ١٩٦٢. وألف انيس فريجة الاستاذ في الجامعة الاميريكية بيروت كتابه (تبسيط قواعد اللغة العربية على أسس جديدة) الذي تقدم ذكره في الفصل الرابع، ادعى فيه أن الإعراب يدل على بداية اللغة، وانه كلما ارتقت اللغة ترك الإعراب ويدعي أن الأمم تهمل الإعراب اذا أخذت بأسباب المدنية والحضارة، وعلى هذا فالإعراب دليل بداية في اللغة! وقد ألف (يوسف السودا) كتابه (الاحرفية) يدعوا فيه الى تيسير قواعد اللغة العربية وتجديدها. ويقول (جورج فريلند): «ليس من مكان في المنهج لنحو ليس لتعلمه تأثير مباشر على ما يستعمل في الكتابة والكلام». ويقول (وازد): «ان الدروس الأكاديمية في اللغة غير عملية ما لم تستند الى تعرف واسع على قواعد النحو الأساسية».^(١)

ويأتي الدكتور (علي الوردي) ليذلي بدلوه فيما لا شأن له به فيقول: «اني أعتبر النحو العربي بلاءً ابتليت به الأمة العربية»، ثم يعقب ذلك بقوله: «وأنا على يقين أن الأمة العربية في مسيرتها الحضارية نحو المستقبل سوف يأتي عليها يوم تجدد نفسها مضطرة الى إلغاء النحو كله من مناهج مدارسها أو إلغاء الجزء الأكبر منه على الأقل».^(٢) ويقول أيضاً: «مشكلة النحو العربي انه ذو قواعد كثيرة ومعقدة دون أن تكون لها أية فائدة عملية، يجب علينا أن نبدأ منذ الآن في تقليص القواعد النحوية أو تشذيبها في سبيل التخلص منها تدريجاً، هناك أشخاص ابتليت بهم الأمة العربية فهم لا يفكرون في اصلاح ما فسد ولا يهتمون في سبيل رقيها وتقدمها وانما كل همهم هدم ما لدى هذه الأمة من مقومات فهم يرددون أفكار أعداء هذه الأمة ويعلمون

(١) اصول تدريس اللغة العربية والتربية الدينية- الدكتور احمد حسن الرحيم ص ٨٤

(٢) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج ٤ ص ٣ و ٤



على نشر تلك الأفكار بين صفوفها». وهذا يدل على أن دعاة تطوير النحو وتهذيبه إنما يهدفون القضاء عليه. وإذا أردنا أن نساير أصحاب التجديد والتيسير ونترك الباب مفتوحاً لهم فإننا سوف نجد أنفسنا وقد هجرنا النحو وخسرنا علماً لا غنى لنا عنه إلا أن نستغني عن تاريخنا وتراثنا وقرأنا وسنة نبينا محمد ﷺ وهذا أمر لا يقبل به انسان يريد لامته القوة والمنعة.

الفصل السادس

الدَّعْوَةُ إِلَى الشَّعْرِ الْحُرِّ

الدعوة الى الشعر الحر:

ان الدعوة الى الشعر الجديد الذي يسمونه حراً يمكن ان يشك بأنها هي جزء من عملية واسعة بها يراد القضاء على أصالة اللغة العربية الفصحى وابعاد الأدباء والمتأدين عنها، وهذا الشك يمكن تعزيزه بالأدلة والبراهين التي تدعمه وتقربه الى درجة الظن أوريا الى درجة اليقين اذا لم يكن بالنسبة فكل من دعا اليه أونشره وشجعه فلا محالة أنه لكثير منهم.

وقد سئل الشاعر أحمد الصافي النجفي: مارأيك بالشعر المنشور؟ فاجاب: «هذه زبالة، قمامة. هذه مؤامرة على الشعر العربي، وعلى التراث العربي. الشعر هو جميل الشعور، وموسيقى، أين جميل الشعور في ما يقولون؟ أين الموسيقى؟ لقد قال عمر بن الخطاب: تاريخ العرب شعرهم، الشعر هو الذي دون التاريخ العربي وهذا الذي يسمونه شعراً حديثاً هو مؤامرة على تراث وتاريخ العرب».^(١)

مكانة الشعر عند العرب:

ولاجل أن نعرف مدى المأساة التي ينزلها هؤلاء باللغة العربية عن طريق الدعوة الى كتابة الشعر بهذا الشكل الحديث، علينا أن نعرف مكانة الشعر من كيان الأمة العربية، ومن وجودها الحضاري وتراثها الثقافي. فالشعر هو ديوان العرب كما قال المهيشم وابن الكلبي وأبو عبيدة كما روى عنهم الجاحظ حيث يقول: «فكل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال، وكانت العرب في جاهليتها تختال في تخليدها بان تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى، وكان ذلك هوديوانها»^(١).

أهمية الوزن والقافية في الشعر:

الشعر العربي قائم على أسلوب هندسي، وشكل منتظم ذي مسافات ثابتة، قوامه البيت الواحد، ذوالشطرين المنتهي بقافية يجب أن تتكرر في أبيات القصيدة، قال الباقلاني: «أنه اذا اختلفت قافية اي بيتين فليس ذلك شعراً»^(٢). وعد بعضهم اختلاف القافية عيباً من عيوب الشعر، قال ابن رشيق: «إن اختلاف القافية عيب»^(٣). ويرى السيد الخمامي إن الشاعرية قد تأتي كلاماً موزوناً ومقفىً فيكون

(١) سلسلة الروائع عدد ١٨ ص ٤٢

(٢) ابوبكر محمد الطيب البلاقاني - اعجاز القرآن - تحقيق أحمد صقر القاهرة ص ٨٠ طبع

١٩٥٤

(٣) ابن رشيق القيرواني - العمدة ج ١ ص ٨٨ القاهرة طبع ١٩٠٧



شعراً، وقد لا يكون موزوناً فيكون نثراً وكلاماً شعرياً.^(١) ويعتبر قوام الشعر العربي على الوزن والقافية ولهذا اذا ترجمناه الى لغة أخرى أونثرناه ذهب رونقه وسقط اثره وفقد كثيراً من روعته.

يقول الجاحظ: «وفضيلة الشعر مقصورة على العرب وعلى من تكلم بلسان العرب، والشعر لا يستطيع أن يترجم ولا يجوز عليه النقل، ومتى حوّل تقطع نظره، وبطل وزنه وذهب حسنه، وسقط موضع التعجب منه، وصار كالكلام المنشور، الذي حوّل عن موزون الشعر». ^(٢) ويقول أيضاً: «وجميع الأمم يحتاجون الى الحكم في الدين، والحكم في الصناعات والى كل ما أقام لهم المعاش، وبوّب لهم أبواب الفطن، وعرفهم وجوه المرافق حديثهم كقديمهم، وأسودهم كأحمرهم، وبعيدهم كقريبهم والحاجة الى ذلك شاملة لهم وقد نقلت كتب الهند وترجمت حكم اليونان وحوّلت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسناً وبعضها ما انتقص شيئاً، ولو حوّلت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن». ^(٣)

ويقول ابن خلدون: «الشعر هو الكلام البليغ، المبني على الاستعارة والأوصاف المفصل باجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به». ^(٤)

ولعل برم الناس بالشعر الخارج على عمود الشعر ناجم عن أن أكثر هذا الشعر الذي يملأ أعمدة صحفنا لم تنتج قرائح موهوبة فجاء شعراً مهزوزاً لا خير فيه. فانه

(١) السيد محمد علي الحامي - المطالعات في مختلف المؤلفات ج ٣ ص ١٥

(٢) سلسلة الروائع - فؤاد البستاني العدد / ١٨ ص ٣٣ كتاب الحيوان للجاحظ طبع ٩٢٨

(٣) المصدر السابق

(٤) المقدمة ص ٥٧٣ مطبعة مصطفى محمد



جمال الشعر واعوزته اصالة النثر الفني! والتأدية غير الموفقة هي التي تقتل الشعر وتقتل القصيدة فالشعر الرديء الخالي من الفن ليس شعراً، والشعر البراق الخالي من التجارب شعر ميت!^(١) ويقول ادونيس: «الشعر هو الكلام الموزون المقفى، عبارة تشوه الحساسية الشعرية العربية وتشوه الحياة والرؤيا، فهي العلامة والشاهد على المحدودية والانغلاق وهي الى ذلك حكم يناقض الطبيعة الشعرية العربية ذاتها فهذه الطبيعة عفوية فطرية انبثاقية وذلك حكم عقلي اصطناعي منطقي».^(٢)

هذا الحكم الذي أصدره أدونيس على الشعر العربي لم يكن واقعياً حيث ان تعريف الشعر غير الشعر نفسه واذا كان هذا التعريف منغلقاً ومحدوداً فان الشعر العربي ليس كذلك وانما هو كما قال ادونيس نفسه (طبيعة عفوية فطرية انبثاقية) فهي غير محدود بمضمون معين ولكنها مقيدة من الناحية الشكلية وبهذا يختلف الشعر عن النثر.

بداية الشعر الحر:

بدأ هذا اللون من الشعر على أيدي شباب تأثروا بالثقافة الغربية ووجدوا صعوبة في الأساليب الشعرية العربية فنبذوها واتجهوا يقلدون الغربيين في أساليبهم وحتى في مفرداتهم فاكثروا من ترديد كلمات معينة كالخطيئة والفداء والصلب والخلاص تلك الألفاظ الى تلخص ديانة النصارى مع أن بعضهم من المسلمين نسبها متذرعين باعتبارها رموزاً ولا نعلم لم كانت هذه الرموز دون غيرها من مرادفات اللغوية؟

(١) مجلة الأقلام بغداد ج ٤ سنة ٤ روكس بن زائد العزبي

(٢) ادونيس، الاداب العدد ٣ بيروت ١٩٦٦ ص ٢



وقد سباه الدكتور جواد النثر المشعور. وسباه الدكتور كمال نشأت (خنفس الشعر) بعد أن شبه بعض الشعراء بالشباب المقلد للغرب في ملابسه وحذاءه يقول: ^(١) «وخنفس الشعر هؤلاء هم الذين يتابعون آخر صيحات الموضة الشعرية الأوروبية»، ويقول: «أن الشاعر العربي الناضج المطلع على الشعر الأوربي الحديث يعلم أن هذا الغموض الذي يلفق القصيدة الأوروبية له مبرراته وأسبابه يعلم أنه رفض لا شعوري للمجتمع المنهار الذي تحللت فيه الأخلاق وماتت المثل. ان الشعر الاوربي الحديث هو صورة صادقة لعالم الانقراض والدماء وفقدان السعادة والطمأنينة، إنه رد فعل لحربين عالميين من أشنع الحروب التي مرت بالبشرية. إن المجتمع المنهار لا ينتج الا فنا منهار لقد تحللت الحضارة الغربية روحاً ونفساً وأصاب التفسخ الحضاري نفوس الأوروبيين ولكن ما عذرك أيها الشاعر الخنفس وانت لم تمر بهذه التجارب المريعة التي مر بها أبناء أوربا؟!»

ويوجه خطابه الى هؤلاء الذين كتبوا هذا الشعر ويقول: «أفي الوقت الذي يحاول فيه أبناء وطنك أن يبنوا أنفسهم ويشيدوا كرامتهم الإنسانية، تكتب أنت شعر التمزق النفسي والغموض السرياني؟ انك بذلك تبتعد عن بيئتك وانت مقيم فيها وتصبح نسخة ممسوخة لأخر قصيدة انكليزية أو فرنسية، فلا أنت تفهم ما تقول ولا أحد من مواطنيك يفهم ما تقول، أتعرف لماذا؟ لأنك دعي، ببغاء يقلد الآخرين، ان خنفسة البنطلون والكعوب العالية ليست بذات خطر اذا قيست بخنفستك، ذلك لأنك بأدبك الإنهزامي المريض تقف امام تطور امتك باثاً هموم مجتمعات منهارة في الوقت الذي يحتاج فيه وطنك الى الكلمة الواضحة المنيرة التي ترفع من روحه، انه في حاجة الى الشعر الصادق الأصيل».

أمين الرياحي يعد رائد الشعر الذي سماه منشوراً، قالت عنه مجلة الحرية: ^(١) انه احتذى طريقة (وايت وبتمان) في اطلاق الشعر من قيود الوزن والقافية، فابتدع طريقة الشعر المنشور في اللغة العربية وتبعه كثيرون ولا سيما ادباء المهجر. ^(٢)

وقد أكثروا من استعمال الرموز في شعرهم مثل: البوم والغراب والقطط العمياء ليرمزوا بها عن العربي متى أرادوا شتمه واهانتة مع أنهم رمزوا للغربي بال (بحر) وانتاشوا لفرط حقدهم ومقتهم للعرب والنبى العظيم محمد ﷺ فوصفوه -وما ساووا ذرة غبار في نعله- بـ (...). تارة أخرى! ^(٣)

(روفايل بطي) يعتبر من رواد الشعر الحر ومن المندفعين لنشره واشاعته أصدر مجموعة الربيعات فيها من الشعر المرسل، اقتطف منها (أمين الريحاني) في كتابه (ملوك العرب) جزءاً وقال عنه: «انه شاعر وعامل في السبيل الذي فيه التحريم والتكفير، وسيكفرونه بلا شك تكفيراً مضاعفاً، لأنه يسيء الى أصحاب العقائد والأداب العتيقة! اساءتين في الفكر وفي الطريقة». ^(٤)

هنا يعتبر أمين ريحاني التغيير في الطريقة مساوياً للتغيير في الفكر، ومن دعاة هذا الشعر الحر الدكتور (نقولا فياض) قال عنه روفائيل بطي: وقام في الألبام الدكتور (نقولا فياض) من أدباء سورية منسبين في مصر حرية وكبرية حريته ووجد مسوياً جديداً لشعر العربي الضيق من قيود التدفية والوزن. كذلك مع الاحتفاظ بترقة

(١) مجلة الحرية رئيس تحريرها (روفائيل بطي) صاحبها ومديرها المسؤول عبد الجليل رزق الله أفي وقد كان روفائيل بطي نفسه من دعاة الشعر الحر وعند زيارة الريحاني للعراق سنة فتح روفائيل بطي صدر مجلة الحرية لمثل هذا الشعر ووايت وبتمان شاعر أمريكي.

(٢) الدكتور يوسف عز الدين - في الأدب العربي الحديث ص ٢٢٠

(٣) الأعلام ج ١ سنة ٣ مقالة الاستاذ هادي طعمة

(٤) في الأدب العربي الحديث ص ٢٣٥



الموسيقية في اختلاط الأوزان ببعضها ويذكر له المثال التالي: ^(١)

ان اكن أحبيت حبا خالصا.. فلقد أحبيت فاك..

ان كنت أحبيت حبا مؤلماً.. فهما مقلتك..

ان كنت أحبيت حبا لا يطاق.. فهو ذاك الخصر مشدود النطاق..

وهو ذاك الجيد والقدر الرقيق.. ان اكن أحبيت حبا لا أفيق.. منه فهو الجسد..

ناعم يتقد..

ومنهم (مراد ميخائيل) ينشر له روفائيل بطي قصيدة بعنوان (صلاة الشيطان)

يقول عنه الدكتور يوسف عز الدين: «مراد ميخائيل يعتبر اسوأ من نشر في هذه

الفترة من ناحية الاسلوب والمعاني والموسيقى». ^(٢) ومنهم (أنور شاؤل) الذي نشر

سنة ١٩٢٩ في جريدة العراق العدد ٢٨٨٥ / ٤ تشرين الأول تحت عنوان الشعر

المرسل هذه القصيدة: ^(٣)

اسمعي.. انصفي.. اسعفيني بالوداد.. قبلما يصحو الفؤاد.. اسكبي في القلب

حبا.. سائغا مثل العسل.. سكرأ مثل الأمل.. الخ..

ومنهم (خضر صالح) الذي نشر قصيدة بعنوان جهادي في بلادي وهي تنم

عن تغيير المفاهيم الدينية حيث قال: ^(٤)

قبلتي شعبي وديني وطني...

وبنوقومي عمادي وبلادي معبدي...

(١) مجلة الحرية العدد الصادر في ١٥ تموز ١٩٢٤

(٢) في الأدب العربي الحديث ص ٢٣٦

(٣) المصدر

(٤) جريدة الاستقلال العدد ١٤٧٤ في ١٠/٧ ايار ١٩٣٠

رايتي انت شعاري.. جددى الماضى وعيدى.. روي أيام الرشيد..

ايا بغداد لا تشكي هموماً.. ففي الآيات: صبرا قال ربى

دعي الاقدار ترميك بسهم.. لعل الدهر يأتي بانقلاب.

وبعضهم عد الشعر القديم ميتاً منذ نهاية العصر العباسي الا أنه لم يدفن حتى

الان).^(١) ومنهم (بسيم الذويب) يقول الدكتور يوسف عز الدين: وتنتشر الجرائد

العراقية أنواعاً غريبة وأنماطاً عجيبة من هذا الشعر الجديد الغريب الأنماط متأثراً

بالريحاني المتأثر بالشعر الأمريكي الذي اعتبره رفائيل بطي زعيم مدرسة الشعر

الجديد في العالم العربي فنجد في مجلة (الصحيفة)^(٢) قطعة بعنوان: (أيتها الفتاة)

للشاعر بسيم الذويب يدعوا الى السفور ويقول:

ارفعيه.. مزقيه.. واطرحيه.. بين أحجار القبور..

وانهضي سافرة الوجه وغني..

هكذا كان السفور..

ليس عاراً.. أو شتاراً.. أن يجارى.. سير تيار الدهور..

فارفعي البرقع عنك واطرحيه.. تحت نيران القدور

بل دعيه.. غسله.. وادفنيه.. بين طيات التراب...

ثم لا تبكي وقومي بارتياح.. هكذا مات الحجاب

إن سألت.. من دفنت؟.. فاجبت.. انه نعش النقاب..

سيقولون: عليه رحمة الله فصلي.. واقربي ام الكتاب

ظلموك.. سجنوك.. زوجوك.. شر زوج في الوجود..

(١) رفيق الخوري - الاداب العدد ٨ بيروت ١٩٦٣ ص ٦٢

(٢) العدد الثالث السنة الأولى ٦ شباط ١٩٢٥



قائلاً: زوجي لا تخرج الا يوم تدعوها للحدود
قد كفانا.. يا نسانا.. مالقينا.. من خمود وجمود..

فلندع كل قديم: لا تقلد!! اننا لسنا قروء!!
هنا بيت القصيد: فالندع كل قديم! ويدع أنه لا يقلد ولكنه كالقرد يقلد الغرب
ويدعي هكذا.. ونرمي هؤلاء المقلدين يستخدمون الأساليب الضعيفة في العربية
ويعملون على تهشيم الجملة فنقرأ في شعرهم:
الواحة هناك..

الخاطئ الأصيب بالعمى..
بالغريب الوراق قرطاجنة..

ونرى بعضهم يكتب ديوانه بالحروف اللاتينية، وناهيك عن النرجسية القبيحة
عند كلا الجنسين وعن التحلل والتخلع كقول أحدهم: «اغتصبت... ألف ألف
مرة!» وكل حجتهم فيما ذهبوا اليه هو الدعوة الى تجديد المضمون - أي المعاني -
والثورة على القديم.^(١)

لقد قلد الشعراء العرب شعراء الغرب في استعمال المضامين الجديدة في شعرهم
تلك المضامين التي سادت اوروبا بعد أن كفرت بالعقل والدين وآمنت بالهوى
والخيال، وهوى النفس ينبع من المصلحة أو من العاطفة أو من اللذة أو من الوهم،
وحين يخضع المرء لهوى نفسه يكون قد خرج من حكم العقل وتمرد عليه. فقد انتهت
اوروبا دور العقل وأوقفته عن العمل ولأول مرة في تاريخ المعرفة وجد الشاعر نفسه
حراً تمام الحرية. والشاعر دائماً عاطفي ذلك طبع من طباعه وهو بالضبط كما جاء في
وصف القرآن الكريم لشعراء الضلالة: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ

(١) الاقلام العراقية ج ١ السنة ٣ مقالة هادي طعمة.



فِي كُلِّ وادٍ يَمِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا^(١). فبرز أدب الشذوذ والانحراف والمرض، ولملت أسماء: بودلير، رامبر، أوسكار، رايلد، ادجار آلان بو، د.ه. لورنس ... الخ، وعشرات بل مئات من الأدباء والكتاب والشعراء الأقل أهمية، وسودوا الفضاء بادب ملعون مغرق في الانحطاط الخلقي يدعي التحرر، وهو أشد أشكال العبودية قبحاً وبؤساً.^(٢)

ومنهم (بدر شاكر السياب) الذي تأثر بالشعراء الأجانب وأخذ عنهم أساليب جديدة في الشعر فهو يقول عن نفسه: ان اتجاهي الجديد كان متأثراً بأحد الشعراء الانكليزي بيرون اوكتيس.^(٣) وأصدر في عام ١٩٥٥ مختارات من الشعر العالمي ترجمها عن الانكليزية وتحدث عن تأثيره بالشعراء الاجانب فقال: «بين الشعراء الغربيين الذين تأثرت بهم في بداية الأمر: شلي، كيتس ثم اليوت، وايديث وستويل».

لقد علم السياب أكثر شعراء المدرسة الحديثة اشياء أخذوها عنه في فن القريض ومن يطالع شعر صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي والبياتي بالذات يجد فيه رواصب كثيرة من اسلوب السياب ومن طريقته ف الانفعال.^(٤) وهو من ذلك يقول عن نفسه: «ان الشعر الجديد في نظري لا يعني الانفلات من اطار الشخصية العربية للقصيدة، بالاضافة الى ان هنالك الكثير من الغناء الذي نقرأه هذه الأيام وخاصة في لبنان الشقيق حيث يحمل مضمونه نوعا من الهدم للشخصية العربية وتحطيم الجملة العربية».^(٥)

(١) الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٧.

(٢) الأفلام - العدد ٨ السنة ١٩٧٠، ٦ - احسان الملاثة بتصرف

(٣) مجلة الدستور اللبنانية العدد ١٨١ الصادر في ١ / ٤ / ١٩٧٤

(٤) حوار - العدد ٣ بيروت ١٩٦٥ ص ١٢١

(٥) بدر شاكر السياب أشودة المطر بيروت ١٩٦٠ ص ١٤٥

201



من ضياء السماوات من ذكرياتٍ وحب
تحمل العبث عني فيندى صليبي
فما أصغره ذلك الموت موتي وما أكبره...

كما أنه يستعمل الأساطير واسماء الالهة والاثار القديمة وتتردد في أشعاره اسماء
مثل: تموز اله الخصب، القتيل الذي استحال دمه شقائق، عشتار الهة الحب ومعشوقة
تموز، هرقل الجبار الذي ذلل الأسود، سربروس الكلب الذي يحرس مملكة الجحيم،
أوديب وأمه جوكتست...

ولعل من أبرز شعراء الشعر الحر (عبد الوهاب البياتي)، ومع ذلك توجد في
ديوانه أمثلة غامضة جداً وأثر الافتعال فيها واضح مثل هذه الأبيات التي وردت في
قصيدة (ريح الجنوب):^(١)

كلماتنا: ما كان لا - عبثاً - يكون

يا أرض - يا أم الجميع - ستهرمين ولا يكون

ما كان - يا أم الجميع - ستهرمين ولا يكون

يقول عنه جلال الخياط:^(٢) وأول ما يلاحظ القارئ ولوع الشاعر -يعني
البياتي- بالصور وتضمينه لبعض الأمثال والأقوال العامية واقتراب لغة الشعر
عنده من الحديث العادي، وقد درس بعض النقاد قصيدة (سوق القرية) كمثال
لذلك، ثم يورد القصيدة عن أباريق مهشمة ص ٢٣.

كما يقول عنه أيضاً: «وديوان الشاعر البياتي الرابع (أشعار في المنفى) ليس فيه ما
يميزه عن أجواء (أباريق مهشمة) و(المجد للأطفال والزيتون)»، ويقول عنه الأستاذ

(١) عبد الوهاب البياتي - أباريق مهشمة ص ٢٠ بغداد ١٩٤٥

(٢) الشعر العراقي الحديث - مرحلة وتطور ص ١٢٦ لجلال الخياط



احسان عباس: «وهكذا نتنفس في جو ديوان (كلمات لا تموت) اكبر مجموعة من قصائد النعمة والغضب الهائج والكلمات الساخطة وتمتلى القصائد بدوي التهديد والوعيد ويزحم صوت السخط والغليان ما حوله من أصوات أخرى ويسد عليها المنافذ ويحول بيتها وبه الأذن»^(١).

له بعض أبيات الشاعر لا عدو كونها شعارات أو أفعال أمر.^(٢) ان قصائد (عشرون قصيدة من برلين) جمل قطعت ورصف احداها فوق الأخرى.^(٣) ويرى احسان عباس (عشرون قصيدة من برلين) تمثل في حقيقة حالها قصيدة واحدة تجافي عشرين دورة^(٤) وكذلك فان البياتي يكثر من ذكر الأفكار المسيحية فيقول في قصيدة له بعنوان (صليب الألم):

يا صليب المسيح خذني حطاماً ويك خذني الى الصليب جديد^(٥)

وهي وان كانت من الشعر العمودي الا انه حذا فيها حذو الشعر الحر باستعماله للألفاظ النصرانية. وقد دأب البياتي على اقتباس ابيات أو أمثال سائرة يقطعها مثلاً يأخذ البيت من الشعر الجاهلي للصفة بن عبد الله القشيري:

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشيقة من عرار

(١) الاداب العدد ٣ بيروت ١٩٦٦ ص ٣١

(٢) جلال الخياط ص ١٥٣

(٣) داود سلوم الادب المعاصر ص ١٦٦

(٤) جلال الخياط ص ١٥٥

(٥) اباريق مهشمة - ص ٥٤

فيصوغه على الشكل الآتي:

قالوا: (تمتع من شميم.. عرار نجد) يا رفيق

فبكيت من عاري.. (فما بعد العشيقَة من عرار)^(١)

ومنهم نازك الملائكة التي تعتبر من الأوائل الذين دعوا الى النظم بالطريقة الجديدة وهي تدعي أنها رائدة لهذا النوع من الشعر واول من اخترعه ونقده وأخلص له.^(٢) وكانت اجراً المعاصرين من الشعراء على الخروج بالشعر عن شكله القديم، لكنها غيرت رأيها باعتبار أن الأذن العربية تنفر من تلك الشكليات الجديدة التي جاء بها غيرها من الشعراء الجدد. ومضت تكيل لزملائها متعدد الإتهامات من ضعف الحاسة الموسيقية والإهمال وعدم النباه والجهل بالعروض أو عدم اتقان دراسته وقلة الاطلاع على التراث الشعري السليم الى آخر ما رمتهم به.^(٣) وهي بهذا تعتبر متذبذبة الرأي لأنها في مقام آخر تعتبر أكثر الشعراء التقليديين (اسرى تسيرهم القواعد التي وضعها الأسلاف في الجاهلية).^(٤) ويعتبر نزار القباني ممن نظم بهذا الشعر واستعمل فيه لغة ركيكة ومنحطة في كثير من الأحيان اسمعه يقول:

المايوه الأزرق...

ثوب النوم الوردي...

أحمر الشفاه..

الصليب الذهبي..^(٥)

(١) جلال الخياط - الشعر العراقي الحديث ص ١٤٠

(٢) نازك الملائكة - شظايا ورماد - بيروت ١٩٥٩ ص ٧

(٣) الدكتور جلال الخياط، الشعر العراقي الحديث ص ١٥٩

(٤) محمد النويهي - الآداب البيروتية العدد ٣ / سنة ١٩٦٦ ص ١٦

(٥) من ديوانه - أنت لي



وأسمعه يقول:
أيا ربي متى نشفى هنا..
من عقدة الدين..
أليس الدين كله الدين..
انساناً يحيني؟..
ويفتح لي ذراعيه..
ويحمل غصن زيتون..^(١)

ويقول أيضاً:
تظل بكارة الأنثى..
بهذا الشرق عقدتنا وهاجسنا..
فعند جدارها الموهوم قدّمنا ذبائحنا..
واولمنا ولائمنا..
نحرقنا عند هيكلها شقائقنا...
قراييناً..
وصحنا واكرامتنا..^(٢)

قل لي بربك ابهذا نرفع قدر امتنا؟ وبهذا نتنصر على عدونا؟ وأسمع اسلوبه
الممجوج الساقط عن كل روح عربية حيث يقول:

(١) من ديوانه - يوميات امرأة لامبالية ص ٩٨ ط بيروت ١٩٧٣

(٢) المصدر ص ٤٠



علمني حبك.. أن أتصرف كالصبيان..
أرسم وجهك.. بالطبشور على الحيطان.. وعلى أشربة الصيادين..
على الأجراس..
على الصليبان..^(١)

فهو يستعمل الكلمات العامية والكلمات المسيحية كما يستعمل (ال) في غير محلها ويقول: (وحلمت بأن تتزوجني.. بنت السلطان.. تلك العيناها.. أصفى من ماء الخلجان.. تلك الشفتاها.. أشهى من زهر الرمان..). ويقول: (حين كنا.. في الكتاتيب صغاراً.. حقنونا بسخيف القول ليلاً ونهاراً.. درسونا: ركبة المرأة عورة.. ضحكة المرأة عورة.. صوتها- من خلف ثقب الباب عورة..).

طرأت هذه الحركة الشعرية الجديدة بعد حدوث هزات عنيفة على المشاعر الانسانية وذلك بسبب الاخفاق المعنوي الذي نتج عن مخلفات الحرب العالمية الأولى التي انتصر فيها الغرب الكافر على الدولة العثمانية المسلمة وقد فقد الناس ثقتهم بأنفسهم وأصبحوا يقلدون الأقوياء المنتصرين في جميع أمورهم ويتخذونهم مثلاً أعلا في مآكلهم وملبسهم واطلعوا على ثقافتهم وآدابهم وبدأ يتغير كل شيء ونسوا أن نتائج الحرب لا يجب أن يتحملوها لأنهم لم يخوضوها على أسس اسلامية ولم تكن لهم فيها ناقة ولا جمل.

فجاءت دعوات الى السفور والى تغيير التاريخ الهجري الى التاريخ الميلادي والساعة الغروبية الى الساعة الزوالية ووضع قانون العقوبات الهندي والغربي بدلاً عن أحكام العقوبات في الشريعة الإسلامية والى الاخذ بالمدينة الغربية والتنكر لكل ما هو قديم وموروث دون تمييز بين ما هو حق وخير لا يمكن الإستغناء عنه

(١) المصدر ص ٩٧



أونبذه وبين ماهوليس كذلك. وما الاخذ بالشعر الحر الا كواحد من الاخذ بما هو وافد جديد. ولذا فانه واجه انتقادات كثيرة وحتى من الداعين اليه يقول الدكتور (يوسف عز الدين):^(١) «ان الزهاوي أول من دعا في العراق الى هذا الشعر ولكنه اشترط شروطاً...»، الى أن قال: «فقال الزهاوي: عبثا يسعى بعضهم الى جعل الشعر العربي على نمط شعر الافرنج بحجة ان الافرنج سباقون في كل علم وفن محاولاً تقليدهم...»، وليس من يسعى الى تحويل الشعر العربي الى الشعر الافرنجي الا كمن يحاول أن يجعل العنديل ديكاً والعقاب حدأة والاقحوان بنفسجاً، وهل يطرب العنديل العنادل اذا صاح صياح الديكة؟ أو يستنفز الديك الديكة اذا غرد تغريد العنادل؟

زينوا الباطل حتى ظنه الناظر حقاً
ان شعباً جهل الباطل ظل والحق ليشقى

وقد وصف الزهاوي الداعين الى تقليد الغرب بضعاف النزعة العربية، وقال: «من قتل الشعر العربي فقد قتل العرب»، ووصف هؤلاء الذين نظموا الشعر بعيداً عن البيئة العربية بالمتشبهين بالغرب وان أكثر شعرهم (بارد، غث وتكاد لا تصادف بيتاً مبرزاً يجوز ان تشهد به في كتاباتك أو خطبتك) واعتبرهم من الضالين الذين يجدون في تقويض صرح الشعر العربي ويتنبأ الزهاوي بنهاية هذا النوع من الشعر بقوله: «هذا الذي يأتون به من الشعر المتفرنج لا يعيش في أرض لا تلائم بيئته وستجده بعد قليل قد ييس بأشعة الشمس التي تطلع من سمائها حاراً فيعود حطاماً».^(٢)

(١) الأدب العربي الحديث ص ٢١١

(٢) المصدر السابق ص ٢١٣



والزهاوي من المجددين الى أبعد الحدود ومع ذلك لم يرض بالتجديد الكلي الذي رآه أو انذاك ورأى أن التخلص من القافية غير صحيح. وقد أخذ الدكتور يوسف عز الدين اراء الزهاوي هذه من محاضرة القاها الزهاوي سنة ١٩٢٢ ونشرت عن جريدة العراق شباط ١٩٢٢.

وقد سئل الرصافي عن هذا اللون من الشعر فقال: «الشعر لا يقال الا لينشد وبعبارة أخرى ليتغنى به فلا بد فيه من الوزن والقافية لان الغناء نغم وايقاع وهما لا يكونان الا على تقاطيع متوازنة من الكلام، وجل ما يتجلى لي من هذا الشعر انما هو اقتران الرعونة بالشعور وخلط السخافة بالظرافة وادغام التفاهة بالنباهة وطلب السمعة من وراء البدعة».^(١)

وهذه الإنتقادات كثيرة ومتوالية ومنها: ان لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب في مصر، رفعت مذكرة الى المسؤولين تقول فيها: «ان مراجعة لكثير مما يسمى بالشعر الجديد تكفي للدلالة على إن أصحابه واقعون تحت تأثيرات اذا حللناها وجدناها منافية لروحنا الثقافية».^(٢) وقال الأستاذ صالح جودت من قصيدة قالها في حفل أقيم لمبايعة بشارة الخوري (الأخطل الصغير) بامارة الشعر بعد موت أحمد شوقي وذلك يوم الأحد ٤ حزيران ١٩٦١ واستمر سبعة أيام في قاعة الاونسكوببيروت:^(٣)

(١) المصدر ص ٢١٤ نقلا عن مجلة الحرية العدد تموز ١٩٢٥

(٢) مجلة الثقافة العدد ٧٠ القاهرة ١٩٦٤ ص ٢٤

(٣) راجع: شوقي وامارة الشعر لعبد الرحيم محمد علي ص ٢١



كالقريض الجديد منعدم الوزن عجلول الخطى، قبيح الإشارة
همجي الأطوار مبتئس الجرس غريب الصدى مجاف اطاره
اجوف اللفظ في فراغ المعاني كافر النهج قرمزي العبارة
اين هذا الجديد من قمر الله ومن شعره سنئى وطهارة

واليك بعض تلك الإنتقادات وما أكثرها:

- الشعر الحديث استيراد من الشعر الأجنبي كما استوردنا غيره من مظاهر الحضارة الغربية.^(١)
- الشعر الحديث مستورد وكلما في العالم العربي منه غير أصيل.^(٢)
- الشعر الحديث ترجمة حرفية لطريقة الشعر الغربي، لقد كنا نقلد الشعراء القدماء أما الآن فالمجددون يحاولون تقليد الغرب انه حقاً تجديد في التقليد.^(٣)
- أين هذا الشعر الذي يتحدثون عنه؟ أهو هذه الأمساخ الكسيحة من الألفاظ؟ أم الكلمات التي فيها كثير من النقط وعلامات الإستفهام المنثورة هنا وهناك بلا حساب.^(٤)
- الشعر الحديث ضرب من الهجر عن نظم الشعر وفق الأساليب الأصل.^(٥)

(١) عبد الجبار البصري - الأداب - العدد ٩ بيروت ١٩٥٧ ص ٧٨

(٢) ميخائيل نعيمة - شعر - العدد ٢٤ بيروت ١٩٦٢ ص ١٥٣

(٣) سليم النعيمي - جريدة الجمهورية - العدد ٦٥ بغداد ١٩٦٤ ص ٣

(٤) عبد الكريم الخطيب - الرسالة ١٠٥٣ القاهرة ١٩٦٤ ص ١٥

(٥) محمدرضا الشيبى - جريدة الجمهورية - العدد ٦٠ بغداد ١٩٦٤ ص ٣

- ان اختلاف القافية بين البيت والبيت يقبض سمعي عن الإسترسال في متعة السماع.^(١)
- أنا شاعر وأديب وأنظم الشعر وأجيد فهمه ولكنني لا أفهم الشعر الحديث ولا أحس أنه شعر.^(٢)
- الشعر الحديث بدعة في تهجين الفن العربي.^(٣)
- الشعر القديم خالد أما الحديث فسيذهب مع الريح.^(٤)
- أكثر الشعر الحديث تافه لا يقدر على تصوير المعاني والأفكار الهامة.^(٥)
- أما الشيء الذي لا يغتفر فهو هذا (الشعر الرمزي) و (الشعر المنشور) وأمثالها من الهذيان الذي يقطع كل صلة بيننا وبين هذه اللغة وماضيها في آدابها وفي بيانها ويسير بنا الى شيء غير مفهوم تصبح معه أي لغة أجنبية نفهمها أحب إلينا من هذه اللغة التي لا نفهمها.^(٦)

(١) عباس محمود العقاد- الرسالة- العدد ٥٤١ القاهرة ١٩٤٣ ص ٢٣

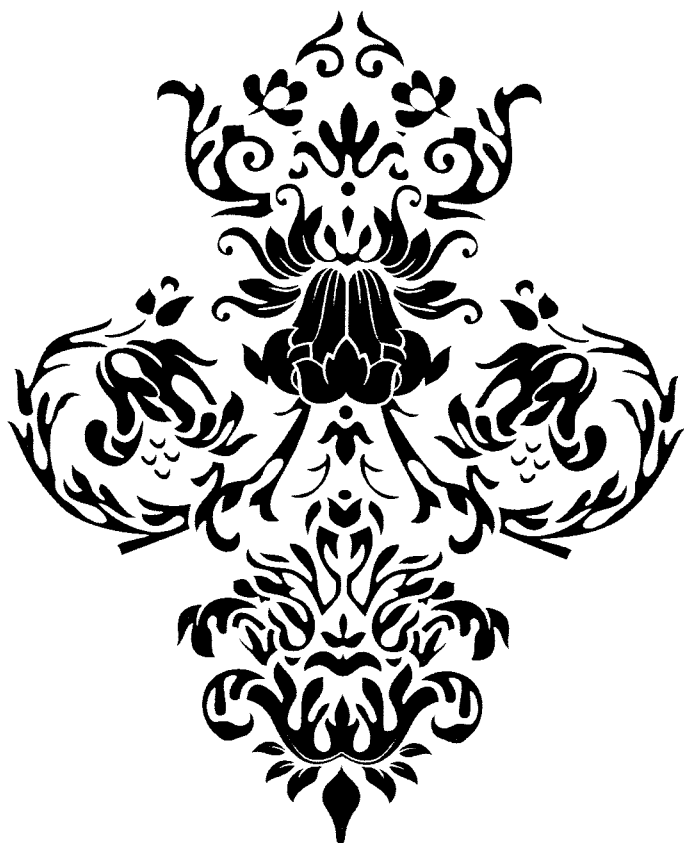
(٢) عبد الكريم الدجيلي- محاضرات عن الشعر العراقي الحديث القاهرة ١٩٥٩ ص ١٣١

(٣) هادي طعمة- الأفلام- العدد (١) بغداد ١٩٦٦ ص ١١٥

(٤) عبد القادر الناصري- انظر داود سلوم- تطور الفكر والأسلوب ص ١٠٦

(٥) يوسف عز الدين- المكتبة- العدد ٨ بغداد ١٩٦١ ص ١٢

(٦) الاستاذ عارف الكدي. مجلة العرفان العدد الأول ١٩٥٨ صيدا ص ٢١



الْفَصْلُ السَّابِعُ

الدَّعْوَةُ إِلَى

تَطْوِيرِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ

الادب:

الادب: كلمة توسع الناس في اطلاقها على كل شأن من شؤون الحياة، فجعلوا للكلام ادباً وللمناقشة ادباً، وللمجالسة ادباً، وللخصومة ادباً، وللادارة ادباً، وللسياسة ادباً، وللعمل ادباً وللنوم ادباً وباختصار لكل شيء ادباً. والاصل في كلمة الادب عند اهل اللغة: الدعاء الى الشيء وخاصة الدعاء الى الطعام ومن هنا سميت مائدة الطعام مائدة. والادب: هو ما يتأدب به الاديب من الناس سمي به لانه يؤدب الناس الى المحامد وينهاهم عن ضدها وفي الحديث الشريف (ادبني ربي فاحسن تأديبي) ومعناه رزقني كل صفات الخير وخصائص الكمال. وقد وردت كلمة (الاديب) في الشعر الجاهلي، قال مزاحم العقيلي:

فهن يصرفن النوى بين عالج ونجران تصريف الاديب المذل

والاديب المذل الحبل المروض المؤدب المذل وعليه فالاديب من الناس هو الذي روض نفسه وصبرها على تعلم العلوم واكتساب المعارف واستعملت كلمة الادب لتدل على (الفن) في كل شأن من شؤون الحياة.



قال ابو العيناء: ان لعل عليه السلام تسع كلمات فقأن عيون البلاغة ثلاث منها في المناجاة فهي: (الهي كفاني عزاً ان اكون لك عبداً وكفاني فخراً ان تكون لي رباً انت كما اريد فاجعلني كما تريد)، واما التي في الحكمة فهي: (قيمة كل امرئ ما يحسنه، المرء مخبوء تحت لسانه، ما هلك امرئ عرف قدره)، واما التي في الادب: (احتج الى من شئت تكن اسيره، وتفضل على من شئت تكن اميره، واستغن عن من شئت تكن نظيره). وبالمقارنة بين كلمات الحكمة وكلمات الادب نجد جلياً كيف كانوا يفهمون من الادب معنى السياسات، يقول الاستاذ عبد الله العلائي: «ان كلمة ادب ترجم بها العرب كلمة فلسفة وكثر استعمالها في السياسات على اختلافها كسياسة المدينة وسياسة المنزل وسياسة النفس وسياسة الطباع ولا شك ان ادب القول من سياسة الطبع». (١)

ادب كل أمة له خصائصه:

ان الادب هو مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية، والامم الراقية يرقى عندها الادب وتتذوق رفيعه وهذه الامم تتعد عن استعمال الالفاظ المنحطة وترفع عن استخدام العبارات النابية التي تأبأها الاذواق السلمية ولذا نجد القرآن الكريم قد بلغ الذروة في تعابيره المترفعة عن استخدام اللفظ العادي فيقول: ﴿أَوَلَمْ تَسْتَمِئْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ويقول: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ﴾.

وعلم الادب لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه او نفيها وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثم سنة وهي الاجادة في فني المنظوم والمثور على اساليب العرب

(١) الامام الحسين ص ١١٣



ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة. وإذا اراد واحد هذا الفن قالوا الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث.^(١) فعندما تقرأ نصاً أدبياً تشعر في نفسك بجمال الروعة وحسن الأسلوب وجلال المعنى وشرف الأغراض.

الأدب له لغته الخاصة به:

للأدب نقشه الخاصة به بل لكل علم من العلوم لغته الخاصة به ولكن لغة الأدب هي غاية بنفها في حين أن لغة كل علم هي وسيلة فلغة العلوم ولغة الفلسفة ولغة القانون. تتخذ الكلام مجرد وسيلة للتعبير عن الحقائق أما لغة الأدب فهي البيان نفسه فتتخذ غرضاً في ذاته وتوجه إلى تجويده أكبر قسط من الجهود فأهم ما يقام له وزن في لغة الأدب هو جمال القول ورقة الأسلوب وحسن البيان ورصانة اللفظ وفصاحة الكلام وبلاغة التعبير.^(٢)

أهمية الأدب:

للأدب أهمية كبرى في حياة الأمم ولم تقتصر أهميته على ناحية واحدة فهو أهم أسس نهضتها وأقوى دعامة فكرية تسند سيرتها نحو الحضارة والرقى وأقوى صلة

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٥٥٣

(٢) علم اللغة ص ١٧٢ بتصرف



تربط الحاضر بالماضي وبواسطته تنظر الأمة الى متانة جذورها السياسية والاقتصادية وتبني عليه صرح تطور حياتها. يقول الاستاذ (عبد الصاحب شكر): «وأعتقد جازماً بأن الذين رسموا خطأ آخر ليسود أدبهم الجديد بدعوى ما تقتضيه سنن التطور فإنهم لن يجدوا فيه من يخلد خلود من ساروا على الخط الأول»^(١).

ومن هنا نجد أن العرب حين اهتموا بالترجمة عن الأمم الأخرى بما عندهم من ثقافات وعلوم نجدهم انصرفوا في الغالب الى ترجمة الكتب العلمية البحتة كالفلسفة والرياضيات والطب وأمثالها ذلك ليس مخصوصاً بأمة دون أخرى، لأن العلم ليس له وطن ولا يتعلق بأمة دون أخرى، ولم ينقلوا ولم يترجموا الآداب والفنون، ذلك لأن الأدب هو من خصائص الحياة الاجتماعية وهذه تختلف من أمة لأخرى.

ومن هذا نعلم مدى اهتمام أعداء هذه الأمة في عصرنا الحاضر بترجمة الآداب الأجنبية الى اللغة العربية ونشر تلك الآداب واشاعتها كجزء من عملية القضاء على أصالة هذه الأمة وتفتيت مقومات وجودها، والعمل على إيجاد وتربية أناس من أبناء هذه الأمة لم يتأدبوا بآدابها ولم يتعلموا شيئاً من تراثها وإنما هم متأدبون بآداب الأمم الأخرى ومتربون على أساليبهم، فيكتبون أدبهم الأجنبي باللغة العربية، وهؤلاء أشد خطراً من أولئك الأجانب أنفسهم، فهم لم ترجموا لنا العلوم والمعارف النافعة والتي من شأنها أن تقوي الأمة لتأخذ مكانها اللائق بها بين أمم الأرض، وإنما ترجموا لنا القصص الخليعة والآداب الماجنة والروايات البوليسية، ونقلوا لنا الدعارة والرذيلة بكل أشكالها وصورها الموجودة في مجتمعاتها المنحطة خلقياً. فكتاب الادب المنحل او ما يسمونه بالادب المكشوف انما يعلمون على هدم القيم والمثل التي ترقى بها الأمم وتتقدم بها الشعوب.

(١) بحوث ادبية ص ٦



الفصل الثامن

الدعوة إلى

إيجاد لغة عالمية واحدة

ظهور دعوات الوحدة العالمية:

للاستعمار اساليب كثيرة ووسائل متعددة للاستحواذ على الشعوب وبعض هذه الاساليب اتخذ طابعاً انسانياً وبالاخرى تبرقع بهذا البرقع الشفاف، وحتى كلمة استعمار انما تعني تعمير البلاد التي تستولي عليها الدول القوية واعمارها وانعاشها واصلاحها، وهذه البشاعة التي رافقت كلمة الاستعمار لان هؤلاء المتبرقعون بهذا الشعار اذاقوا الشعوب المغلوبة انواع العذاب والتنكيل الامر الذي حول هذه الكلمة الى شؤم وظلم وفضاعة، فان الاستعمار نصب نفسه قياً على الشعوب المغلوبة واعتبرها غير مؤهلة لقيادة نفسها بنفسها ففرض الوصاية الدولية على الشعوب التي اعطاها صفة القاصرين ليتسنى له حكم هذه الشعوب والاستيلاء على مقدراتها ونهب خيراتها والتحكم في مصيرها. وقد تفتقت ذهنية هؤلاء عن مختلف الدعوات والشعارات التي ظاهرها مليح وواقعها قبيح. فباسم الانسانية والوحدة العالمية والصدقة بين امم اهل الارض قامت دعوات كثيرة الغرض الحقيقي منها هو الاستيلاء على الضعفاء وتسخيرهم لمازهم والقضاء على مقومات وجودهم وسلبهم عن ماضيهم وتراثهم كما نرى نتائج ذلك جلياً اليوم حيث ان



الغالبية العظمى من شعوب العالم يعيشون في فقر مدقع وحرمان بلغ حد الموت جوعاً والقلة المترفة في اوربا وامريكا تعيش حياة البذخ والبطر والتنعم حتى ليقال ان العناية التي يلقاها بعض الحيوانات عندهم تفوق اكثر بكثير مما يلقاها الانسان في الشعوب المغلوبة ان كانت في هذه الشعوب عناية للانسان.

ومن هذه الافكار التي طرحت فكرة ايجاد التقارب والتوحد بين شعوب اهل الارض وازالت الاختلافات التي تسببها الاديان المتعددة والتباعد الذي تسببه اللغات المتعددة والفرقة التي تسببها الحضارات المتعددة ليعيش الناس في ظل دين واحد ولغة واحدة وحضارة واحدة وبذلك لتسود المحبة والوئام وينعم الناس في ظلها بالرخاء والعيش الرغيد على حد تعبيرهم. فهي دعوات مغرضة ليس لها هدف إلا السيطرة على شعوب أهل الأرض والدعوات التي اتخذت صفة العالمية كثيرة ومتعددة منها:

الدعوة الى ايجاد دين عالمي واحد:

(١) الدعوة الى الى دين عالمي واحد، ونبذ الاديان الموجودة وهذا الدين العالمي الواحد الذي يخترعه عباقرة الاستعمار كفيل بزعمهم ان يعتنقه الناس وينبذ واديانهم السابقة وبذلك يستاوى جميع ابناء البشر وينبذوا أديانهم السابقة وبذلك يتساوى جميع ابناء البشر.

يقول (كافرلي): «وحينما يصبح في مقدور الجميع الوقوف على كل المعلومات المجردة عن الهوى وحينما يصبح الجميع احراراً في تفكيرهم لهم من الشجاعة مايجعلهم يتقبلون ما هو خير وعدل وجميل عندئذ يكون من المحتمل ان يسود العالم



دين واحد، واني سأكون سعيداً باتباع دين عالم موحد تتبع مصادره من حقائق التاريخ وتفعل مبادئ العدالة الاجتماعية وتقوم بفضلها مظاهر الحب والاخاء على انقاض الكراهية والخصومة».^(١)

ويقول الاستاذ محمد محمد حسين تعقيماً منه على هذه الفكرة: «ومن الواضح ان هذا الكلام هدم صريح للإسلام ولكل دين صحيح فالاديان لا تقبل مثل هذه المساومات الامريكية التي قد قبلها السياسة وقد قبلها الاقتصاد فهي دعوى تسعى لتدمير الإسلام وتمييعه في دين عالمي مزعوم»^(٢) أما الأديان الأخرى كاليهودية والمسيحية فلا يهتمها شئ لأنها اديان محرفة وضعتها الحاخامات والكهان ولما كان هذا الكتاب موضوعاً لصراع اللغة العربية فليس من مهمته مناقشة الدعوى الى دين عالمي واحد وما تنطوي عليه من اغراض استعمارية».

الدعوة الى وحدة الحضارات والثقافات:

(٢) الدعوة الى ايجاد حضارة عالمية واحدة والمقصود بها عدم احتفاظ كل جماعة بطابعها الخالص المميز لها من غيرها من الجماعات البشرية سواء كان ذلك في الملبس والمظهر والسلوك والثقافة وبعبارة اخرى تهدف هذه الدعوة الى اذابة شعوب اهل الارض في بودقة واحدة هي الحضارة الغربية فلا يبقى اثر للمظاهر الشخصية للجماعات البشرية بما فيها المظاهر للشخصية الاسلامية.

(١) الشرع الادنى مجتمعه وثقافته ص ١٨٧

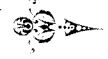
(٢) حصوننا مهددة من داخلها ص ٢٧٤

على ان وحدة الحضارات او وحدة العالم ليس الا حلمًا مغرياً لا سبيل الى تحقيقه
لانه مناف للنسن الكونية التي تقوم على الصراع من اخفى اشكاله فمثلاً في الصراع
بين الجراثيم وكرات الدم البيضاء الى اضخم اشكاله فمثلاً في الصراع بين القوى
الكونية الثانية من زلازل وعواصف وبراكين وكذلك اراد الحكيم العليم خلقه وهو
اعلم بهم ﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (١).

ومن اظهر الايات دلالة على هذا الناموس الثابت القاهر قوله تعالى في سورة
المائدة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ
هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا
تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ
بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ
لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ
مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٢).

(١) البقرة ٢٥١

(٢) المائدة ٤٤-٤٨



وعلم الحضارة العالمية الموحدة كحكم الديانة العالمية الموحدة مناف لطبيعة الاشياء والطبيعية للحياة القائمة على التطور والصراعات وليس من طبيعة هذا الكتاب مناقشة ذلك.

الدعوة الى وحدة اللغات:

(٣) الدعوة الى ايجاد لغة عالمية واحدة وهي التي لها علاقة بموضوعنا، في بداية الامر رأى علماء اللغة والدارسين في شؤونها انه من الممكن ان يقام على اساس القواعد والقوانين التي اكتشفها علماء اللغة في علم اللغة بحوث فيه تشر لنا الى ما ينبغي عمله في مختلف شؤون اللغة ومن ذلك احوال لغة محل اللغة اخرى ثم توصلوا انه بالامكان انشاء لغة عالمية يتحدث بها جميع افراد النوع الانساني وقالوا ان تعدد اللغات في العالم ادى الى صعوبة التفاهم بين الافراد المختلفين والشعوب وهذا ما جعل سير المدنية بطيئاً فارتأوا وضع لغة جديدة لتكون لسان البشر جميعاً.

لغة الاسبرانتوا:

وما ان طرحت فكرة انشاء لغة عالمية موحدة حتى تسابق العلماء ومن مختلف البلدان الاوروبية الى مئات المحاولات الناجحة وغير الناجحة في انشاء لغة عالمية وانشاء ايجديات لكي تصبح واسطة التفاهم بين شعوب العالم جمعاً وتسود هذه اللغة المخترعة العالم بعد ان تنزوي اللغات المحلية الاخرى. وقدسعى لتنفيذ هذا الرأي عدد كبير من الجمعيات واللجان والعلماء ووضعا عدة لغات منها لغى



(اسبرانتو) ولغة (ايدوا) ولغة (نوفال) وغيرها لغة (اسبرانتوا) فقد وضعها العالم البولوني (لودفيج زامنوف) وقد اعتمد في تأليفه هذه اللغة على ثمانية وعشرين حرفاً ووضع لها ستة عشرة قاعدة ومعظم كلماتها من اللغة الرومانية واللغة الانكليزية.

وقد تأسست جميعات تدعوا لهذا اللسان الموحد بلغ عددها في حينه الف وسبعمئة وستاً وسبعون جمعية في مختلف انحاء العالم وفي المانيا وحدها من هذه الجمعيات اربعمائة واحدى واربعون جمعية مركزها الرئيس في مدينة (لاينريغ) والجمعيات العالم كلها مركزان اساسيان احدهما في جنيف والاخر في باريس وفي اوربا وامريكا والصين واليابان صحف كانت تصدر بهذه اللغة وجاء في دائرة المعارف الالمانية: ان عدد الذين يتكلمون بها يقرب من مائة وثلاثين ألفاً.

وفي مصر تألفت جمعية تدعو لهذه اللغة باسم جمعية (الاسبرانتوا المصرية) وقد جاء في جريدة الاهرام القاهرة بعددها الصادر في ٤-٨-١٩٤٨ ما يلي: افتتح يوم السبت الماضي المؤتمر الثالث والثلاثون للاسبرانتو في مدينة مالمو بالسويد، وقد تولى رئاسته الفخرية المسيو (تاجي اولاند) رئيس الحكومة السويدية، وحضر جلساته مندوبون عن اثنتين وثلاثين دولة وممثل جمعية الاسبرانتوا المصرية فيه الاستاذ (نصيف اسعد)، وهذه المناسبة تلقينا من الاستاذ (سعيد صالح) سكرتير الجمعية كلمة نوه فيها بما يمتاز هذا المؤتمر عن المؤتمرات الاخرى فقال: «ان المشتركين فيه يتحدثون رغم اختلاف الجنسيات واللغات بلغة واحدة هي لغة الاسبرانتوا التي افها الطبيب البولندي الدكتور زامنوف في عام ١٨٨٧م ثم اخذت تنتشر حتى اعترفت بمزاياها دول كثيرة وراحت تدرسها في معاهدها التعليمية المختلفة وتستعملها للدعاية عن نفسها واجتذاب السائحين اليها من شتى بلاد العالم وبعد ذلك ان كثير من محطات الاذاعة كمحطة اذاعة باريس واذاعة فارسوفيا واذاعة فينا



الكبرى، وان البنوك والشركات التجارية الكبرى أصبحت تستخدم هذه اللغة»، ثم رجا ان تولي مصلحة الدعاية والسياحة المصرية (الاسبرانتوا) ما تستحقه من عناية إذ إن بلادنا في حاجة الى مختلف وسائل الدعاية، كما ورد في جريدة المصري الصادرة في ٧/ ١٩٤٩ ما يأتي: (يسغادر مصر هذا الاسبوع الاستاذ نادرش مجلي المندوب الرئيسي لجمعية الاسرانتوا العالمية في القطر المصري لحضور مؤتمر الاسبرانتوا العالمي الرابع والثلاثين الذي سيعقد بانكلترا في اوائل اغسطس وسيزور ايضاً السويد والدنمارك بدعوة من مكتب الصحافة السويدي).^(١)

وكان العالم الدنماركي (يسبرسن) من اشد مؤيدي فكرة ايجاد لغة عالمية وساهم مساهمة فعالة في هذا الاتجاه فقد ناصر لغة (فولابوك) ولغة (اسبانتو) وساهم في تأييد لغة ايدوا ولم يكتف بذلك ففي عام ١٩٢٨ عرض مشروعه الخاص بايجاد لغة عالمية اخترعها وسأها لغة نوفيال وحاول تلافي بعض نقاط الضعف التي اتسمت بها للغات المخترعة الاخرى وان الملاحظ على محاولته انها استندت في تركيبها على اللغات الاروبية واهملت مثل اخواتها اللغات المخترعة اي مسحة شرقية.

وقال عنها (اوهانك) رئيس المؤتمر العالمي الاول لعلم اللغات: «ان نوفيال تتفوق على غيرها من اللغات العالمية المخترعة من جميع النواحي»، وقال عنها (جروج برناردشو): «ان نوفيال جيدة حقاً».^(٢)

ولم تتوقف المحاولات عند هذا الحد فقد قام العالم الاذري (علي ماجد كردستاني) بتطوير حروف ابجدية عالمية موحدة وقد ثابر هذا العالم لمدة ثلاثين سنة على جمع جميع انواع الحروف من كل اللغات ورتبها في جداول لمقارنتها مع بعضها

(١) علم اللغة ص ١٩ الهامش

(٢) المعلم الجديد ص ٣٢ ص ٢٩

وقد أصبحت هذه الجداول أساساً للابجدية الموحدة. وبهذه الخطة الجهنمية يمكنهم القضاء على اللغة العربية وتحويل العرب عن لغتهم الى تلك اللغة العالمية المزعومة.

فشل جمع العالم على لغة واحدة:

ولكن الدراسات اللغوية التي قامت على قدم وساق اثبتت لهم ان ليس بالامكان التوصل الى لغة عالمية واحدة تسود العالم وتبقى اذان قوانين اللغة الطبيعية ستعمل على تفتيت تلك اللغة الواحدة والعمل على انشعابها وانقسامها الى لهجات متعددة ومن ثم الى لغات متعددة وتذهب كل الجهود وكل المخططات ادراج الرياح فظهر لمن كان قد انشغل في مساندة الجهود المبذولة لايجاد لغة عالمية واحدة انهم كانوا يعبرون عن آمال ورغبات لا تمت الى العلم والواقعية بصلة فاضطروا الى تغيير كثير من الخطط الفاسدة التي كانوا يسيرون عليها من قبل واخذوا ينصرفون عن كثير من المشروعات التي شغلتهم زماناً غير قصير بعد ان تبين لهم من قوانين علم اللغة استحالة تنفيذها كمشروع انشاء لغة عالمية.^(١)

واهملت فكرة اللغة العالمية المزعومة عندما تبث من خلال علم اللغة انه ليس بالامكان ان تسود العالم كله لغة واحدة وتبقى هي الوسيلة الوحيدة للتفاهم بين شعوب الارض وانه لو فرض امكان اقامة هكذا لغة فانها لا تلبث ان تنقسم بعد فترة الى لهجات متعددة ولغات متباينة لان الظواهر اللغوية لا تسير وفقاً لارادة الافراد والمجتمعات او تبعاً للاهواء والمصادفات وانما وفقاً لنواميس لا تقل في ثباتها وصرامتها واطرادها وعدم قابليتها للتخلف عن النواميس الخاضعة لها ظواهر

(١) علم اللغة علي عبد الواحد وافي ص ٢٦



الفلك والطبيعة. فقد يكون في استطاعة الفرد او الجماعة اختراع لفظ او تركيب ولكن بمجرد ان يقذف بهذا اللفظ او بهذا التركيب في التداول اللغوي وتنقله الالسة يفلت من ارادة مخترعة ويخضع في سيره وتطوره وحياته وجميع شؤونه لقوانين ثابتة صارمة لا يستطيع الفرد والجماعة الى تعويقها او تغييرها فالكلمة الجديدة او التركيب الجديد اشبه شئ بحجر يقذف به القاذف في جهة معينة بقوة خاصة فانه بمجرد ان يفارق يده يخضع في سيره لقوانين ثابتة صارمة لا يد للقاذف ولا لغير على تعطيلها او وقف اثارها.^(١)

ومن ثم يظهر خطأ من يحاولون علاج تعدد اللغات بانشاء لغة عالمية (اسبرانتو) سيتحدث بها الناس من مختلف الامم والشعوب وذلك ان هذه اللغة الصناعية على فرض امكان اختراعها والزام الناس باستخدامها لا تلبث بعد تداولها على الالسة ان تخضع في اصواتها ومدلولاتها وحياتها وتطورها لجميع القوانين التي تخضع لها اللغات الطبيعة والتي خضعت لها اول لغة تكلم بها الانسان فما دام الأفراد الناطقين بها مختلفين في التكوين الطبيعي لجسومهم واعضاء نطقهم وفي الظروف الجغرافية والطبيعية والاجتماعية المحيطة بهم وفي قواهم الادراكية والوجدانية.

وما دامت سنة الطبيعة تقتضي ان يختلف كل جيل عن الجيل السابق له في كل هذه الامور فلا بد ان تختلف هذه اللغة الصناعية في كلامتها واصواتها ودلالاتها وتراكيبها باختلاف العصور وباختلاف الشعوب الناطقة بها وتختلف أقسامها باختلاف فنونها وتنقسم الى لهجات ويختلف كل منها عما عداه وتتفرع منها لغات عامية وتتسع الهوة بين لهجاتها قليلاً قليلاً حتى تنفصل لهجة منها عما عداها انفصالاً تاماً وتصبح غير مفهومة الا لاهلها شأنها في ذلك شأن غيرها من اللغات وهكذا

(١) علم اللغة ص ١٨ ص ١٩ ص ٢٠ ص ١٦٤ ص ١٦٥

لن يمضي زمن قصير او طويل حتى تتولد من هذا العلاج المشكلة نفسها التي حاولنا القضاء عليها ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١﴾ * ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ السِّتْرِ وَالْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ * (٢) واذا بالذين يريدون ان يوحّدوا اللغات ينتهي بهم الامر الى خلق لغة جديدة واصافتها الى تعداد اللغات فان عملهم هو عكس مطلبهم، واذا كان الامر كذلك بالنسبة الى قوانين علم اللغة وإنها ثابتة ولا بد ان تخضع اللغات لها فان الاصرار على الزام الناس كلهم بلغة واحدة امر يدعو الى التأمل والى الشك في نوايا الداعين اليها وانهم انما يفعلون ذلك بدافع خفي ظاهره فيه الرحمة وهي اللفة والتقارب بين شعوب الارض وباطنه فيه العذاب وهو القضاء على لغات كثير من الشعوب كجزء من عملية صهر تلك الشعوب في الكيان الاوروبي ومن هذه الشعوب الشعب العربي ومن هذه اللغات التي يراد القضاء عليها اللغة العربية.

اللغة العربية اغنى اللغات:

واذا كان بالامكان جمع البشر كلهم على لغة عالمية واحدة فلا توجد لغة جديدة بذلك الا اللغة العربية لما تمتاز به هذه اللغة من المقومات. يقول الدكتور أحمد أمين: «في الحق ان اللغة العربية ارقى اللغات السامية كما يقرر دارسوا تلك اللغات فلا تعادلها اللغة الارامية ولا العبرية ولا غيرهما من هذا الفرع السامي وهي كذلك من

(١) هود ١١٨-١١٩

(٢) الروم ٢٢



ارقى لغات العالم فهي تمتاز حتى عن اللغات الارية بكثرة مرونتها وسعة استقامتها فاذا قيس ما يشتق من كلمة عربية من صيغ متعددة لكل صيغة دلالة على معنى خاصة بما يقابلها من كلمة افرنجيه وما يشتق منها كانت اللغة العربية في ذلك غالبا اوفر واغنى. فمثلاً اشتقوا من الضرب: ضرب ويضرب واضرب وضارب ومضروب، وسموا له الضرب مضرباً ومضارباً، وقالوا: ضاربه، اي جالده، وتضرب الشيء، واضطرب: تحرك وماج، وحديث مضطرب، وامر مضطرب، والضريبة: ما ضربته بالسيف، وضاربة في المال: من المضاربة، واشتقوا منه مضارباً ومضارباً ومضارباً... الخ. هذا الى المعاني المجازية التي يستعملون فيها الكلمة فيقولون ضرب الدراهم والدنانير: أي صكها واضطرب خاتماً من ذهب، وضرب في سبيل الله: نهض، وضرب على يده: كفه عن الشيء ومنعه، واضرب عن العمل: كف، واضرب البود النبات وضربه: اذا اشتد عليه البرد حتى تيبس، والضريبة: الصوف او القطن، يضرب بالمطرقة، والضرب من اللبن الذي يحلب من عدة لقاح في اناء واحد فيضرب بعض لبعض، ثم اخذوا منه فلان ضرب فلان: اي نظيره، والضرباء: الامثال والنظر، والضرائب: الاشكال، وضرب المثل: ذكره، وقوله... الخ، هذا قليل من كثير.

اللغة العربية لها قابلية البقاء والاستمرار:

مما يدل على غنى اللغة العربية غنى تاماً في الاشتقاق والمجاز قل ان تجارها فيه لغة اخرى وكذلك ما لها من طرق متعددة في القلب والابدال والنحت ما يطول شرحه هذا كله هو الذي جعل اللغة العربية تستطيع ان تكون لغة القرآن الكريم

والحديث الشريف وما فيها من معان في منتهى السمو والرفعة وما فيها من تعابير دينية واجتماعية وتشريعية لا عهد للعرب بها في جاهليتهم كما استطاعت بعد ان تكون اداة لكل ما نقل من علوم الفرس والهند واليونان وغيرهم وفي نحو ثمانين سنة من بدء العهد العباسي كانت خلاصة كل هذه الثقافات مدونة بالعربية وهذه حقيقة يشهد بها كل من عاش هذه اللغة وتعرف عليها.

يقول نلوكه: «انا ليمتلكنا الاعجاب بغنى معجم اللغة العربية القديم اذا ذكرنا مقدار بساطة الحياة العربية وشؤونها وتوحد مناظر بلادهم يدعوا الى السامة والمل وهذا يستتبع حتما ضيق دائرة التفكير ولكنهم في هذه الدائرة الضيقة وضعوا لكل تغير وان قل كلمة تدل عليه»^(١).

ولأن اللغة العربية لها قابلية البقاء والاستمرار وقد اثبتت هذه اللغة قدرتها على ذلك من خلال وجودها حية مستعملة هذه المدة الطويلة التي لم تستطع اية لغة من اللغات العالمية الحية في العالم ان تجارها في هذا المجال. يقول الاستاذ (امين الله عيروض) في رسالته (العروبة الخالدة): اذا كان تعدد اللغات مما يسيئ الى البشرية ويجعلها في عجمة تفوق الحيوانات، فالذئاب تتفاهم مع بعضها والطير تعرف منطقها ﴿عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾^(٢) ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾^(٣).

واذا كان تعدد اللغات مما يبعد المحبة والالفة بين الناس ويفرق الكلمة التي جاءت لجمعها الرسل ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٤)، واذا كان تعدد اللغات

(١) فجر الاسلام احمد امين ص ٥٤

(٢) النمل ١٦

(٣) النور ٤١

(٤) الشورى ١٣



يعرقل عجلة السلم العالمي الذي يدعوا اليه الانسانيون، واذا كان التفاهم على لغة واحدة لتحقيق المحبة والسلام، فلقد جاء الاسلام بقرآن عربي مبين تلاوته عبادة وتفهمه عباده وتعلم لغته عبادة وجاء بالاذان والصلاة والعبادات بلسان عربي مبين، وبهذا يجتمع شمل المسلمين حول اللسان العربي المبين.

وهكذا فقد حض الاسلام المسلمين على تعلم اللغة العربية بهذا الاسلوب الايجابي حين جعلها وسيلة التفقه في الدين واداء الشعائر ولم يجبرهم على ترك لغاتهم لان اختلاف اللغات من آيات الله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاختلافُ اَللِّسَانِ﴾ (١).

ونحن اذ وضعنا معجماً لغوياً للامة الاسلامية مستنبطاً من القرآن العظيم والاحاديث الشريفة المشهورة وتعلمها المسلمون امكنا ان نخاطبهم بذلك ونتفاهم معهم وبذلك نقضي على شطر واسع من الوحشة والنفور الذي اوجده تعدد اللغات في العالم وخاصة اذا علمنا ان عدد اللغات المعروفة في العالم اليوم (٢٧٩٦) الفان وسبعمائة وست وتسعون لغة وعلينا ان نعلم الاعاجم منا فضل اللغة العربية ومكانتها بين اللغات وضعاً وشرعاً وانها اجمع اللغات ثقافة ورقة تعلم الناس الثقافة القديمة والحديثة والدينية والدينية (٢) وبذلك نكون قد اسدينا للبشرية خدمة عظيمة وقدمنا لها زاداً كثيراً ينفعها في دنياها واخرها واوصلنا لها بعض ما اوجبه الله سبحانه وتعالى علينا حيث جعلنا امة وسطاً والله الهادي الى سواء السبيل.

(١) الروم ٢٢

(٢) المدخل الى العربية / محمد بدر الدين ابوصالح ص ٥٧-٥٩

الخاتمة

مر بنا في هذا الكتاب الصراع الذي تخوضه اللغة العربية من اجل البقاء وسواء كان هذا الصراع طبيعياً او غير طبيعي فان اللغة العربية استطاعت ان تصمد فيه وان تقاوم اعنى الخصوم وهي في اسوأ الظروف وقد عاشت كل هذه الفترات ولا تزال تعيش وهي في نمو مطرد.

إن كل يوم يمر يظهر فيه للعرب ان لغتهم لا يمكن التفريط بها بحال من الاحوال لانها مظهر من مظاهر وخدماتهم ولانها سبب من اسباب توحدهم. وهذا لا يعني ان اللغة العربية لم تتأثر في ذلك الصراع واما كانت تتأثر وقد اصبحت بانقسامات كادت تودي بحياتها.

ولولا القران الكريم واعتزاز المسلمين به وتقديسهم له وحرصهم عليه ولولا اهتمام الاسلام بهذه اللغة حتى انه جعلها لغة اقدس عبادة فيه وهي الصلاة لما بقيت هذه اللغة حية الى اليوم وكان تأثر هذه اللغة بذلك الصراع ان احالها الى لهجات درجت والأسن العربية بها ولكن لم تبعد عن العربية الام التي لا يزال حتى عوام العرب الاميون منهم يفهمونها وهكذا كتب البقاء هذه اللغة واندثرت وتلاشت كل ذلك المحاولات اللئيمة الظالمة التي ارادت القضاء عليها لا لشيء الا لانها لغة

هذا الدين وان نصوصه المقدسة دونت بهذه اللغة فيمكن القول بانها الحرب الشرسة التي تحملتها هذه اللغة وخاضتها في صراعها غير الطبيعي انها جزء من الحرب التي شنها ويشنها اعداء الاسلام على هذا الدين.

كما ان هذا لا يعني ان هذه اللغة لا تحتاج الى العناية بها والمحافظة عليها لان عدم العناية بها بمثابة المعول الذي يهدمها فمن الواجب على كل مسلم وعلى كل عربي ان يصون هذه اللغة ويحميها ويحافظ عليها ويعتني ويعتز بها ويهواها ويحبها ويقول:

| | |
|----------------------|-----------------------------------|
| لا تلمني في هواها | انا لا اهوى سواها |
| لست وحدي افتديها | كلنا اليوم فداها |
| نزلت في كل نفس | وقششت في دماها |
| فبها الام تغنت | وبها الوالد فاها |
| وبها الفن تجلى | وبها العلم تباها |
| كلما مر زمان | زادها مجداً وجاها |
| لغة القرآن هذي | رفع الله لواها |
| هي مجلى الفخر فاحنوا | عند ذكراها الجباها |
| واعيدوا يا بنيها | نهضة تحي رجاها |
| لم يمت شعب تبارى | في هواها واصطفافها ^(١) |

(١) من شعر الشاعر اللبناني حليم دموس



ومن الواجب على كل مسلم وعربي ان يتعلم هذه اللغة ويلتزم النطق بها وان يجعلها لغة التخاطب والتحدث منها استطاع الى ذلك سبيلا ومن الله سبحانه التوفيق...

كَأَظْمُ مُحَمَّدٍ النَّقِيبِ

.....

.....

المراجع

١. علم اللغة الدكتور علي عبد الواحد وافي الطبعة السادسة ١٩٦٧
٢. فقه اللغة الدكتور علي عبد الواحد وافي
٣. اللغة والمجتمع الدكتور علي عبد الواحد وافي
٤. مع القومية العربية الحكم دروزة وحامد الجبوري
٥. مجلة الاقلام العراقية ج ٨ السنة السادسة
٦. المعلم الجديد ج ٣ م ٢٥
٧. نظرات في ادبنا المعاصر الدكتور زكي المحاسني
٨. حصوننا مهددة من داخلها الدكتور محمد محمد حسين
٩. الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر الدكتور محمد محمد حسين
١٠. محاضرات في فقه اللغة الدكتور عبد الرزاق محي الدين
١١. اصول تدريس اللغة العربية والتربية الدينية الدكتور احمد حسن الريح
١٢. المدخل الى العربية محمد بدر الدين ابوصالح ط ١٩٦٣
١٣. مجمع البحرين فخر الدين الطريحي
١٤. لسان العرب ابن منظور

١٥. دراسات في اللغة العربية وتاريخها محمد الخضر حسين
١٦. الاقلام العراقية ج ١١ السنة ٣
١٧. مباحث لغوية الدكتور ابراهيم السامرائي
١٨. الصاحبى ابن فارس
١٩. نظرات في اللغة والنحور العلامة طه الراوي
٢٠. كفاح دين الشيخ محمد غزالي
٢١. اراء واحاديث في الوطنية والقومية ساطع الحصري
٢٢. اراء واحاديث في العلم والاخلاق والثقافة ساطع حصري
٢٣. الغرب والشرق الاوسط برنارد لويس تعريب الدكتور نبيل صبحي
٢٤. اسرار الماسنوية الاب لويس شيخو
٢٥. من كراتي في نصف قرن احمد شفيق
٢٦. الشرق الاوسط في الشؤون العالمية جورج لنشوفسكي ترجمة جعفر الخياط
٢٧. الحرب العالمية الاولى عمر الديراوي
٢٨. موقف العمل والعلم والعالم مقطفى صبري
٢٩. مجلة الايمان المغربية الرباط العدد الرابع السنة الثالثة
٣٠. مشكلة الافكار في العالم الاسلامي ملاك بن نبي
٣١. مذكرات شاهد القرن ملالك بن نبي
٣٢. مجلة الوعي الاسلامي الكويت العدد ٤٨ السنة الرابعة
٣٣. الامام الصادق علم وعقيدة رمضان لاوند
٣٤. الجهاد في سبيل الاسلام في ماضيه وحاضره حامد مصطفى



٣٥. الاسلام وآسيا امام المطفامع الاوروبية اوجين يانغ
٣٦. القومية العربية الدكتور احمد فؤاد الاهونائي
٣٧. ديوان حافظ ابراهيم الجزء الاول
٣٨. النظرات للمنفلوطي
٣٩. اباطيل واسماء العلامة محمود محمد شاكر
٤٠. الادب للشعب سلامة موسى
٤١. وثبة المغرب الدكتور محمد فروخ
٤٢. التبشير والاستعمار الدكتور معمور فروخ والدكتور مصطفى الخالدي
٤٣. الهلال عدد يناير سنة ١٩٣٤
٤٤. الهلال عدد مايو للسنة ١٩٤٣
٤٥. رسالة الاسلام كلية اصول الدين بغداد السنة الثانية العدد ١-٢
٤٦. المعلم الجديد م ٢٦ ج ١-٢
٤٧. اللغة الخالدة امين الله عروض
٤٨. كفاح تركستان ضد الاستعمار الروسي محمد اسيل شهاب
٤٩. تاريخ الدعوة الى اتخاذ العامية واثارها في مصر الدكتور نفوسة زكريا
٥٠. تبسيط قواعد اللغة العربية تبويبها على اساس منطقي جديد الدكتور انيس فريخوق
٥١. مجلة مجمع اللغة العربية في مصر ج ٦ السنة ١٩٥١
٥٢. الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة تأليف لجنة
٥٣. التكامل في الاسلام احمد امين
٥٤. تحت راية القرآن مصطفى صادق الرافعي

٥٥. مجلة الضياء ابراهيم اليازجي السنة الاولى للعام ١٨٩٩م
٥٦. العرب والاسلام الدكتور احمد امين
٥٧. ضحى الاسلام الدكتور احمد امين
٥٨. الشعر العراقي الحديث الدكتور جلال الخياط
٥٩. درس اللغة والادب محمد محمدي
٦٠. اصول الفقه محمد رضا المظفر
٦١. البيان والتبيين الجاحظ
٦٢. مروج الذهب المسعودي
٦٣. البحار المجلسي
٦٤. المزهرة السيوطي
٦٥. فقه اللغة الثعالبي
٦٦. النكير على منكري النعمة مصطفى صبري
٦٧. الحضارة الاسلامية آدم متر
٦٨. العرب واليهود في التاريخ - احمد سوسة
٦٩. الثقافة العربية محمود عباس العقاد
٧٠. جواهر الادب احمد الهاشمي
٧١. العقد الفريد ابن عبد ربه
٧٢. جغرافية الجزائر احمد توفيق مدني
٧٣. معلم في الجزائر صافح ناصر سعيد
٧٤. حاضر العالم السلامي لوتربوستوراد ترجمة عجاج نويهض
٧٥. مجلة معهد اللغات العالمي العدد الاول سنة ١٩٦٤



٧٦. مجلة الدستور اللبنانية العدد ١٨١ السنة ١٩٧٤
٧٧. الخصائص ابن جني
٧٨. تاريخ اليعقوبي ابن واضح
٧٩. فلسفة اللغة جورج زيدان
٨٠. المجمع العلمي العراقي عبد الله الجبوري
٨١. تاريخ الجنس البشري
٨٢. تاريخ اللغات السامية
٨٣. الموافق للشاطبي
٨٤. القضية العربية في نظر الغرب تاليف الجنرال كليزر
٨٥. الانوار النعمانية نعمة الله الجزائري
٨٦. الامام الحسين عبد الله العاملي
٨٧. لمحات اجتماعي من تاريخ العراق الحديث دكتور علي الوردي
٨٨. بحوث ادبية عبد الصاحب شكر
٨٩. الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي
٩٠. اشتقاق اسماء الله لابي القاسم الزجاجي
٩١. دلائل الاعجاز عبد اقاهر الجرجاني
٩٢. طبقات الادباء لان الانباري
٩٣. وفياق الاعيان لابن خلكان
٩٤. الأغاني لابي فرج الأصبهاني
٩٥. لغة العرب انستاس الكرملي
٩٦. اعجاز القرآن ابوبكر محمد الطيب البالاني

٩٧. العمدة لابن رشتيق القيرواني

٩٨. الحيوان للجاحظ

٩٩. مجلة العرفان اللبنانية العدد السابع السنة ١٩٥٥

١٠٠. الخلافة والامامة العظمى محمد رشيد رضا

المحتويات

| الموضوع | رقم الصفحة |
|--|------------|
| الاهداء | ٥ |
| المقدمة | ٧ |
| الباب الاول: الصراع الطبيعي | ١١ |
| ما هو الصراع الطبيعي؟ | ١٣ |
| عوامل الصراع الطبيعي | ١٥ |
| الفصل الاول: صراع العربية مع اللغات في العصور السابقة | ١٩ |
| اللغات التي انهزمت امام العربية | ٢٢ |
| اللغات التي صمدت امام العربية | ٣٠ |
| الفصل الثاني: صراع العربية مع اللغات في العصور الحاضرة | ٤١ |
| المجامع اللغوية في البلاد العربية | ٤٥ |

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---------|------------|
|---------|------------|

| | |
|--|----|
| كيف نعامل اللفظ الاجنبي؟ | ٥١ |
| المولد | ٥٤ |
| الفصل الثالث: صراع اللغة العربية مع اللهجات التي انشعبت منها قبل الاسلام | ٦٣ |
| ماهو المقصود باللغة العربية؟ | ٦٥ |
| كيف تتكون اللغات؟ | ٦٧ |
| اللغة العربية هي أم كل اللغات | ٧١ |
| كيف تكونت اللغة العربية | ٧٢ |
| اقسام اللغة العربية | ٧٣ |
| اللغة العربية البائدة | ٧٣ |
| اللغة العربية الباقية | ٧٣ |
| كيف تعدد اللهجات العربية قبل الاسلام؟ | ٧٥ |
| كيف توحدت هذه اللهجات | ٨٦ |
| عوامل توحد اللهجات العربية قبل الاسلام | ٨٧ |
| الفصل الرابع: صراع العربية مع اللهجات التي انشعبت منها بعد الاسلام | ٩٣ |
| كيف انشعبت العربية الى لهجات بعد الاسلام؟ | ٩٥ |
| العوامل التي ادت الى تعدد اللهجات العربية بعد الاسلام | ٩٩ |



| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|------------|
| كيف بقيت اللغة العربية التي نزل بها القرآن؟ | ١٠٢ |
| الخط المثالي لحفظ اللغة | ١٠٦ |
| تصحيح الانحرافات اللغوية | ١٠٧ |
| الباب الثاني: الصراع غير الطبيعي | ١١٧ |
| ما هو الصراع غير الطبيعي؟ وكيف فرض على اللغة العربية؟ | ١١٩ |
| الفصل الاول: سياسة التريك | ١٢٧ |
| ما هي سياسة التترك؟ | ١٢٩ |
| الدولة العثمانية | ١٢٩ |
| تنافس الأوربيين على الدولة العثمانية | ١٣١ |
| بث النزعات القومية | ١٣١ |
| تأثير الحركة الماسونية على الدولة العثمانية | ١٣٣ |
| قيام حركة تركية الفتاة | ١٣٤ |
| الانقلاب العثماني | ١٣٧ |
| سيطرة حزب الاتحاد والترقي | ١٣٨ |
| الابتعاد عن كل ماله علاقة بالإسلام | ١٤٠ |
| الفصل الثاني: سياسة الفرنسة | ١٤٩ |
| ما هي الفرنسة | ١٥١ |

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---------|------------|
|---------|------------|

| | |
|---|-----|
| غزو فرنسا للجزائر | ١٥١ |
| الازدواجية بين اللغة العربية واللغة الفرنسية | ١٥٤ |
| اثر السياسة الفرنسية في الجزائر | ١٥٥ |
| جمعية العلماء المسلمين | ١٥٧ |
| سياسة الفرنسية على سورية ولبنان وتونس والمغرب | ١٥٨ |
| سياسة الفرنسية لإبعاد المسلمين عن دينهم | ١٦٠ |
| الفصل الثالث: الدعوة الى العامية | ١٦٥ |
| بداية الدعوة الى العامية | ١٦٧ |
| الدول الاستعمارية تفتح مدارس خاصة لتعلم جواسسها | ١٦٨ |
| اللهجات العامية في البلدان العربية | |
| عود الدعوة الى العامية من قبل اجانب وعرب | ١٧٣ |
| العامية في مجمع اللغة العربية في مصر | ١٨٠ |
| الدعوة الى العامية في جامعة الدول العربية | ١٨٣ |
| خطورة الدعوة الى العامية | ١٨٦ |
| الصدى الذي أحدثته الدعوة الى العامية | ١٨٩ |
| الفصل الرابع: محاولة كتابة العربية بالاحرف اللاتينية | ١٩٥ |
| اصل الرسم العربي | ١٩٨ |
| اول من اخترع الحروف | ١٩٨ |

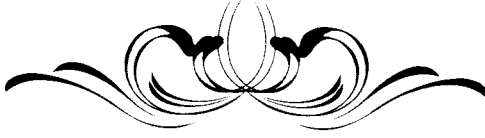


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|------------|
| اللغات التي تكتب بالحروف العربية | ٢٠٢ |
| جمال الحروف العربية والعناية بها | ٢٠٦ |
| بداية الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية | ٢٠٩ |
| عيوب الحروف العربية | ٢٢٠ |
| الفصل الخامس: الدعوة الى تيسير النحور العربي | ٢٢٧ |
| الكلام عند العرب | ٢٢٩ |
| تفشي اللحن في الالسن | ٢٣٠ |
| الامام علي ابن ابي طالب <small>عليه السلام</small> يضع علم النحور | ٢٣٢ |
| اهمية هذه القواعد لحفظ اللغة | ٢٣٤ |
| محاولات الاعداء للقضاء على هذه اللغة | ٢٣٤ |
| محاولات تيسير النحو | ٢٣٥ |
| الفصل السادس: الدعوى الى الشعر الحر | ٢٣٩ |
| مكانة الشعر عند العرب | ٢٤٢ |
| اهمية النزون واتفاقية في الشعر | ٢٤٢ |
| بداية الشعر الحر | ٢٤٤ |
| الفصل السابع: الدعوة الى تطوير الادب العربي | ٢٦٣ |
| الادب | ٢٦٥ |



| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|---------|
|------------|---------|

| | |
|-----|---|
| ٢٦٦ | ادب كل امة له خصائصه |
| ٢٦٧ | الأدب له لغته الخاصة به |
| ٢٦٧ | اهمية الادب |
| ٢٧١ | الفصل الثامن: الدعوة الى ايجاد لغة عالمية واحدة |
| ٢٧٣ | ظهور دعوات الوحدة العالمية |
| ٢٧٤ | الدعوة الى ايجاد دين عالمي واحد |
| ٢٧٥ | الدعوة الى وحدة الحضارات والثقافات |
| ٢٧٧ | الدعوة الى وحدة اللغات |
| ٢٧٧ | لغة الاسبارنتوا |
| ٢٨٠ | فشل جمع العالم على لغة واحدة |
| ٢٨٢ | اللغة العربية اغنى اللغات |
| ٢٨٣ | اللغة العربية لها قابلية البقاء والاستمرار |
| ٢٨٧ | الخاتمة |
| ٢٩١ | المراجع |
| ٢٩٧ | المحتويات |



... كتب مطبوعة للمؤلف ...

١. مجتمعا وعوامل الهدم و البناء ...
طبع في النجف ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م
٢. نحن واليهود / طبع في بغداد ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م
٣. الدعوة والعقبات / طبع في النجف ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م
٤. قضية الرأس المقدس / طبع في بيروت ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م
٥. حول حديث الكساء / طبع في دمشق ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
٦. الأسرار وأحكامها في الإسلام...
طبع في كربلاء ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
٧. الإنسان عوالم ومصير / طبع في بيروت ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
٨. بيان الأحكام الشرعية في المجالس الحسينية
١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م
٩. الحكم العلوية في المجالس الحسينية / (تحت الطبع)
١٠. صراع اللغة العربية من اجل البقاء / وهو هذا الكتاب



مطبعة الطف
العراق . كربلاء المقدسة
٠٧٧٠٨٠١١١١٠ - ٣٢١٣٥٢
altafpress_k@yahoo.com

